روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

د. نبيل فاروق

الثعابين

141

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدَّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الرعب ..

تطايرت سحب الرمال والغبار فى عنف ، حول ذلك المنجم القديم المهجور ، فى منطقة (جبل الطور) ، فى قلب (سيناء) ، مع هبوط تلك الحوَّامة الكبيرة ، التى تحمل شعار إحدى شركات التعدين الكبرى ، وتوقُّفها على قيد أمتار قليلة ، من فتحة المنجم الكبيرة ، ومن تلك اللافتة القديمة ، التى تعلن توقفه عن الإنتاج ، وتحذِّر أى شخص من المخاطرة بدخوله ، دون إذن من السلطات والجهات المختصَّة ..

ولعدة دقائق ، قبعت الحوَّامة فى مكانها ، وسرعة مروحتها العلوية تنخفض تدريجيًّا ، لتستقر معها سحابة الرمال ، وأحد الرجال الثلاثة داخلها يقول لقائدها ، فى توتر ملحوظ :

ـ هل سيحدث هذا ، فى كل مرة نأتى فيها إلى هنا ؟!

ابتسم قائد الحوّامة ، وهو يقول :

ـ المنطقة مهجورة منذ أعوام طويلة أيها السادة ، وإذا ما قرّرتم إعادة العمل فيها ، فسيتم تمهيدها بالطرق الحديثة حتمًا ، وسيكون هناك مهبط خاص لنا ، وستهدأ الأمور إلى حد كبير .

وصمت لحظة ، ثم أشار بسبّابته ، مستدركًا فى سرعة :

ـ ولكن سيبقى حتمًا بعض الغبار والرمال ، فمهما بلغت براعة البشر ، لن يمكنهم قط السيطرة على الطبيعة تمامًا .

غمغم رجل آخر :

ـ هذا أمر طبيعى .

كان الغبار والرمال قد استقرا تمامًا ، وبدت الرؤية واضحة إلى حد كبير ، فتطلّع الرجال الثلاثة إلى مدخل المنجم ، لبعض الوقت ، قبل أن يغمغم أحدهم :

ـ هل تعتقدان أنه من الممكن أن نعيد الحياة إلى هذا الشىء ؟!

قال آخر ، وهو يلتقط حقيبته ، ويدفع باب الحوّامة الجانبى :

ـ نحن هنا لنبحث هذا يا صديقى ..

غادر اثنان منهم الحوّامة ، فى حين بقى الثالث داخلها ؛ لتشغيل أجهزة الفحص الكبيرة ، والقائد يسأل :

ـ هل سيستغرق الأمر كثيرًا ؟!

هزّ أحد الرجلين رأسه ، وهو يقول :

ـ سنحتاج إلى نصف ساعة فحسب يا رجل .

أومأ القائد برأسه متفهمًا ، وأشار بيده إشارة غير ذات معنى ، وهو يشعل سيجارته خارج الحوّامة ، قائلاً :

ـ لا بأس .. إنها ليست بالفترة الطويلة .

راح الرجلان ، يرتديان زيًّا خاصًا ، وخوذة لحماية الرأس ، من أية احتمالات لسقوط أحجار داخل المنجم القديم ، فى حين ضغط الثالث أزرار أجهزته فى سرعة ، قبل أن يقول :

ـ كل شىء على ما يرام .. يمكنكما البدء فورًا .

أشار الاثنان بأيديهما ، وهما يتجهان نحو المنجم القديم ، وتوقفا لحظة عند مدخله ، وهما يتبادلان حديثًا مقتضبًا ، حول حالة المدخل ، قبل أن يدلفا إلى المكان ، ويختفيا داخله ..

وعلى ضوء مصباحيهما ، بدا لهما المكان مرتبًا ، على عكس ما توقعاه ، بغضّ النظر عن أكوام الغبار الكثيفة ، وراح أحدهما يلتقط الصور بآلة تصوير الفيديو ، التى يعمل جهاز خاص مثبت بها ، على إرسالها فورًا إلى تلك الأجهزة الضخمة فى الحوّامة ، والتى تقوم بتحليل كل ما يصل إليها ، باستخدام النظم الرقمية ، ومقاييس الطيف المختلفة ..

وفى توتر محدود ، غمغم الثانى :

ـ لاشىء يوحى باستمرار وجود المواد الخام ، فى أى مكان هنا .

ابتسم حامل آلة التصوير ، وهو يغمغم :

ـ هذا أمر طبيعى يا صديقى ؛ فلو أنهم عثروا على

ذرة واحدة من المادة الخام ، على نحو ظاهر ، لما أوقفوا المنجم وهجروه .

سأله الثانى فى نفس التوتر :

ـ وهل تعتقد أننا سننجح ، فيما فشلوا فيه قديمًا .

أجابه حامل آلة التصوير :

ـ ولمَ لا ؟! كل شىء تقدَّم وتطوَّر ، خلال السنوات الخمس الأخيرة ،ولدينا الآن وسائل مختلفة ، لكشف وجود المادة الخام ، فى أعماق لم تتح لهم من قبل ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واستدار فى حركة حادة ، جعلت الثانى يهتف به فى توتر بالغ هذه المرة :

ـ ماذا هناك ؟!

بدت الحيرة ممتزجة بالعصبية ، فى وجه حامل آلة التصوير وصوته ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. خُيِّل إلىَّ أن شخصًا ما ، أو شيئًا ما ، قد اندفع خلفنا بغتة .

تلفَّت الثانى حوله فى ذعر ، قائلاً :

ـ شىء ما ؟! ماذا تعنى بشىء ما ؟! إننى لم ألمح شيئًا !

ظلَّت الحيرة مرتسمة على وجه حامل الكاميرا بضع لحظات ، قبل أن يغمغم فى عصبية :

ـ لست أدرى ! ربما هى الظلال أو ....

لم يتّم عبارته ، ولكن الثانى لم يسأله عن بقيتها ، وإن ترك الأمر فى نفسيهما لمحة من الخوف المتوتر ، جعلت الثانى يسأل فى خفوت :

ـ أمن المحتّم أن تتوغّل كثيرًا ؟

هزّ حامل آلة التصوير كتفيه ، مغمغمًا :

ـ لماذا أتينا إذن ؟!

تمتم الثانى فى توتر :

ـ نعم .. لماذا أتينا ؟!

شىء ما فى أعماقه شعر بقلق عارم ، جعله يتلفَّت حوله فى خوف مبهم وهما يتوغلان داخل المنجم القديم ..

ويتوغلان ..

ويتوغلان ..

ثم فجأة ، توقَّف حامل آلة التصوير ، وهتف فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

حدَّق زميله فى ذلك الأثر الضخم ، الممتدّ فوق طبقة الرمال والغبار ، إلى أعمق أعماق المنجم المهجور ، وغمغم فى ارتياع :

ـ نعم .. ما هذا ؟!

التقط الأوَّل جهاز الاتصال من حزامه ، وهتف عبره فى انفعال :

ـ هل سجَّلت هذا ؟!

أتاه صوت زميلهما الثالث ، الذى بقى داخل الحوامة ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ بالتأكيد .. إنه أثر لجسم كبير ، تم سحبه على الرمال ..

قال الأول فى توتر :

ـ ومنذ فترة قليلة .

غمغم الثانى ، فى صوت حمل كل الذعر :

ـ قليلة للغاية .

ظلَّ الأول يحدِّق فى الأثر بضع لحظات ، قبل أن يرفع آلة التصوير إلى الأمام ، عبر عمق المنجم ، وهو يقول بنفس الانفعال :

ـ ذلك الجسم تم سحبه إلى أعمق الأعماق .. التصوير بالأشعة دون الحمراء يرصد الأثر ، على أقصى مدى يمكنه بلوغه .

انبعث صوت الثالث ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال :

ـ عجبًا ! الأثر متموِّج فى انتظام مدهش ، كما لو أن ذلك الجسم كان يزحف فوق الرمال .

هتف الأوَّل فى رعب :

ـ يزحف ؟!

نقل جهاز الاتصال هتافه المذعور ، إلى زميلهما الثالث ، الذى انعقد حاجباه بشدة ، وهو يتابع شاشات المراقبة ، التى تنقل الصور الطبيعية والتحليلية ، لكل ما تلتقطه آلة التصوير فى الداخل ، وقال فى توتر :

ـ أظن أنه من الأفضل أن تكتفيا بهذا القدر ، وتعودا إلى هنا فورًا .

اقترب منه قائد الحوَّامة ، وهو يتساءل فى قلق :

ـ ماذا يحدث بالداخل ؟!

هزَّ الثالث رأسه فى توتر ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .

وصمت لحظة ، وهو يتابع الشاشات ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ولكن الأفضل أن يعودا .

تابع قائد الحوَّامة معه المشهد على الشاشات ، وبدا من الواضح ، مع اهتزاز الصورة ، أن الرجلين بالداخل يتراجعان بلا نظام ، وبشىء من التوتر والذعر ، فغمغم الرجل :

ـ تُرى ماذا يحدث ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى نقل جهاز الاتصال صرخة حامل آلة التصوير :

ـ رباه ! ما هذا ؟!

ثم انطلقت صرخة رعب هائلة من الآخر ، اتصلت بصرخات متقطّعة ، تجمع بين الألم والذعر ، وراحت الصورة تهتزّ فى عنف ، وتوحى بأنّ حامل آلة التصوير يعدو بأقصى سرعته ، محاولاً العودة إلى مدخل المنجم ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا .. هذا مستحيل ! مستحيل !

امتقع وجه زميلهما الثالث ، وهو يصرخ بدوره :

رباه ! ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

نقل جهاز الاتصال صرخات الرعب الهائلة ، التى يطلقها حامل آلة التصوير ، والتى امتزجت بصوت فحيح هائل ، جعل قائد الحوَّامة ينتزع مسدسه ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أى شىء يواجههما بالداخل ؟!

كان المشهد عنيف الاهتزاز على الشاشة ، يوضّح أن آلة التصوير قد سقطت أرضًا ، وتدحرجت بعيدًا ، وراحت تنقل قدمى حاملها السابق ، وهو يعدو ، ويصرخ فى رعب هائل ، و ....

وفجأة ، عبر شىء ما أمام آلة التصوير ..

شىء حجب الرؤية تمامًا ، وهو يزحف أمام العدسة ..

واتسعت عينا الثالث ، بكل رعب الدنيا ، وهو

يتراجع فى عنف كالمصعوق ، فى حين شهق قائد الحوّامة ، هاتفًا :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ثم اندفع ، فى بسالة يحسد عليها ، نحو مدخل المنجم ..

وعلى الشاشة ، انطلقت الصورة دفعة واحدة ، فى حين نقل جهاز الاتصال صرخات الأوّل ، التى امتزج ألمها برعبها ، ثم راحت تختنق ، ورنة الألم تتضاعف فيها ، وتغلب موجة الرعب ..

ثم انبعث صوت قائد الحوّامة ، وهو يصرخ فى ذهول :

- رباه ! أى عبث شيطانى هذا ؟!

وامتزجت صرخته بدوى رصاصات المسدس التقليدى ، الذى اقتحم به المنجم ..

ثم انطلقت منه صرخة أخرى ، تجمّدت لها الدماء ،

فى عروق الثالث ، الذى اندفع بكيانه المرتجف ، يضغط زر جهاز الاتصال العام ، ويصرخ عبره :

- النجدة .. النجدة .. نريد مساعدة عاجلة ، بأقصى سرعة ممكنة .. النجدة .. النجدة ..

أتاه صوت من المركز الرئيسى لشركة التعدين ، يهتف فى انزعاج :

- ماذا هناك ؟! عرف نفسك وموقعك .

صاح الثالث ، وعيناه المتسعتان تحدقان فى مدخل المنجم :

- نحن الفرقة الاستكشافية (ت - ١٧) .. أسرعوا بالله عليكم .. إننا ....

بتر عبارته دفعة واحدة ، وتضاعف اتساع عينيه ، بكل رعب الدنيا ، وهو يحدّق فى قائد الحوّامة ، الذى خرج بوجه أسود مخيف ، وعينين جاحظتين مذعورتين ، وهو يجر قدميه جرًّا ، قبل أن يسقط على وجهه كالحجر ..

وفى اللحظة نفسها ، هتف مسئول المركز الرئيسى للشركة ، عبر جهاز الاتصال العام :

ـ ماذا يحدث عندكم يا (ت ـ ١٧) ؟! أخبرنا باللّه عليك .

ولكن الرجل لم يكن بوسعه أن ينطق بحرف واحد ..

لقد جحظت عيناه عن آخرهما ، وانتفضت كل ذرة من كيانه ، وهو يحدّق فى ذلك الشىء ، الذى خرج من فتحة المنجم ، والذى اتجه نحوه مباشرة ..

وبكل رعب الدنيا ، ومن كل ذرة فى جسده ، وكل نفس فى صدره ، أطلق الرجل من أعمق أعماقه صرخة ..

صرخة هائلة مدوية ، حملت كل رعب وألم الدنيا ..

صرخة كانت آخر ما تجاوز حلقه ..

على الإطلاق ..

* * *

« مازلنا لم نعثر على أدنى أثر للسيّد (أكرم) .. » ..

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، عندما نطق قائد الأمن العام العبارة ، وأشار بيده قائلاً فى توتر :

ـ عجبًا ! ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

واستدار يتطلّع إلى خريطة بحث كبيرة ، مثبتة بالجدار ، قبل أن يتابع ، فى حيرة متوترة :

ـ التحريات كلها تؤكّد أنه غادر منزله ، فى طريقه لحضور حفل صغير فى منزلى ، ولكنه اختفى فجأة ، فى المسافة بين المنزلين ، ودون أن يترك خلفه أدنى أثر ، فكيف يمكن أن يحدث هذا ؟! كيف ؟!

تردّد قائد الأمن العام لحظة قبل أن يقول :

ـ إننا ندرس الآن احتمالى الاختطاف والاغتيال .

هزّ (نور) رأسه ، مغمغمًا فى مرارة :

ـ لقد درسناهما بالفعل ، ولكن لاشىء يشير إليهما ، على نحو واضح أو مؤكّد ، فالمختطف ، أيًا كانت

هويتــه ، ستكون لـه مطـالب مـا ، لابـد أن يعلنهـا ، أو لا تكون هناك فائدة لما يفعله .

قال قائد الأمن العام :

ـ هناك أسباب أخرى للاختطاف ، بخلاف طلب الفدية .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ كانتزاع المعلومات مثلاً .

هزَّ (نور) رأسه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ لقد استبعدنا هذا الاحتمال أيضًا .

ازداد انعقاد حاجبى قائد الأمن العـام ، وهو يقول فى صرامة :

ـ على الرغم من كون السيِّد (أكرم) رجل مخابرات ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى أسى :

ـ صحيح أن (أكرم) أحد أفراد فريقنـا ، فى المخـابرات العلمية ، إلا أنـه ليس أحـد المسئولين الفنيين ، أو حتى يحمل رتبة كبيرة ، وهذا يعنى أن مايمكن انتزاعه منه

من معلومات محدود للغاية ، ولو أن هناك جهة تسعى للحصول على المعلومات ، لاختـارتنى ، أو لاختارت زوجتى أو ابنتى .. ولكن ليس (أكرم) .

أومأ قائد الأمن العام برأسه متفهمًا ، ثم تسـاءل فى اهتمام :

ـ وماذا عن احتمال الاغتيال ؟!

أدار (نور) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ وكيف يمكن تنفيذ عملية اغتيـال ، دون ترك أدنـى أثر للضحية ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ باختطافه ، وقتله فى مكان بعيد .

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

ـ حتى هذا الاحتمال ، الذى ليس له ما يبرِّره عمليًـا ، لايمكنه أن يزيل غموض الموقف ، بسبب نقطة مهمـة ، لم ننجح فى تفسيرها بعد .

سأله فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

أشار (نور) بسبَّابته ، وهو يجيب فى حزم :

ـ حزام الأمان .

أطلّ التساؤل من عينى قائد الأمن ، وهمّ (نور) بشرح مايعنيه ، عندما ارتفع أزيز ساعة الاتصال الخاصة فى معصمه فجأة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وأشار بيده فى صرامة ، قائلاً :

ـ إنه استدعاء من الإدارة .

وتألقت عيناه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ استدعاء عاجل .. جدًا .

وكان هذا يعنى أن التفسير سينتظر .. كثيرًا ..

* * *

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يستمع إلى التسجيل الصوتى ، الذى تم إرساله ، من قبل شركة التعدين ، إلى المخابرات العلمية المصرية ، قبل أن يتساءل ، فى حيرة متوترة :

ـ وهل أرسلوا إليهم نجدة عاجلة بالفعل ؟!

أومأ الدكتور (جلال) رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية برأسه ، وهو يقول :

ـ نعم .. أرسلوها على الفور ، مع فريق مسلّح للطوارئ ، و ...

بتر عبارته ، وبدا عليه وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة ، فتساءل (نور) فى حذر :

ـ وما الذى عثروا عليه ؟!

لوح الدكتور (جلال) بذراعيه ، وبدا حائرًا متوترًا ، على نحو دفع القائد الأعلى إلى أن يجيب بدلاً منه :

ـ كل ما عثروا عليه هو الحوَّامة محطَّمة ، على نحو يوحى بأنها قد تعرَّضت إلى قوة هائلة ، أو إلى ضربة مباشرة ، بقبضة عملاق رهيب ، وعند مدخل المنجم المهجور ، كانت جثة قائدها ملقاة ، ووجهها مسودّ على نحو مخيف ، أما الجيولوجيون الثلاثة ، فلم يُعثر لهم على أدنى أثر ، وكأنما انشقَّت الأرض وابتلعتهم .

تساءل (نور) فى اهتمام :

ـ ألم تكن هناك أية تسجيلات أخرى ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

ـ المفترض أنهم كانوا يقومون بتسجيل ما يوجد داخل المنجم القديم ، بالصوت والصورة ، وبثلاثة مقاييس طيفية مختلفة ، ولكن كل هذا لم يتم العثور عليه .. حتى الأجهزة نفسها اختفت تمامًا ، ولم تترك خلفها حتى حطامًا .

عاد حاجبا (نور) ينعقدان ، وهو يغمغم :

ـ هذه دلالة خطيرة للغاية .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وقال فى حزم :

ـ بالتأكيد يا (نور) ، فوجود أجهزة محطمة ، مع بعض الجثث ، كان سيوحى بأن الحوَّامة وركابها قد تعرَّضوا لحادث ما ، ولكن اختفاء البشر والأجهزة ، يوحى بأمر أكثر خطورة .

اندفع (نور) يقول :

ـ محاولة تخريبية .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .. هذا أوّل ما خطر ببال خبرائنا .

ثم تراجع صوته بغتة ، وهو يستدرك :

ـ لولا ما عثرت عليه فرقة النجدة .

انتبه (نور) للعبارة ، وتساءل فى اهتمام :

ـ وما الذى عثرت عليه فرقة النجدة ؟!

ضغط الدكتور (جلال) زرًا على مكتب القائد الأعلى، فأظلمت الحجرة تدريجيًا، فى نفس الوقت الذى انزاح فيه جزء من الجدار المواجه للقائد الأعلى، لتبرز من خلفه شاشة عرض ضخمة، والدكتور (جلال) يقول فى انفعال:

- هذا .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (نور)، وهو يتطلَّع إلى ذلك الفيلم، الذى التقطته فرقة النجدة للمنجم من الداخل ..

الجدران والسقف كانت كلها عادية، لايمكن أن تثير الاهتمام أو الانتباه ..

ولكن الأرضية كانت تختلف تمامًا ..

ففى وضوح تام، ظهرت آثار تلك الأجسام الضخمة الزاحفة ..

آثار ممتزج ببعضها البعض، على نحو يوحى بأن عدد تلك الأجسام يقدَّر بالعشرات ..

وفى توتر، تمتم (نور):

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة، وعلى نحو يوحى بأنه كان يتوقَّع السؤال وينتظره:

- آثار ثعابين .

التفت إليه (نور) بحركة حادة، هاتفًا باستنكار:

- ثعابين ؟! بهذه الضخامة ؟!

تراجع القائد الأعلى فى مقعده بتوتر بالغ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه، فى حين أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا، وقال:

- نعم أيها المقدَّم .. ثعابين بهذه الضخامة .. لقد تطلَّب الأمر الحصول على ثلاثة تقارير مختلفة، لثلاثة من أكبر وأشهر علماء الزواحف؛ لتأكيد هذه المعلومة، ثم استعنا بعدها بعالم متخصِّص فى أنواع الثعابين، لحسم الأمر تمامًا ..

وتوقَّف لحظة ، مع فرط انفعاله ، ليلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع ، فى صوت أقرب إلى اللهاث :

- إنها ثعابين .. وهائلة الحجم أيضًا .

مرة أخرى ، التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وكأنما يعجز عقله عن استيعاب هذه المعلومة ، فقال القائد الأعلى فى صرامة :

- ليس هذا هو التأكيد الوحيد أيها المقدّم .

التقط الدكتور (جلال) طرف الخيط ، ليقول فى انفعال :

- جثة قائد الحوّامة تم تشريحها ، وإجراء الفحوص والتحاليل ، لكل جزء فيها ، ثم جاءت النتائج كلها ، لتؤكّد أنه قد لقى حتفه بجرعة هائلة من سم الثعابين .. جرعة يحتاج استخراجها إلى مائة ثعبان ضخم على الأقل .

تساءل (نور) فى حذر :

- وماذا عن أثر أنياب الثعابين ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه نفيًا ، وقال :

- لم يكن هناك أى أثر لها .

ارتفع حاجبا (نور) ، فى دهشة متسائلة ، فتابع الدكتور (جلال) فى سرعة :

- ولكن الخبراء يؤكدون أنه هناك أنواع من الثعابين ، تنفث السم فى وجوه ضحاياها ، بدلاً من غرس أنيابها فيهم(*) ، والسم الذى قتل قائد الحوّامة من هذا النوع .

حاول (نور) هضم هذه المعلومات المخيفة ، وهو يتمتم :

- رباه ! كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً فى حزم :

- هذا ما نطرحه على أنفسنا أيها المقدّم .

(*) حقيقة .

أدار (نور) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ من الواضح أن الأمر يحتاج إلى تحقيق واسع يا سيِّدى .

مال القائد الأعلى إلى الأمام ، قائلاً :

ـ بل يحتاج إلى فريق أيها المقدَّم .. فريق علمى ، من طراز خاص جدًّا .

شدّ (نور) قامته ، قائلاً فى حزم :

ـ كلنا رهن إشارتك يا سيِّدى .

وكان هذا إيذانًا ببدء العملية الجديدة ..

عملية الثعابين ..

الرهيبة .

* * *

٢ ـ عبر التاريخ ..

فجأة ، ودون مقدمات أو تمهيد ، استعاد (أكرم) وعيه ..

أو بمعنى أكثر دقة : استعاد شعوره بذاته ..

ولفترة ما ، لم يستطع تحديد موقفه بالضبط ..

آخر ما يذكره ، هو أنه كان يقود سيارته ، فى طريقه إلى منزل (نور) ، لحضور ذلك الحفل الصغير هناك ..

ثم فجأة ، شعر وكأن قنبلة قد أصابت كيانه ..

بل صاعقة ، سحقت كل ذرة فى جسده بضربة واحدة ..

ثم تفجَّر فى عقله ، أو فى ذاته كلها ، فيض من أفكار ومعلومات عجيبة مخيفة ، و ....

وفقد وعيه ..

أو فلنقل إنه قد شعر بمخه يذوب ، وسط نيران رهيبة ، ثم ينفجر عبر ممر مظلم طويل ..

طويل ..

بلا نهاية ..

وها هوذا يخرج منه بغتة ..

ومازال يجهل ما أصابه !!

يجهل أين هو !!

بل وكيف هو !!

إنه مازال يمتلك جسدًا ، ولكن كل ما حوله يوحى بأنه ضائع فى فراغ رهيب ، فى نفس الوقت الذى ينطلق فيه جسده بسرعة خرافية ..

ينطلق فى أى اتجاه ..

وكل اتجاه ..

لقد فقد تمامًا إحساسه بالزمان والمكان والاتجاه !

وهو لا يدرى كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

حتى فى مناطق انعدام الوزن ، فى الفضاء الخارجى ، لا يفقد المرء تمامًا إحساسه بالزمان والمكان(*) ..

أين هو إذن ؟!

أين ؟!

راح وعيه يعود تدريجيًا ، فى نفس الوقت الذى واصل فيه جسده الانطلاق ، على ذلك النحو العجيب ..

وبدأ يدرك ، لماذا اختلّ إحساسه بالزمان والمكان ..

فحيث ينطلق جسده ، كانت الشمس تشرق وتغيب ..

ولكن بسرعة مذهلة ..

وتعاقب مخيف ..

ثم إن المشاهد التى كانت تظهر أمام عينيه ، كل لحظة وأخرى ، كانت سريعة ، وعجيبة ..

إلى أقصى حد ..

(*) حقيقة .

كانت مشاهد من كل الأزمان ..

وكل العصور ..

حرب رومانية ..

معركة جوية ، من معارك الحرب العالمية الثانية ..

حوّامات مستقبلية ..

ديناصورات ..

مشاهد شتى ، تظهر وتختفى ، على نحو جعله يدرك أين ينطلق جسده ..

كان ينطلق عبر العصور ..

وعبر التاريخ ..

وبقدر ما أفزعته وروّعته الفكرة ، راح عقله يتساءل : لماذا حدث هذا ؟!

وكيف ؟!

وعلى نحو مباغت ، ودون تمهيد أو مقدمات أيضًا ، قفز الجواب إلى عقله ..

إلى أعمق أعماق تلافيف مخه ..

أو أنه قد انبعث منها ..

وهنا ، هنا فقط ، اتسعت عيناه عن آخرهما ، وشعر وكأن كيانه قد انقسم إلى نصفين ..

أو إلى شخصيتين منفصلتين ..

ولكن ما أثار ذعره حتى النخاع ، هو أن الشخصيتين كانتا له هو نفسه ..

(أكرم) .. و(أكرم) ..

واتسعت عيناه أكثر وأكثر ، وجسده يواصل الانطلاق ، بتلك السرعة الخرافية الهائلة ، عبر الزمن ..

أو عبر التاريخ ..

كله ..

* * *



وشعر كأن كيانه قد انقسم إلى نصفين .. أو إلى شخصيتين منفصلتين ..

فركت (مشيرة) كفيها فى عصبية بالغة ، وقاومت دموعها الحبيسة فى مقلتيها ، بكل ما تبقى فى كيانها من قوة وإرادة ، وهى تقول :

- أيعنى هذا أننا لن نستعيد (أكرم) أبدًا ؟!

هتفت بها (نشوى) ، فى توتر بالغ :

- لا تقولى هذا .. أرجوك .

لوَّحت (مشيرة) بذراعيها ، وعجزت أخيرًا عن سجن دموعها ، فتفجَّرت غزيرة وهى تهتف :

- ولكن هذا ما يعنيه ما حدث ، حتى هذه اللحظة .. (مصر) كلها تبحث عنه ، دون أدنى أثر ، أو أدنى أمل .

غمغمت (سلوى) فى أسى :

- إننا نبذل قصارى جهدنا يا (مشيرة) .

هتفت (مشيرة) فى مرارة :

- وعلى الرغم من هذا ، فالمحصِّلة صفر ، حتى هذه اللحظة .

وأغرقت دموعها وجهها ، وهى تلقى نفسها على أقرب مقعد إليها ، متابعة بكل حزن ومرارة الدنيا :

ـ إنكم أقوى فريق مخابرات علمية ، فى (مصر) كلها .. بل فى العالم أجمع ، وعلى الرغم من هذا ، فأنتم تجهلون ما أصاب زوجى ، وهذا يعنى أنه لم يعد هناك أمل فى استعادته .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ لاينبغى أن نفقد الأمل فى اللّه (سبحانه وتعالى) أبدًا يا سيِّدة (مشيرة) .

انتحبت (مشيرة) لحظة ، قبل أن تغمغم :

ـ ونعم باللّه .

تبادلت (نشوى) نظرة صامتة متوترة مع أمها ، قبل أن تقول فى تردُّد :

ـ الدلالة الإيجابية الوحيدة هى أننا قد استبعدنا احتمالات الاختطاف والاغتيال ، والانتقاميات ، و ...

بترت عبارتها فى تردُّد أكثر ، فرفعت (مشيرة) إليها عينيها ، المغرورقتين بالدموع ، وهى تسألها فى حدة :

ـ وماذا ؟!

أزعجها تردُّد (نشوى) للمرة الثالثة ، فهبَّت من مقعدها ، صائحة فى حدة :

ـ وماذا يا (نشوى) ؟! وماذا ؟!

عضت (نشوى) شفتها السفلى، وكأنها تلوم نفسها على ما نطقت به ، مما أثار (مشيرة) أكثر ، فصاحت فى غضب :

ـ ما الذى تخفونه عنى بالضبط ؟!

أشاحت (نشوى) بوجهها فى توتر ، وانعقد حاجبا (سلوى) ، فى حين مطَّ (رمزى) شفتيه ، على نحو احتقن له وجه (مشيرة) وجعلها تهمّ بالانفجار فى وجوههم ، لولا أن انبعث من خلفها صوت (نور) ، حاسمًا حازمًا ، وهو يقول :

ـ سأخبرك أنا يا (مشيرة) .

رفع الجميع عيونهم إلى (نور) الذى استدارت إليه (مشيرة) ، بمنتهى التوتر والحدة ، فتابع بنفس الحزم :

ـ إنه زوجك ، ومن حقك معرفة الحقيقة كاملة .

ارتجف صوتها ، مع كيانها كله ، وهى تسأله :

ـ ماذا أصاب (أكرم) يا (نور) ؟!

أجابها فى هدوء حازم ، وهو يتجه إليها فى بطء :

ـ إننا لم نتوصل بالضبط إلى ما أصاب زوجك يا (مشيرة) ، ولكن هناك أمر غامض ، يحيط باختفائه .

رددت مرتجفة :

ـ أمر غامض ؟! أى أمر غامض ؟!

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ (أكرم) اختفى من داخل سيارته ، وترك خلفه حزام أمان مقعده مربوطًا .

تراجع رأسها بحركة حادة ، وكأنما فاجأها القول ، أو أصابها فى عنف ، وهتفت :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ أحزمة الأمان الحديثة محكمة وقوية ؛ لتحمى ركاب السيارة من الإصابة ، إذا ما ارتطمت السيارة بشىء ما ، وهى تسير بالسرعات الضخمة الحالية ، ولا أحد يمكنه الخروج من السيارة ، وتركها خلفه مربوطة .

قالت فى عصبية :

ـ مازلت أسأل : ما الذى يعنيه هذا ؟!

صمت لحظة ، تنهّد خلالها فى عمق ، قبل أن يجيب :

ـ الشىء الوحيد ، الذى يمكن أن يعنيه ، هو أن (أكرم) لم يغادر سيارته أبدًا .

تراجع رأسها بنفس الحركة الحـادة ، واتسـعت عيناها عن آخرهما ، فأكملت (نشوى) فى توتر :

ـ لقد اختفى وهو داخلها .

صرخت (مشيرة) بكل انفعالها :

ـ كيف ؟!

أجابتها (سلوى) هذه المرة فى حزم :

ـ هذا ما نواصل البحث عنه ، بكل ذرة فـى كياننا يا (مشيرة) .

تردَّد (نور) لحظة ، ثم قال فى صرامة :

ـ ولكننا سنضطر للتوقُّف مؤقتًا .

هتفت (مشيرة) بانزعاج مذعور مستنكر :

ـ التوقُّف ؟! هل تقول التوقُّف ؟!

شدَّ (نور) قامته ، قائلاً :

ـ إنه نداء الواجب .

صرخت :

ـ الواجب ؟! أى واجب ياسيادة المقدِّم ؟! ألا تعتبر السعى لاستعادة زميلك واجبًا مقدّسًا ؟!

أجابها فى حزم صارم :

ـ هنـاك واجب أكثر قداسـة يا (مشيرة) .. واجبنا تجاه الوطن .. تجاه (مصر) .

صاحت فى غضب :

ـ وهل من المحتَّم أن تتخلَّى عن زميلك وصديقك ، لتلبى واجبك تجاه (مصر) ؟!

تنهَّد مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ (مشيرة) .. عندما التحقنا بالمخابرات العلميـة ، أقسمنا على أن نضـع أمـن وسـلامة الوطـن فوق كـل اعتبار .. كلنا أقسمنا بهـذا ، حتـى (أكرم) نفسـه ، ولو أنه فى موضعى ، لما تردَّد فى بذل حياته نفسـها ، لو اقتضى الأمر ، فى سبيل واجبه .

غمغم (رمزى) :

ـ هذا صحيح .

نقلت (مشيرة) بصرها بينهما فى غضب ، ثم انتفض جسدها كله ، وهى تقول فى ثورة :

- كان ينبغى أن أتوقَّع هذا .. كان ينبغى أن أتوقَّعه .

قالتها ، ثم اندفعت تغادر المكان ، فى غضب عارم ، فران الصمت بعدها ، على نحو ثقيل مهيب ، قبل أن تقطعه (نشوى) ، متمتمة :

- هل سنضطر فعلاً لإيقاف البحث عما أصاب (أكرم) ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ؛ ليتغلَّب على تلك الغصّة فى حلقه ، قبل أن يجيب فى صوت متحشرج :

- لدينا مهمة جديدة .

تساءلت (سلوى) فى توتر :

- أية مهمة ؟!

وهنا تغلَّب (نور) على مشاعره وانفعاله ، وهو يقول فى حزم :

- مهمة مخيفة .. جدًا .

وراح يشرح لهم القضية كلها ..

قضية الثعابين ..

* * *

تطايرت سحب الرمال مرة أخرى ، فى منطقة المنجم القديم المهجور ، فى (جبل الطور) ، مع هبوط حوَّامة فريق (نور) ، التى استقرَّت على مسافة عشرين مترًا من مدخل المنجم ، وقائدها يتساءل فى اهتمام :

- هل يبدو لكم هذا المكان مناسبًا ، لمعسكركم العلمى ؟!

أجابته (سلوى) فى حزم :

- ليس لدينا خيار آخر .. الكمبيوتر هو الذى اختار المكان ، بعد دراسة كل المعطيات المطلوبة .

ابتسم (رمزى) ابتسامة باهتة ، وهو يتمتم فى خفوت :

- لو أن (أكرم) معنا الآن، لاستنكر بشدة أن يقودنا جهاز كمبيوتر، إلى حيث نقيم معسكرنا العلمى .

انعقد حاجبا (نور) دون أن يعلّق على قول (رمزى)، فى حين غمغمت (نشوى)، فى حزن شارد :

- بالتأكيد .

التقط (نور) نفسًا عميقًا، وشدّ قامته، وهو يغادر الحوّامة، قائلاً فى حزم صارم :

- الأفضل أن نبدأ على الفور، وأن نركّز تفكيرنا على عملنا فقط، فأمامنا هنا الكثير لنفعله .

غادر الباقون الحوّامة بدورهم، وتعاونوا على إقامة خيمة مكيّفة الهواء، لاتخاذها مقرًا مؤقتًا للفريق، وحولها أماكن الإقامة والمعيشة، ثم نقلوا أجهزتهم إليها، قبل أن يعتدل قائد الحوّامة، قائلاً :

- والآن، هل ستحتاجون إلى وجودى الدائم هنا ؟!

أشار إليه (نور) مجيبًا :

- كلاً .. تعاون معنا فحسب، على إحاطة المكان بالحاجز الواقى، ثم يمكنك العودة إلى (القاهرة) .

قالت (سلوى) فى سرعة :

- ولكن ابق مستعدًا طوال الوقت؛ للحضور بأقصى سرعة، إذا ما استدعيناك .

ابتسم قائد الحوّامة، مغمغمًا :

- بالتأكيد يا سيدتى .. بالتأكيد .

كان ذلك الحاجز الواقى، الذى تحدّث عنه (نور) عبارة عن مجموعة من الأعمدة، أحاطت بالمعسكر المؤقّت، وانطلقت فيما بينها موجهات كهرومغنطيسية قوية؛ لتصنع حاجزًا منيعًا، من الطاقة غير المرئية، يستحيل عبوره دون جهاز خاص، مثبت فى حزام كل منهم ..

وبعد انتهاء تركيب الحاجز وتشغيله، استغل القائد

حوامته ، وارتفع بها ، عائدًا إلى (القاهرة) ، وتاركًا الفريق خلفه ، و(نشوى) تغمغم فى عصبية :

ـ كنت أفضّل أن يبقى .

أجابها (نور) ، وهو يلتقط حقيبة كبيرة :

ـ ما سنفعله هنا مازال يندرج تحت بند (السرية المطلقة) ، وهذا يمنع تواجده طوال الوقت .

فتح الحقيبة ، والتقط منها زيين خاصين ، ألقى أحدهما إلى (رمزى) ، وهو يقول فى حزم :

ـ والآن يا رفاق ، دعونا نبدأ عملنا على الفور .

بدأت (سلوى) و(نشوى) فى إعداد أجهزتهما ، فى حين راح (رمزى) يرتدى ذلك الزى ، الذى ألقاه إليه (نور) ، وهو يتساءل :

ـ ما الذى سنفعله بالضبط ؟!

ارتدى (نور) زيه بدوره ، وهو يقول :

ـ فريق النجدة ، الذى وصل إلى هنا بعد الحادث ،

فحص كل شبر فى المنجم ، دون أن يعثر على أدنى أثر للضحايا ، الذين اختفوا تمامًا ، ولم يعثر أيضًا على تلك الثعابين المزعومة ، ومهمتنا أن نعيد عملية البحث والفحص ، بأسلوبنا نحن ، وأدواتنا نحن .

غمغمت (سلوى) :

ـ وهل تعتقد أن هذا سيصنع فارقًا ؟!

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ فلنتأمل هذا .

ثم عاد يشدّ قامته ، متابعًا :

ـ هذه الأزياء التى نرتديها ، (رمزى) وأنا ، ستجعل رصدنا سهلاً وممكنًا ، مهما توغلنا فى أعماق المنجم ، وسنحمل معنا نفس ما حمله أفراد الفريق الأول .. آلة تصوير ، وثلاثة مقاييس طيفية ، وأجهزتكم هنا ستفحص وتحلّل كل ماترسله الآلة ، أولاً فأولاً ، بالإضافة إلى رصد حركتنا ، وأية حركة أخرى داخل المكان .

أشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

ـ جهازى سيلتقط أى انبعاث حرارى من داخل المنجم ، سواء أكان من جسديكما ، أو من أى مخلوق حى آخر .

قال (نور) :

ـ عظيم .. المهم أن يظلَّ الاتصال بيننا موجودًا طوال الوقت .

ازدرد (رمزى) لعابه ، مغمغمًا فى توتر :

ـ وماذا لو هاجمتنا تلك الثعابين فى الداخل ؟!

تنهَّد (نور) وهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ سيدهشنى هذا كثيرًا فى الواقع ، فالسؤال الذى سيطرح نفسه عندئذ هو : من أين تأتى بالضبط ؟!

ضغطت (نشوى) أزرار جهازها ، وتطلَّعت إلى شاشته بضع لحظات ، قبل أن تقول :

ـ وسيدهشنى أكثر ، لأن الأجهزة لاتلتقط أى انبعاث حرارى ، أو أية حركة فى الداخل .

تساءل (رمزى) بنفس التوتر :

ـ وماذا لو أن أجسام تلك الثعابين لاتبعث حرارة يمكن التقاطها ؟!

هزَّت (سلوى) رأسها مجيبة :

ـ كل كائن حى ، لابد أن ينبعث من جسده قدر ما من الحرارة ، الناشئة من عملياته الحيوية على الأقل(*) ..

قال (رمزى) فى عصبية :

ـ إنه مجرَّد افتراض .

أجابه (نور) هذه المرة :

ـ ومن أجل هذا الافتراض أحضرنا هذه .

استدار إليه (رمزى) متسائلاً ، فألقى إليه (نور) بندقية قوية ، من بنادق الليزر ، ورفع أخرى أمامه ، مستطردًا :

ـ وسننسفها نسفًا ، لو تصوَّرت أننا فريسة سهلة .

(*) حقيقة ..

فحص (رمزى) سلاحه ، وهو يقول :

ـ تذكَّر أنها تنفث سمها فى وجوه ضحاياها .

منحه (نور) ابتسامة واثقة ، قائلاً :

ـ لماذا الزى والخوذة الواقية إذن يا صديقى ؟!

أومأ (رمزى) برأسه متفهمًا ، ثم ارتدى خوذته ، وأحكمها حول رأسه ، قبل أن يحمل سلاحه فى قوة ، قائلاً :

ـ أنا مستعد .

أشار إليه (نور) ، قائلاً فى حزم :

ـ هيا بنا إذن .

اتجها معًا إلى الحاجز الواقى ، وضغط كل منهما زر ذلك الجهاز فى حزامه ، حتى يمكنهما عبوره ، وانبعث من جسديهما صوت أشبه بقرقعة النيران لحظة ، فى أثناء تجاوزهما الحاجز الكهرومغنطيسى ،

وما إن أصبحا خارجه ، حتى هتفت بهما (سلوى) :

ـ احرصا على نفسيكما جيدًا .

لوَّح (نور) بيده ، هاتفًا :

ـ سنحرص على نجاح المهمة .

غمغمت فى توتر :

ـ هذا ما أتوقعه دومًا .

أما (نشوى) ، فقد تابعتهما ببصرها ، وهما يتجهان نحو مدخل المنجم القديم ، وتمتمت :

ـ لولا أننى أعلم أين نحن ، لبدوا لى ، بزيهما هذا ، وكأنهما فى مهمة على سطح المريخ .

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تتمتم بدورها :

ـ هذا صحيح ..

لم يكن صوتها وحده يرتجف ، وإنما قلبها أيضًا ،

وبالذات فى تلك اللحظة ، التى اختفى فيها جسداهما ، داخل المنجم القديم ؛ فقد التهب عقلها وقلبها لحظتها بسؤال رهيب مخيف ..

تُرى هل سيكتب لها أن تراهما مرة أخرى ؟!

هل ؟!

* * *



٣ ـ الأعماق ..

« ألن يتوقَّف هذا الأمر أبدًا ؟! »

تردَّدت العبارة فى عقل (أكرم) ، وجسده يواصل ذلك الاندفاع العجيب غير المميَّز ، بين التاريخ والعصور ..

وعلى الرغم من خطورة ورهبة الموقف كله ، لم يكن هذا أكثر ما يشغل عقله ..

كان هناك أمر يقلقه أكثر ..

بل يفزعه ..

وإلى أقصى حد ..

ففى عقله ، انغرست ذاكرة أخرى مخيفة ..

ذاكرة (أكرم) آخر ..

من زمن آخر ..

الآن فقط أدرك ما أصابه ..

وكيف حدث ؟!

إنها حالة فريدة ، تحدث لأوَّل مرة ..

لقد عاد هو من مستقبله ؛ لينقذ الأرض من غزو زمنى رهيب ..

ولقد نجح فى مهمته[*] ..

ولكنه ارتطم بحقيقة مخيفة ، تتعلَّق بالسفر عبر الزمن ..

لا يمكن أن يتواجد شخص واحد بجسدين ، من زمنين مختلفين ، فى زمن واحد ..

وهذا ما فعله هو ، عندما عاد من المستقبل ، لينقذ الأرض فى زمن ، لم يكن قد غادرها فيه بعد ..

وهكذا حدث الخلل الزمنى العنيف ..

وعلى الرغم من أن تواجده المزدوج هذا لم يستغرق سوى ثانية واحدة ، إلا أن تأثيره كان قويًّا ..

عنيفًا ..

رهيبًا ..

(*) راجع قصة (قراصنة الزمن) .. المغامرة رقم (١٤٠) .

لقد مزج العقلين معًا .. الحالى والمستقبلى ، ثم ألقى الجسد الممتزج عبر الزمان ..

بلا قيود ..

وبلا حدود ..

وهكذا انطلق جسده عبر نهر الزمن ..

وبمنتهى السرعة ..

انطلق على نحو لا يمكن أن يستوعبه عقل بشرى عادى ، ولا يمكن أن تصفه قوانين الحركة التقليدية المعروفة ..

فهناك ، حيث لا وجود للأبعاد الأربعة[*] ، من العسير أن يحدِّد المرء إلى أين ينطلق بالضبط ..

ولكن انطلاقة عقله كانت أكثر قوة من انطلاقة جسده ..

(*) قبل أن يعلن (ألبرت أينشتين) نظريته (النسبية الخاصة) ، عام ١٩٠٥ م ، كان العلم يعتبر أنه لا وجود إلا للأبعاد الثلاثة .. الطول والعرض ، والارتفاع .. ثم أضاف إليها (أينشتين) البعد الزمنى ، ليصبح عالمنا ، علميًّا ، عالم له أربعة أبعاد وليس ثلاثة .

لقد أصبح وحده يعرف ما حدث ..

وحده يعلم ما لا يعلمه الآخرون ..

عقله ، الذى امتزج حاضره بمستقبله ، يدرك أن الأرض كانت تواجه ذلك الخطر ..

ولا أحد آخر يمكن أن يعلم هذا ..

أو يدركه ..

أو حتى يستوعبه ..

ولكن السؤال الآن هو : إلى متى سيواصل جسده تلك الانطلاقة الرهيبة ، عبر الزمن والتاريخ ؟!

إلى متى سيحتمل عقله ذلك التعاقب السريع ، بين الليل والنهار ؟!

ذلك الامتزاج المتواصل ، بين مشاهد التاريخ المختلفة ؟!

وهذا يقوده إلى السؤال الأكثر خطورة : تُرى هل يمكن أن يعود إلى واقعه وحاضره وعالمه يومًا ؟!

هل ؟!

وبقى سؤاله الحائر بلا جواب ، يواصل الانطلاق مع جسده ..

عبر الزمن ..

* * *

أضاء مصباحا (نور) و(رمزى) الطريق أمامهما ، عبر المنجم القديم ، الذى بدا ساكنًا هادئًا ، كدأبه طوال الأعوام الطويلة الماضية ..

وباستثناء آثار زحف تلك الثعابين الضخمة المزعومة، الذى أفسدته أقدام فرق التفتيش والبحث ، لم يكن هناك أى أثر آخر ، يمكن أن يوحى بالموقف الرهيب الذى شهدته تلك الجدران الصخرية المهجورة ، منذ أيام قليلة ..

وبينما تنقل آلة التصوير كل التفاصيل ، إلى الأجهزة الموجودة بالخارج ، والمحاطة بالحاجز الكهرومغنطيسى الواقى ، راح (نور) و(رمزى) يتوغلان فى المنجم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى اهتمام ، سأل (نور) زوجته ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ هل رصدت أجهزتكما ما لم ترصده عيوننا ؟!

أتاه صوتها ، وهى تجيب فى توتر :

ـ مطلقًا .. كل شىء يبدو هادئًا ، وباستثنائكما ، لايوجد أى جسد حى أو متحرك .

توقَّف (نور) عند كومة ضخمة من الأحجار ، تسدّ جزءًا من المنجم ، وفحصها بضوء مصباحه بضع لحظات ، قبل أن يسأل ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ ألديكما خريطة قديمة للمنجم ؟!

أتاه صوت (نشوى) قائلة :

ـ كلاَّ ، ولكننى أستطيع جلبها ، عبر الأقمار الصناعية ، من شبكة المعلومات الدولية .. امهلنى ثلاث دقائق فحسب .

غمغم (نور) :

ـ فليكن .

فحص (رمزى) كومة الأحجار بمصباحه أيضًا ، قبل أن يسأل (نور) :

ـ ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط ؟!

أجابه (نور) ، وهو يواصل فحص كومة الأحجار :

ـ من الواضح أن أحدًا لم يحاول رفع هذه الأحجار ، باعتبار أنه لا شىء يمكن أن يأتى من ناحيتها .

غمغم (رمزى) فى حذر :

ـ هذا أمر طبيعى .

هزّ (نور) رأسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ خطأ !

سأله (رمزى) فى حذر أكثر ، وضوء مصباحيهما يغمر كومة الأحجار ، التى بدت وكأنها هناك منذ الأزل :

ـ وما الخطأ فى هذا ؟!



قالها ، واقترب من كومة الأحجار ، ومدَّ يده يتحسَّسها فى اهتمام ..

أجابه (نور) ، فى حزم أكثر :

ـ الخطأ هو أننا نواجه أمرًا غير طبيعى ، ولا ينبغى أبدًا أن نفكر بأسلوب طبيعى .

تساءل (رمزى) فى حيرة :

ـ وهل تعتقد أنه من الممكن أن يأتى أى شىء ، من خلف هذه الكومة ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ فى موقف كهذا ، ينبغى أن نتوقَّع أى شىء .

قالها ، واقترب من كومة الأحجار ، ومدّ يده يتحسَّسها فى اهتمام ، قبل أن يعتدل ، ويقول فى قوة :

ـ الآن أنا واثق مما ذهبت إليه شكوكى .

تساءل (رمزى) فى دهشة متوترة :

ـ واثق من ماذا ؟!

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ المس هذه الأحجار ، وستدرك ما أعنيه .

مَدّ (رمزى) يده فى حذر ، وتحسَّس الأحجار ، قبل أن يغمغم :

ـ ماذا بها ؟! إنها تبدو لى عادية طبيعية .

سأله (نور) :

ـ وماذا عن الغبار والرمال ؟!

تساءل (رمزى) وقد تضاعف حذره :

ـ ماذا عنهما ؟!

رفع (نور) يده أمامه ، قائلاً :

ـ إنهما يكسوان كل شىء هنا ، مع إغلاق المنجم لسنوات وسنوات ، وعلى الرغم من هذا ، فلا أثر لهما على تلك الأحجار .

انتبه (رمزى) إلى هذا الأمر فجأة ، فهتف :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح .

أشار (نور) بسَبّابته ، قائلاً :

ـ هذا يعنى أننا أمام محاولة ذكيه ؛ لإخفاء أمر ما يا صديقى .

هتف (رمزى) فى انفعال :

ـ إخفاء ماذا ؟! ولماذا ؟!

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا ما سنسعى لكشفه يا صديقى .

ثم قال ، عبر جهاز الاتصال :

ـ (سلوى) .. (نشوى) .. هل التقطتما هذا ؟!

أتاه صوت (سلوى) ، وهى تقول فى توتر بالغ :

ـ نعم ، ولكنه يملأ نفسى رعبًا يا (نور) .

ثم جاء صوت (نشوى) وهى تهتف :

ـ هذه الأحجار تخفى البئر القديمة .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ أية بئر ؟!

أجابته فى حماسة :

- ها هى ذى الخريطة أمامى ، وبها إشارة إلى وجود بئر قديمة هنا ، ولكن ما حصلت عليه من معلومات ، عبر الشبكة الدولية ، لم يشر إلى أهميتها أو فائدتها .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- عجبًا ! المفترض أن تحوى الوثائق كل شىء عن المكان ، بكل التفاصيل .

أجابته فى سرعة :

- من الواضح أن بعضهم قد محا المعلومة لسبب ما ، ولكنه لم يحذف البئر من خريطة المنجم القديمة .

صمت (نور) بضع لحظات ، وضوء مصباحه يفرز تلك الأحجار مرة أخرى ، قبل أن يسألها فى اهتمام حازم :

- ما السبب الحقيقى ، الذى ذكرته شبكة المعلومات ، لإغلاق هذا المنجم فى الماضى ؟!

هتفت (نشوى) فى دهشة ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

- أبى .. كيف علمت أنه هناك سبب غير تقليدى ؟!

أجابها فى حسم :

- مجردَّ استنتاج .

بدا مزيج من الدهشة والإعجاب فى صوتها ، وهى تقول :

- استنتاج رائع يا أبى ، فالواقع أن المنجم لم يتم إغلاقه بسبب نفاد المادة الخام ، كما يحدث فى المعتاد ، وإنما بسبب بعض حوادث الاختفاء ، التى ظلَّت بلا تفسير ..

سألها فى اهتمام أكثر :

- ومتى حدث هذا ؟!

أجابته فى سرعة :

- بعد عامين فحسب من تحرير (سيناء) ، واستعادتنا للمنجم من الإسرائيليين .

انعقد حاجباه ، وهو يسألها :

ـ وكم بلغت نسبة الإنتاج ، قبل إغلاق المنجم ؟!

أجابت فى اهتمام :

ـ أقل من المتوسِّط .

هزَّ رأسه متمتمًا :

ـ هذا ما توقَّعته .

عاد (رمزى) يسأله :

ـ (نور) .. ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه ، متمتمًا :

ـ لم يحن وقت الاستنتاجات بعد .

ثم أشار إلى كومة الأحجار ، مستطردًا فى حزم :

ـ دعنا نشق طريقنا إلى تلك البئر أوَّلاً .

مَد يده ، يلتقط حجرًا من الكومة ، و ....

وبكل دهشته ، هتف متراجعًا :

ـ إنها ليست كومة أحجار .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ـ ليست ماذا ؟!

حاول أن يلتقط حجرًا بدوره ، عندما أدرك ما يعنيه (نور) بقوله هذا ..

فما بدا أشبه بكومة من الأحجار ، لم يكن فى الواقع سوى صخرة واحدة كبيرة ، تم نحتها بمنتهى الدقة ، لتبدو أشبه بكومة أحجار فى الركن ..

وبكل دهشته ، هتف (رمزى) :

ـ رباه ! إنها وسيلة بشرية لإخفاء مدخل البئر .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بالضبط .

ثم عاد يفحص تلك الكومة الزائفة من منظور جديد ، مستطردًا :

ـ وهناك وسيلة ما لتحريكها حتمًا .

أتاه صوت ابنته (نشوى)، عبر جهاز الاتصال الخاص، وهى تقول:

- أبى .. صِلْ جهاز الاتصال بتلك الصخرة، واترك لى الباقى.

غمغم (نور)، وهو يلصق جهاز الاتصال بالصخرة:

- فليكن.

ومن موقعها، ضغطت (نشوى) أزرار جهازها فى سرعة، وغمغمت:

- أبى على حق مرة أخرى .. هناك مجال كهرومغطيسى محدود، حول تلك الصخرة، وهذا يعنى أنه هناك أسلوب إليكترونى لتحريكها.

سألتها (سلوى)، فى اهتمام قلق:

- وهل يمكنك التعامل معه ؟!

أجابتها فى حسم، وأصابعها تتواثب على أزرار جهازها:

- بالتأكيد .. إنه نظام قديم يعود إلى أوائل السبعينات، من القرن العشرين، ويمكننى السيطرة عليه، خلال عشرين ثانية فحسب.

مع آخر حروف كلماتها، أصدر جهازها رنينًا خافتًا، فى نفس اللحظة التى تحركت فيها تلك الصخرة التمويهية حول نفسها، لتكشف مدخل البئر القديمة، فغمغم (رمزى) فى إعجاب، امتزج بتوتر الموقف:

- (نشوى) هذه عبقرية بحق.

تمتم (نور)، وهو يوجِّه ضوء مصباحه إلى البئر:

- هذا صحيح.

لم يكن الأمر يحتاج إلى كثير من الذكاء، ليدرك المرء، من النظرة الأولى، أن البئر قد استخدمت، منذ فترة قليلة؛ فقد كانت الجدران نظيفة إلى حد ما، وهناك سلم معدنى، مثبت فيها، ويمتدّ إلى أعمق أعماق البئر ..

وفى اهتمام ، سأل (نور) ابنته ، عبر جهاز الاتصال :

- كم يبلغ عمق البئر فى الخرائط ؟!

أجابته فى حيرة :

- ليس كما يبدو هنا .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت :

- الخرائط تقول : إن عمقها لايتجاوز الأمتار الستة .

تبادل (نور) نظرة صامتة متوترة مع (رمزى) ، قبل أن يقول هذا الأخير :

- إنها تبدو أكثر من ثلاثين مترًا على الأقل .

كان ضوء مصباحيهما يغمر البئر ، عندما حدثت تلك الحركة فجأة ..

شىء ما تحرك ، تحت ضوء المصباحين ، فى أعماق البئر ..

شىء لمحته عيونهما ، وسجلته عدسة آلة التصوير ، لنصف ثانية فحسب ، قبل أن يخرج من مجال الرؤية ، ويغيب وسط الظلام ..

وفى انفعال جارف ، هتف (رمزى) :

- ما هذا بالضبط ؟!

هتف (نور) بزوجته ، عبر جهاز الاتصال :

- (سلوى) .. هل سجلت هذا ؟!

أجابته (سلوى) فى انفعال ، وهى تضغط أزرار جهازها :

- بالتأكيد .

سألها فى توتر :

- ما ماهيته بالضبط ؟!

أتاه صوت (نشوى) هذه المرة ، وهى تقول :

- سنعمل على تحليل الصورة فورًا .

راحت كلتاهما تعملان بكل جهدهما ، فى محاولة لتكبير الصورة ، وإبطائها ، وتحليل ماهية ذلك الشىء ، الذى تحرَّك فى قاع البئر ، لنصف ثانية فحسب ، فى حين تساءل (رمزى) فى توتر ، داخل المنجم :

ـ أتعتقد أن هذا أحدها ؟!

لم يجب (نور) على الفور ، وهو يفحص قاع البئر بمصباحه الضوئى ، فأضاف (رمزى) فى عصبية :

ـ أعنى تلك الثعابين !

غمغم (نور) فى اقتضاب :

ـ ربما .

كان هناك شىء ما يقلقه ، ويعربد فى أعماقه ..

شىء يربط بين تلك المعطيات ، التى اختنق بها عقله ..

الاحتلال الإسرائيلى لـ (سيناء) ..

السيطرة الصهيونية على المنجم ..

حرب أكتوبر ١٩٧٣م ..

استعادة (سيناء) ..

ومناجمها ..

انخفاض إنتاجية المنجم ..

حالات الاختفاء الغامضة ..

إغلاق المنجم ..

والثعابين ..

الكلمة الأخيرة راحت تتكرَّر فى ذهنه ، على نحو متصل ، وهو يتطلَّع إلى أعماق البئر ، حيث بدا من الواضح أنها تنتهى بفجوة كبيرة ..

فجوة لم تكن موجودة من قبل ، وفقًا للخرائط القديمة المعتمدة ..

وفى أعماقه ، امتزجت الكلمتان واختلطتا ، وبدتا وكأنهما تحملان الإيقاع نفسه ..

كلمتا الإسرائيليين .. والثعابين ..

هناك حتمًا تشابه ما ..

وتقارب ما ..

و ....

« يا إلهى ! (نور) .. »

صرخ (رمزى) بالكلمة ، فانتزعت (نور) من أفكاره فى عنف ، وجعلته يلتفت إليه ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار (رمزى) بسبَّابته ، إلى عمق المنجم ، فى نفس اللحظة ، التى ارتفع فيها صوت (سلوى) ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى ! هناك شىء يتحرَّك .

غمر (نور) عمق المنجم بضوء مصباحه القوى ، وهو يتساءل فى توتر ، وبندقيته الليزرية تتحفز ، فى يده الأخرى :

ـ ما ماهيته ؟!

أجابته فى توتر :

ـ لست أدرى .. أجهزتنا لاتسجّل أى انبعاث حرارى ، سوى ما يبعثه جسداكما .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وتحفَّزت بندقيته الليزرية أكثر وأكثر ، وضوء مصباحه يبحث عن أى جسم متحرِّك ..

أى جسم ..

« خلفك يا (نور) .. »

انبعث صوت (سلوى) ، بصرختها تلك ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، فاستدار (نور) بكيانه إلى ما خلفه ، و ....

ولم يكن هناك شىء !!

أى شىء !!

فقط جدران المنجم الصامتة الساكنة ..

« كان هناك شىء ما يتحرَّك خلفك يا (نور) .. »

هتفت (سلوى) بالعبارة ، عبر جهاز الاتصال ، وبدا صوتها شديد التوتر والعصبية ، وهى تتابع :

- لقد سجلته الأجهزة هنا .

غمغم (رمزى) فى توتر ، وهو يتلفَّت حوله :

- (نور) .. ماذا يحدث هنا ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً فى حذر :

- لست أدرى .. هناك شىء ما ، يحاول تشتيت انتباهنا .

غمغم (رمزى) ، وهو يواصل التلفُّت حوله فى عصبية :

- أتعشَّم أن يكون هذا هو الهدف الوحيد .

قال (نور) فى صرامة ، لم تخل من التوتر :

- إنهم يحاولون منعنا من فحص البئر .

التفت إليه (رمزى) بحركة حادة ، قائلاً :

- من هم يا (نور) ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يجيب فى حزم :

- الثعابين .

سرت قشعريرة باردة كالثلج ، فى جسد (رمزى) ، مع نطق (نور) للكلمة ، وعاد يتلفَّت حوله ، فى عصبية بالغة ، وبصره يرتجف مع تلك الظلال والتكوينات العشوائية ، التى يصنعها ضوء مصباحه على الجدران ..

أما (نور) ، فقد بدا أكثر حزمًا وصرامة ، وهو يقول :

- لا بدّ أن نهبط لفحص أعماق البئر .

اتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يحدّق فى البئر ، هاتفًا فى استنكار :

- نهبط هناك ؟! قبل أن نتبين ماهية ذلك الشىء ، أو تلك الأشياء ، التى تتحرَّك فى الأعماق .

لوَّح (نور) ببندقيته الليزرية ، وهو يقول فى صرامة :

- لو أن (أكرم) هنا ، لما تردَّد لحظة واحدة ، فى أن يهبط معى إلى أعماق الجحيم ، لو اقتضى الأمر .

هتف (رمزى) فى غضب :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

عضَّ (نور) شفته السفلى ، وهو يتمتم :

- لا يعنى سوى أننى أفتقده .

واستدار إلى (رمزى) ، وربَّت على كتفه ، مستطردًا :

- وبشدة .

تمتم (رمزى) :

- كلنا نفتقده يا (نور) .

ثم شدَّ قامته فى حزم ، مستطردًا :

- ولكننى سأتبعك إلى أى مكان تذهب إليه .

أتاهما صوت (نشوى) ، وهى تقول فى توتر شديد :

- الأفضل أن نؤَجل هذا إلى الصباح ، فالشمس تغرب الآن بالفعل ، وأجهزتنا لم تحدد هوية ذلك الشىء ، الذى يتحرَّك فى أعماق البئر بعد .

عقد (نور) حاجبيه مرة أخرى ، قائلاً :

- شروق الشمس أو غروبها لا يعنينا هنا ، ثم إننى أفضِّل الطرق على الحديد وهو ساخن ، ولا أحد يدرى ما الذى يمكن أن يحدث خلال الليل .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم صارم :

- سنهبط إلى أعماق البئر الآن .

لم يكد يتمَّ عبارته ، حتى انبعث فى المنجم كله فحيح قوى ..

فحيح رهيب ، بدا وكأنه ينبعث من ألف ثعبان ..

أو يزيد ..

* * *

٤ ـ فحيح ..

فجأة ، ظهرت تلك البقعة من الضوء ، من بعيد ..

بعيد جدًا ..

ولأول مرة ، منذ وجد نفسه فى هذا الموقف الرهيب ، أصبح بإمكان (أكرم) أن يعرف إلى أين يتجه ..

فبنفس السرعة المخيفة ، راح جسده يندفع نحو تلك البقعة من الضوء ..

وفى حيرة ، راح يتطلع ، وهو يستعيد كل ما قرأه فى حداثته ، حول ما عرف أيامها باسم تجارب الاقتراب من الموت ..

تلك التجارب ، التى مرّ بها بشر ، دنوا من الموت ، حتى صاروا قاب قوسين أو أدنى منه ..

أناس توقفت قلوبهم ..

أو انهارت دوراتهم الدموية ..

أو حتى توقفت أمخاخهم لحظات ، قبل أن تعيدهم الخبرات الطبية ، والجهود العلمية القوية إلى حالة الوعى والوجود ..

كل هؤلاء اتفقوا على أنهم ، فى تلك اللحظات ، رأوا أنفسهم فيما يشبه نفقًا طويلاً ، فى نهايته ضوء مبهر(*) ..

وهو لم يقتنع بهذا الأمر أبدًا ..

عقيدته وعقله منعاه من الاقتناع ، بأن أى كائن كان ، يمكن أن يقترب من الموت ، إلى هذا الحد ..

ومازال يرفض هذا بشدة ..

وللأسباب نفسها ..

(*) المعلومة تعود إلى دراسات ضخمة ، قام بها علماء الغرب ، وتم نشرها فى مئات الرسائل والأبحاث العلمية ، وفى مجلات طبية جادة وشهيرة ، وأطلق عليها اسم (العودة من الموت) ، وصدرت بشأنها عشرات الكتب العلمية ، وربما لأن معظم العلماء ، الذين شاركوا فى هذه التجارب ، لا يستندون إلى خلفية عقائدية متينة .

لقد مال دومًا للاقتناع بالرأى العلمى الطبى ، الذى اعتبر أن ما رآه أولئك الأشخاص ، ليس سوى نوع من الهلوسة ، التى يسببها نقص الأكسجين عن المخ ، وأنها تنتهى بانتعاشه مرة أخرى ..

ولكنه الآن ينطلق وسط الفراغ ..

وها هى ذى بقعة الضوء ..

ولكن عقله ما زال يرفض الفكرة ..

وبشدة ..

هناك إذن تفسير آخر حتمًا ..

تفسير يتعلَّق بالزمن ..

وبالانطلاق عبر الزمن ..

وعبر التاريخ ..

ربما كانت تلك البقعة من الضوء هى نقطة البداية ..

بداية الزمن ..

أو بداية التاريخ ..

أو ربما هى النهاية ..

سرى فى جسده توتر عنيف ، عندما جالت الفكرة الأخيرة بذهنه ، وعاد يتطلَّع إلى تلك البقعة الضوئية ، التى تقترب وتتضخَّم فى سرعة ، من منظور جديد ..

منظور متشائم ..

فلسبب ما ، لم يدر ماهيته بالضبط ، راوده يقين بأن وصوله إلى تلك البقعة الضوئية يعنى نهايته ..

وعلى نحو بشع ..

وبكل إرادته وقوته ، حاول أن يقاوم ..

أن يسيطر على جسده ..

على كيانه ..

أن يتوقَّف على الأقل ..

ولقد حاول ..

وحاول ..

وحاول ..

ولكن شيئًا ما كان يمنعه من السيطرة على حركة جسده ، واندفاعته المخيفة ، نحو بقعة الضوء ، التى تقترب وتتضخم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع ذلك الشىء الأشبه باللهب ، الذى بدأ يتضح فى قلب بقعة الضوء العجيبة المخيفة ، تأكد شعوره بأنها تحمل إليه الهلاك ..

والضياع ..

والفناء ..

لذا فقد عاد يقاتل فى استماتة ، محاولاً منع جسده من الاندفاع نحوها ، بهذه السرعة الرهيبة ..

ثم أدرك أخيرًا أنه لا فائدة ..

اندفاعته السريعة ، عبر نهر الزمن ، تمنعه من السيطرة على أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

وهذا يعنى النهاية حتمًا ..

نهايته ..

وأمام عينيه ، تضخم الضوء ، واحتل معظم مجال الرؤية ، فى حين بدا ذلك اللهب فى أعماقه رهيبًا ..

رهيبًا ..

حتى آخر مدى ..

ونحوه مباشرة ، راح جسده يهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

بلا أمل ..

* * *

تحرك حاجز معدنى ضخم ، ليكشف حجرة واسعة ، فى منطقة غير عربية ، فى الشرق الأوسط ، ونهض رجل ضخم الجثة ، أشيب الشعر ، غليظ الملامح ، من خلف مكتب كبير ، داخل تلك الحجرة ، ليستقبل آخر

نحيل القوام ، متين البنيان ، بادى التوتر ، وخاصة عندما صافحه الأشيب ، متسائلاً :

ـ ما تلك الأمر المهم ، الذى طلبت مقابلتى بشأنه ، على وجه السرعة ؟!

ازدرد النحيل لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ المصريون سيعيدون افتتاح ذلك المنجم .

سأله الضخم فى حذر :

ـ أى منجم ؟!

بدا النحيل شديد التوتر ، وهو يجيب :

ـ منجم (جبل الطور) .

التقى حاجبا الضخم الكثين ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ وما الذى دفعهم إلى هذا ؟!

أجابه النحيل فى عصبية :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .

سأله الضخم فى غلظة ، وهو يمرّر أصابعه المكتظة على شعره الأشيب :

ـ ما المهم إذن ؟!

أجابه النحيل ، فى عصبية أكثر :

ـ مشروعنا .. ذلك المشروع الذى بدأناه فى أوائل سبعينات القرن العشرين ، لضمان تواجدنا فى أعماق المصريين ، والذى تطوّر مع بداية القرن الحادى والعشرين ؛ لانتاج جيشنا الخاص ، الذى لايمكن قهره أبدًا .

تراجع الضخم فى مقعده مرة أخرى ، وراح يحك ذقنه بسبّابته بعض الوقت ، وهو يرمق النحيل بنظرة نارية ، قبل أن يقول فى غلظة :

ـ هات ما لديك يا رجل .

بذل النحيل جهدًا خرافيًا هذه المرة ، فى محاولة لازدراد لعابه ، عبر حلقه الذى صار أكثر جفافًا من رمال الصحراء ، قبل أن يقول بصوت متحشرج :

- تلك المرحلة من مشروع الثعابين ، خرج عن الإطار المرسوم له .

دفع الضخم جسده إلى الأمام ، وهو يهتف :

- أية مرحلة ؟!

مال النحيل نحوه بدوره ، وهو يجيب ، فى شىء من الحدة :

- المرحلة الثالثة .

انعقد حاجبا الضخم بشدة ، وهو يتراجع مرة ثالثة فى بطء ، قبل أن يقول فى صرامة غاضبة :

- ما كان ينبغى أن يحدث هذا .

قلب النحيل كفيه ، قائلاً :

- من كان يتصوَّر أن يحاولوا إعادة افتتاح المنجم ، بعد كل ما فعلناه فى السابق ؛ لإبعادهم عنه ، وإخافتهم منه ؟!

مطَّ الضخم شفتيه الغليظتين ، على نحو زاد من قبح ملامحه ، وهو يقول فى غضب صارم :

- كان المفترض أن يتم إعدام كل العينات .

تردَّد النحيل بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، فى خفوت حذر :

- الواقع أننى رأيت أنه من الأفضل أن ..

قاطعه الضخم ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته ، صارخًا بكل الغضب والاستنكار :

- رأيت ؟!

ثم هبَّ من مقعده بحركة حادة ، ارتجَّ لها جسده الضخم كله ، وهو يقول فى ثورة :

- ليس من حقك أن ترى .. ليس من حق أى مخلوق هنا أن يرى أى شىء .. أنا وحدى أقرِّر ما ينبغى ، وما لا ينبغى .. أنا وحدى أحددُ ما يمكن أن يحقق مصلحة شعبنا .

انعقد حاجبا النحيل أيضًا ، وانتفض جسده من فرط الانفعال ، وهو يقول فى حدة عصبية :

- عجبًا ! هذا يذكرنى بسلفك ، الذى تصوَّر أنه يحقق مصالح شعبنا ، ثم أدت سياسته إلى انقلاب العالم كله علينا ، ورفضه لمذابحه البشعة ، مما تسبَّب فى عزلتنا ، وانهيارنا اقتصاديًّا فيما بعد .

احتقن وجه الضخم بشدة ، وهو يلوِّح بسبابته فى وجه النحيل ، صائحًا :

- هأنتذا تردِّد ما يردده الحاقدون عن عمى الراحل ، الذى اغتالته يد عربية ، وهو فى ذروة نجاحه ..

قال النحيل ، فى حدة أكثر :

- حقًّا ؟! ألا تؤكِّد كتب التاريخ أنه المسئول عن انهيار دولتنا ؟!

صاح الضخم بغضب هادر :

- خطأ .. خطأ .. سقوط (أمريكا) ، بعد احتلال الأرض ، كان هو السبب المباشر لهذا(*) .. لقد فقدنا راعيتنا ،

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

ومؤيدتنا ، والقوة العظمى ، التى كنا نستند إليها ، و ....

قاطعه النحيل فى حنق :

- وانكشفت قوتنا الحقيقية .

احتقن وجه الضخم أكثر وأكثر ، وبدا وكأنه سيثب بجسده الهائل على النحيل ، ليسحقه سحقًا ، إلا أنه لم يلبث أن عاد إلى مقعده ، ولوَّح بيده فى عصبية ، قائلاً فى صرامة :

- فليكن .. أنت لم تؤمن أبدًا بقوة شعبنا .

قال النحيل ، فى صرامة أكثر :

- ليست هذه قضيتنا الآن .

مطَّ الضخم شفتيه مرة أخرى ، وهو يقول :

- ما قضيتنا إذن ؟! تلك الثعابين ؟!

أجابه النحيل فى عصبية :

- بالتأكيد ، فقد بدأت المواجهة ، بينهم وبين المصريين .

هزَّ الضخم كتفيه المكتظين بلا مبالاة ، قائلاً :

- فليذهب المصريون إلى الجحيم .. لماذا نشغل أنفسنا بهم .. دع تلك الثعابين تلتهمهم بلا رحمة .

قال النحيل فى حنق :

- وماذا لو لم يحدث هذا ؟!

انعقد حاجبا الضخم مرة أخرى ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟!

أشار النحيل بيده ، قائلاً :

- أعنى ماذا لو تمكَّن المصريون من السيطرة على الموقف ، وحصلوا على أحد ثعابيننا ، من الجيل الثالث ، وأدركوا الحقيقة كلها .

صمت الضخم بضع لحظات ، قبل أن يتساءل فى غلظة :

- وما الذى يمكن أن يفعلوه عندئذ ؟!

أجابه النحيل ، فى حدة واقتضاب :

- الكثير .

انعقد حاجبا الضخم أكثر وأكثر ، وارتسمت العصبية واضحة فى ملامحه ، ممتزجة بعلامات تفكير عميق ، بدا من الواضح أنه يتجه به نحو قرار ينوى اتخاذه ..

قرار حاسم ..

ورهيب ..

★ ★ ★

تطلَّعت (نشوى) فى توتر بالغ إلى قرص الشمس ، هو يختفى خلف جبال (سيناء) ، وقالت فى عصبية ، وأصابعها تتقافز على أزرار جهازها :

- مازلت أصرّ على أنه من الأفضل أن ننتظر شروق الشمس .

غمغمت (سلوى) ، فى عصبية مماثلة :

- (نور) لن يتراجع أبدًا .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف :

- ثم إنه يعرف ما ينبغى عليه أن يفعل .

هتفت (نشوى) :

ـ ولكن عدم وضوح الصورة ، مازال يمنعنا من تحديد هوية ذلك الشيء ، الذى كان يتحرك فى الأعماق ، التى يريدان الهبوط إليها ثم إنه هناك ذلك الفحيح الرهيب ، الذى لم نحدِّد مصدره بعد .

كرَّرت (سلوى) ، وهى تقاوم دمعة حبيسة فى مقلتها :

ـ (نور) لن يتراجع .

قالت (نشوى) ، فى عصبية أكثر :

ـ فلينتظر حتى تتضح الصورة على الأقل .

تنهدَّت (سلوى) ، مغمغمة :

ـ لن ينتظر .

مطَّت (نشوى) شفتيها ، وهى تضغط زر جهاز الاتصال ، قائلة :

ـ أبى .. أجهزتنا سجلّت ذلك الفحيح ، ولكنها لم تحدد موقعه ، وكأنما انطلق من كل مكان ، فى آن واحد .

أتاها صوت (نور) ، وهو يقول :

ـ ابحثى عن نموذج لفحيح طبيعى ، لبعض أنواع الأفاعى ، وحاولى مقارنته بما سجلته الأجهزة .

أجابت فى سرعة :

ـ سأفعل على الفور .

ثم تردَّدت لخطة ، قبل أن تسأله :

ـ أمازلت تصرّ على الهبوط ، فى قاع تلك البئر ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يتجاهل سؤالها ، قائلاً :

ـ ألم يتم تحديد هوية ذلك الشيء المتحرّك بعد ؟!

تنهدَّت فى توتر ، عندما أدركت أنه لايرغب فى مناقشة الأمر ، ثم قالت فى استسلام :

ـ إنه شيء حى بكل تأكيد ، فأجهزة الرصد الحرارى سجلّت انبعاثًا حراريًا منه ، ولكن مقاييس الطيف لم ترصده ، تحت أية مجموعة معروفة ، حتى مقياس الطيف الجينى ، لم يمكنه تحديد فصيلة واضحة له .

سألها فى اهتمام :

- إنه ليس ثعبانًا إذن .

ترددت لحظة ، قبل أن تجيب :

- ليس بالضرورة .

قال فى صرامة :

- أى جواب هذا ؟! إنه إما أن يكون ثعبانًا أو لايكون كذلك !

ترددت لحظة أخرى ، قبل أن تحسم أمرها ، مجيبة :

- جزء منه كذلك بالتأكيد .

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، عند سماعه جوابها الأخير ، فى حين انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- أهذا ما قاله مقياس الطيف الجينى ؟!

أجابته (نشوى) فى سرعة ، عبر جهاز الاتصال :

- كلاً .. مقاييس الطيف الجينية لم تبلغ هذا الحد من الكمال بعد .. إنه تحليل الصورة ، فالحراشيف التى تغطى ذلك الجزء المتحرك ، فى أعماق البئر ، تشبه تلك التى تغطى أجسام الثعابين ، ولكنها تختلف عنها ، فى امتزاجها بخلايا أخرى غير مميزة بحيث لايمكن اعتبارها حراشيف ثعابين تقليدية .

قال (نور) فى حزم :

- من المؤكد أن ما نواجهه ليس عاديًا أو تقليديًا .

ثم تلفت حوله ، قبل أن يستطرد :

- وإنه ليدهشنى حقًا أنه لم يحاول مهاجمتنا مباشرة حتى الآن .

قال (رمزى) فى عصبية :

- ربما لأنه يعلم أننا سنهبط إليه بأقدامنا ، فلم يجد داعيًا لإرهاق نفسه بالصعود إلينا .

قال (نور) فى صرامة :

- دعابة غير طريفة يا (رمزى) .

ثم أشار إلى فتحة البئر ، مستطردًا :

ـ والآن هل ستصحبنى أم لا ؟!

رفع (رمزى) بندقيته الليزرية فى حزم ، وهو يجيب :

ـ بغضّ النظر عن اختلاف رأيينا فى هذا الشأن ، فقد أخبرتك أننى سأصحبك إلى الجحيم نفسه ، لو اقتضى الأمر .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وقال :

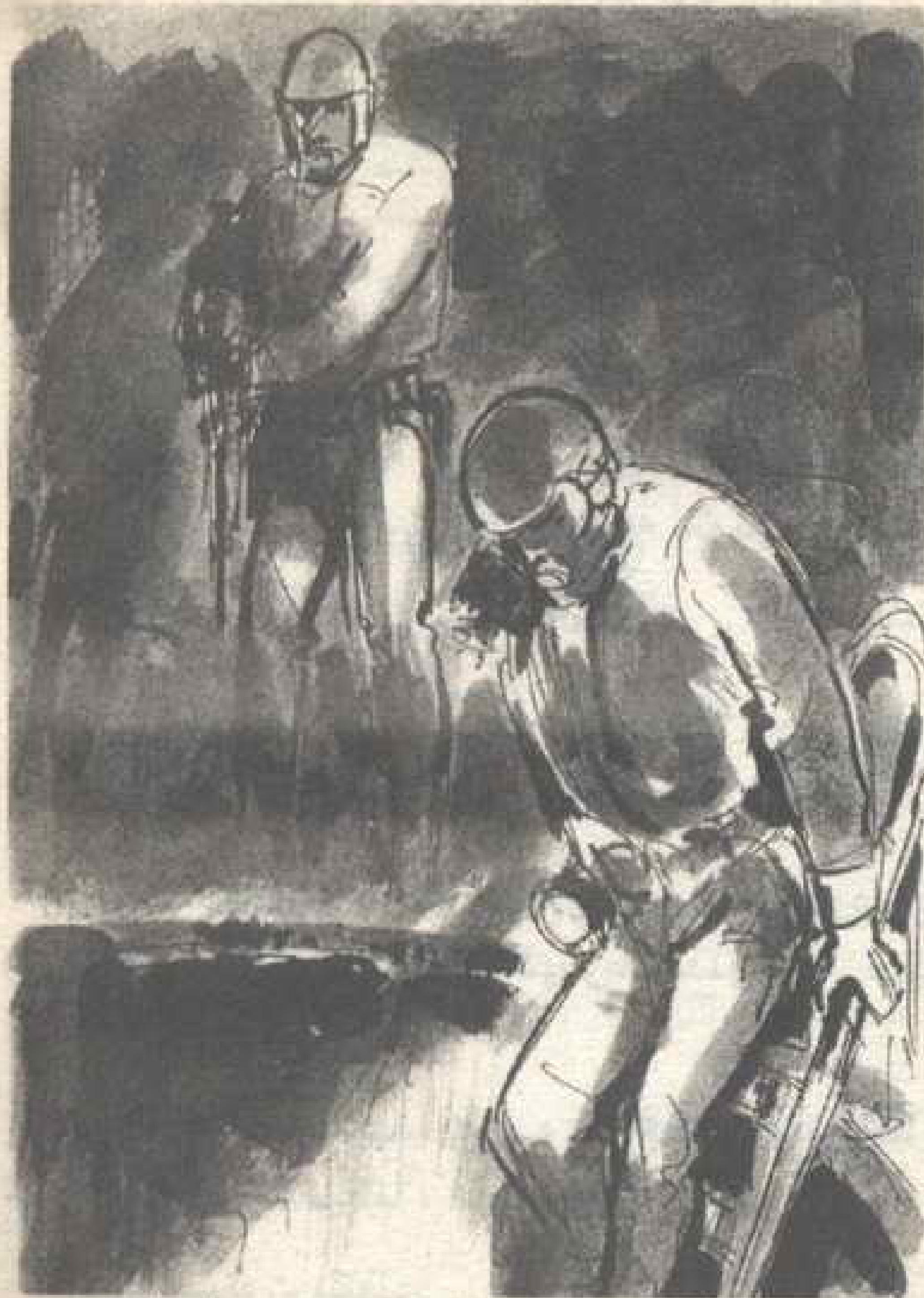
ـ عظيم .. فلنبدأ إذن ، على بركة الله .

ثم أضاف ، وهو يضع قدمه على أولى درجات السلم المعدنى ، المثبت فى جدار البئر :

ـ سأتقدّمك أنا .

ثبت مصباحه اليدوى فى حزامه ، بحيث يضىء قاع البئر طوال الوقت ، ثم ربط آلة التصوير على كتفه ، و ...

وبدأ الهبوط ..



ثبت مصباحه اليدوى فى حزامه ، بحيث يضىء قاع البئر طوال الوقت ، ثم ربط آلة التصوير على كتفه ..

وعلى الرغم من توتره البالغ ، وعدم ارتياحه لما يفعلاه ، تبعه (رمزى) إلى الأعماق ..

أعماق البئر ..

أو أعماق الخطر ..

والمجهول ..

ومع متابعتها لحركة آلة التصوير ، على شاشتها الكبيرة ، قالت (سلوى) فى عصبية متوترة :

ـ تُرى ما الذى ينتظرهما هناك ؟!

هزَّت (نشوى) رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ كان ينبغى لأبى أن ينتظر النتائج .

ثم حبست أنفاسها ، وهى تتابع حركة آلة التصوير ، و(نور) و(رمزى) يواصلان الهبوط الحذر ، فى تلك البئر العميقة ..

كان ضوء مصباحيهما يضىء القاع كله ، ولكن كل شىء ، بدا هادئًا ساكنًا ، فغمغم (رمزى) فى توتر :

ـ ذلك السكون يقلقنى .

قال (نور) ، محاولاً أن يبتسم :

ـ ربما لأنه يذكرك بالسكون التقليدى ، الذى يسبق العاصفة .

هزَّ (رمزى) رأسه ، قائلاً :

ـ بل لأنه يعيدنى إلى ما درسته عن السلوك الحيوانى الغريزى ، الذى يدفع الحيوان إلى السكون التام ، عندما يتربَّص بفريسته .

عقد (نور) حاجبيه دون تعليق ؛ فقد كان يتفق تمامًا مع ذلك الرأى ..

هناك حتمًا شىء ما ، يتربَّص بهما هناك ..

فى أعماق البئر ..

شىء يشبه الثعابين ..

أو الوحوش ..

ودفعه هذا الشعور إلى أن تتحفَّز أصابعه أكثر ،

على بندقيته الليزرية ، وهو يواصل الهبوط ، وعيناه تتابعان ضوء مصباحه ومصباح (رمزى) فى الأعماق ..

ثم فجأة ، انبعث ذلك الفحيح مرة أخرى ..

فحيح قوى رهيب ..

ولكنه لم ينبعث من الأعماق ..

أو حتى من المنجم فوقهما ..

لقد انبعث من نقطة ما ، فى منتصف المسافة ، وعلى نحو جعل (رمزى) يتوقَّف دفعة واحدة ، هاتفًا :

- إنهم هنا .

تشبَّث (نور) بإحدى درجات السلم بيسراه ، ثم أدار فوهة بندقيته الليزرية مع ضوء مصباحه ، نحو الجدار المقابل ، ليفحصه فى اهتمام ، قبل أن يتوقَّف عند فتحة مستديرة كبيرة فى منتصفه ، قائلاً :

- ذلك الفحيح آتٍ من هنا على الأرجح .

غمغم (رمزى) فى حذر قلق :

- أعتقد هذا .

وجد (نور) صعوبة بالغة ، فى الضغط على زر جهاز الاتصال ، فى وضعه هذا ، ثم قال عبره فى حزم :

- (نشوى) .. هل يمكنك فحص ما يوجد ، داخل تلك الفتحة هناك ؟!

أتاه صوتها ، وهى تقول :

- ليس من هذه الزاوية .. حاول الهبوط قليلاً ؛ لتصبح فى مواجهتها ، على أقرب نحو ممكن ..

غمغم فى حزم :

- سأفعل .

واصل هبوطه ، حتى أصبح فى مواجهة تلك الفتحة تمامًا ، فوجَّه إليها عدسة آلة التصوير ، قائلاً :

- أهذا مناسب ؟!

أجابته ، عبر جهاز الاتصال :

- إنها زاوية مثالية .

هبط (رمزى) بدوره ، وهو يقول فى عصبية :

- لست أرى أنه من الحكمة أن نقترب بهذا القدر ، من فتحة انبعث منها مثل هذا الفحيح الرهيب .

أجابه (نور) فى حزم :

- لا بد أن نعرف ما الذى يحدث داخلها .

التقطت (نشوى) الصورة ، التى تنقلها آلة التصوير ، بعدستها الخاصة ، التى ترصد الحركة ، والانبعاث الحرارى ، وتغذى مقاييس الطيف الثلاثة ، وراحت أصابعها تجرى على جهازها ، وهى تقول :

- عجبًا ! الفحيح انبعث من تلك الفتحة بالفعل ، ولكنها لاتحوى أى شىء متحرك ، ولايوجد بداخلها أى مصدر ، ينبعث منه أدنى قدر من الحرارة .

غمغم (رمزى) ، فى عصبية أكثر :

- مازلت أرى أنه ليس من الحكمة أن ..

قاطعه فجأة صوت (سلوى) ، وهى تهتف ، عبر جهاز الاتصال :

- ما هذا بالضبط ؟!

سألها (نور) فى سرعة :

- هل رصدتما شيئًا ؟!

أجابه صوت (نشوى) ، وهو يحمل قدرًا هائلاً من الانزعاج :

- الأرض ترتج على نحو عجيب .

هتف (رمزى) بمنتهى الدهشة :

- ترتجّ ؟! ولكننا لا نشعر بأى ارتجاجات هنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

- يا إلهى !

وفى اللحظة نفسها ، هتفت (سلوى) :

ـ ليس عندكما .. بل هنا .. يا إلهى ! إن الـ ..

بترت عبارتها بغتة ، ليمتزج صوتها بصوت (نشوى) ، وكلتاهما تطلقان صرخة قوية ..

صرخة حملت الرعب ..

كل الرعب ..

★ ★ ★



٥ ـ الضحايا ..

« لقد اتخذت قرارى .. » ..

نطق الضخم بالعبارة فى صرامة ، فاشرأبَّ النحيل بعنقه ، قائلاً :

ـ ماذا ستفعل ؟!

التقط الضخم نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ سنسعى لحل المشكلة ، واختبار أحد أسلحتنا السرية كالمعتاد ..

انعقد حاجبا النحيل ، وهو يقول فى حذر :

ـ لم أفهم المقصود بالضبط .

نهض الضخم من خلف مكتبه وبدا منتشيًا على نحو طبيعى ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! هذا ما نفعله منذ الأزل .. نثير المشاكل فى كل مكان ، ثم نتدخَّل لحسمها ، ونستغل الفرصة للتحقق من قوة أى سلاح جديد لنا .

قال النحيل ، وقد تضاعف حذره :

ـ أعلم أن هذا ما نفعله منذ الأزل ، ولكننى لم أفهم ، أى سلاح سرى هذا ، الذى سنسعى لاختباره ؟!

تألّقت عينا الضخم ، فى جذل وحشى ، وهو يقول :

ـ الجيل الخامس .

اتسعت عينا النحيل عن آخرهما ، وهبَّ من مقعده فى ثورة ، صائحًا :

ـ هل جننت ؟!

احتقن وجه الضخم ، وهو يهتف بكل الغضب :

ـ جننت ؟! كيف تجرؤ ؟!

صاح به النحيل فى غضب أكثر عنفًا :

ـ هذا هو التفسير الوحيد ، للحماقة الرهيبة ، التى تنوى ارتكابها .. إنك تسعى لكشف الجيل الخامس ، من تجربتنا الناجحة ، فى محاولة لمنع كشف أمر الجيل الثالث منها !! أى شىء هذا ، إن لم يكن الجنون بعينه ؟!

صاح الضخم فى ثورة :

ـ أنا أعرف ما أفعله .

صرخ النحيل :

ـ بل أنت تسعى فقط لإشباع تلك النزعة الدموية الموروثة فى أعماقك .. نفس النزعة التى هدم بها سلفك دولتنا .. كل ما تسعى إليه ذريتكما ، هو أن تراق الدماء أنهارًا بلا ثمن ..

صاح الضخم :

ـ أنا أسعى لحماية أسرار شعبنا ، وفرصته الأخيرة فى النهوض ، واستعادة أمجاده السابقة .

هتف النحيل :

ـ بل تسعى لتدمير تلك الفرصة الأخيرة بحماقة دموية شريرة .

عقد الضخم ساعديه المكتظين أمام صدره العريض ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أنت لاتفهم شيئًا .. إننى أفعل ما أفعله مضطرًا ،

ولو جلسـت يومًا على مقعدى هـذا ، فستفعل نفس ما أفعله الآن .

لوّح النحيل بذراعه كلها ، صارخًا :

ـ محال .

ثم مال نحوه بكل غضبه وعصبيته ، مستطردًا :

ـ أى شخص نصف ذكى ، يعلم أنه من الحماقـة ، كل الحماقة ، أن يكشف المرء سلاحًا قويًـا ، لحمايـة تجربة فاشلة .

عادت عينا الضخم تتألقان ، بذلك الجذل الوحشى ، وهو يقول :

ـ القـانون يمنحنى الحق فى اتخـاذ قـرار كهـذا .. أما بالنسبة لك .

صمت لحظة ، ليعود إلى مقعده ، قبل أن يضيف ، فى صرامة ساخرة :

ـ فاذهب إلى الجحيم .

احتقن وجه النحيل ، وهو يقول :

ـ أنا ؟! أنا أذهب إلى الجحيم ؟!

هزّ الضخم كتفيه المكتظين ، فى لامبالاة مدروسـة ، وأشاح بوجهه ، قائلاً فى صرامة متشفية :

ـ هـذا أفضـل مكـان ، يناسب مكانتـك العلميـة ، ومشاعرك المرهفة .

قالها ، وأطلق ضحكـة عاليـة مجلجلـة ، تضـاعف معها احتقان وجه النحيل ، الذى تراجـع فـى غضب هادر ، قبل أن يقول فى صرامة شديدة :

ـ لن تفعلها .

قال الضخم فى سخرية :

ـ حقًا ؟! وكيف ستمنعنى أيها المتحذلق ؟!

أجابه النحيل ، وجسده ينتفض ، من فرط الانفعال :

ـ لدى وسيلة مضمونة .

أدار الضخم عينيه إليه ، فى حذر قلق ، فتابع بكل انفعاله :

ـ يكفى أن أبلغ اللجنة العسكرية العربية المشتركة، بتجاوزاتك السرية ، فى مجال السعى لإنتاج أسلحة الدمار الشامل .

التقى حاجبا الضخم فى شدة ، وهو يستدير إليه ، قائلاً فى عصبية :

ـ أنت تعلم أننا كنا فى الماضى ، أكثر دولة تمتلك تلك الأسلحة ، فى المنطقة كلها .

هتف النحيل فى حدة :

ـ ولكننا خسرنا ، وانهزمنا ، ولم نعد تلك الدولة القوية المتعجرفة ، التى كنا عليها فى الماضى .

ثم مال نحو الضخم ، وأضاف فى غضب هادر :

ـ بفضل سلفك .

صرخ الضخم فجأة :

ـ إياك أن تكررُها .

لوّح النحيل بسبابته فى وجهه ، صارخًا :

ـ سأكررُها ألف مرة .. سأكررُها كلما كررْتَ أنت تلك الحماقات ، التى دمَّر هو بها مستقبلنا ، وأعادنا بوساطتها ألف عام إلى الوراء .

هبَّ الضخم من مقعده ، هاتفًا :

ـ ألف عام ؟! يا للسخافة ! لو عدت ألف عام إلى الوراء ، لما وجدت لنا كيانًا يُذكر .. إن دولتنا لم تنجح فى الاستمرار حتى لمائة عام كاملة .

صاح النحيل :

ـ الفضل لأمثالك .

صرخ الضخم فى وجهه بغتة :

ـ بل لأمثالك .

ثم سحب من درج مكتبه مسدسًا ليزريًا ، صوَّبه إلى النحيل فى انفعال ، مستطردًا :

ـ أمثالك ممن يتصوَّرون أنهم الأفضل دائمًا .. أمثالك الذين يتحدثون دومًا عن المثل ، والقيم ، وتلك الأمور السخيفة الأخرى ، التى لم يعد لها وجود ، فى عصرنا هذا .

تراجع النحيل فـى ذعـر ، وهـو يلـوّح بيـده أمامه ، هاتفًا :

ـ لقد .. لقد جننت بالفعل .. ماذا تنوى أن تفعل ؟!

أجابه الضخم فى صرامة وحشية :

ـ نفس ما فعله سلفى ، الذى تسخر منه دومًـا .. سأزيح كل عقبة من طريقى .

صاح النحيل ، وهو يتراجع فى رعب :

ـ لا .. لا يمكنك أن تفعلها .. لن تجد وسيلة لتـبرير هذا أبدًا ، أمام القيادة السياسية أو الـ ....

قاطعه الضخم فى صرامة ، قائلاً :

ـ ومن يبالى بهذا ؟!

اتسعت عينا النحيل ، فـى رعب هـائل ، وهـو يصرخ :

ـ لا .. لا ..

ولكن سبّابة الضخم ضغطت زناد المسدس ..

وانطلقت الأشعة تحصد النحيل بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وفى شبق عجيب ، تطلّع الضخم الأشيب إلى الدماء الغزيرة ، التى تفجّرت من رأس النحيل ، الذى سـقط جثـة هـامدة ، ثـم عـاد إلـى مقعده ، وأعـاد مسدسـه الليزرى إلى درج مكتبه ، ثم مسح شفتيه بكمه ، قبل أن يتراجع ، ويضغط زر جهاز اتصال خـاص ، علـى سطح مكتبه ، قائلاً فى صرامة :

ـ ابدأ فورًا عملية الجيل الخامس .

وأنهى الاتصـال ، ليدير عينيه مرة أخـرى إلـى الدمـاء ، ويتطلّع إليها فى شهوة عجيبة ..

شهوة وحشية ..

رهيبة ..

* * *

لم تكد صرخة (سلوى) و(نشوى) تنطلق ، عبر جهاز الاتصال ، حتى اندفع (نور) و(رمزى) يصعدان فى ذلك السلم المعدنى ، بأقصى سرعة ممكنة ، دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة ..

وبأقصى سرعة أيضًا ، انطلقا يعدوان عبر المنجم ، على ضوء مصباحيهما ، وكل منهما يصرخ فى أعماقه ..

تُرى ماذا حدث ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

كاد عقلاهما يتفجران بالتساؤل والقلق ، وهما يعدوان ..

ويعدوان ..

ويعدوان ..

حتى مدخل المنجم القديم ..

وهناك ، ودون اتفاق مسبق ، توقَّفا ، وشخصا ببصريهما إلى المعسكر ، فى محاولة لفهم ماحدث ..

وكان المشهد رهيبًا بحق ..

ففى منتصف المكان تقريبًا ، وعلى بعد متر واحد من الخيمة المكيَّفة الكبيرة ، كانت هناك فجوة فى الأرض ..

فجوة توحى بأن شيئًا ما قد اندفع ، بمنتهى العنف والقوة ، من الداخل إلى الخارج .. وبكل ذعره وارتياعه ، هتف (رمزى) :

- يا إلهى ! يا إلهى !

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، برزت (سلوى) ، من خلف الخيمة ، ولوَّحت بذراعها ، هاتفة :

- (نور) .. (رمزى) .. أسرعا باللَّه عليكما .

هتافها جعلهما يعدوان نحوها ، فصاحت بهما ملتاعة :

- الحاجز .. لا تنسيا الحاجز .

ضغط كل منهما زر حزامه ، وهما يثبان عبر الحاجز الكهرومغنطيسى الواقى ، و(نور) يهتف :

ـ ماذا حدث ؟! أين (نشوى) ؟!

برزت (نشوى) من داخل الخيمة ، وهى تقول فى توتر شديد :

ـ أنا هنا يا أبى .

نقل بصره بينهما فى انزعاج ، قبل أن يكرِّر ، محدِّقًا فى تلك الفجوة :

ـ ماذا حدث ؟!

هزَّت (نشوى) رأسها فى قوة ، مجيبة :

ـ أمر بشع يا أبى .. بشع للغاية .

سألها (رمزى) :

ـ أهى تلك الثعابين ؟!

أجابته (سلوى) فى انفعال :

ـ بل جثث ضحاياها .

هتف بكل دهشته :

ـ جثث من ؟!

أشارت بيدها إلى ما خلف الخيمة ، قائلة :

ـ الضحايا .

اندفع (نور) و(رمزى) معًا إلى حيث أشارت ، ثم اتسعت عيونهما معًا ، وهما يحدِّقان فى جثث الجيولوجيين الثلاثة ، التى بدت فى حالة مزرية للغاية ، مع ذلك اللون الأسود فى الوجوه ، وتلك البطون المنتفخة ، والأطراف المتورِّمة ..

ومن بين دموعها ، هتفت (نشوى) :

ـ كان أمرًا بشعًا للغاية يا أبى .. لقد تفجَّرت الأرض بغتة ، ثم راحت تقذف تلك الجثث ، على نحو لم أشهده ، حتى فى أكثر أفلام الرعب ، التى طالما بغضتها منذ حداثتى .

احتواها (رمزى) بين ذراعيه وراح يربِّت عليها فى حنان ، متمتمًا :

- لا بأس يا زوجتى العزيزة .. لا بأس .. أيًا كان ما حدث ، فقد انتهى الآن .

صاحت به (سلوى) فى عصبية :

- انتهى ؟! وكيف هذا ، وتلك الجثث تستقر هنا ؟!

أدارت (نشوى) عينيها إلى (نور) ، هاتفة بجسد ولسان مرتجفين :

- دعنا نتصل بالحوَّامة يا أبى .. دعنا نترك هذا المكان .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- إننا لم نتمّ مهمتنا بعد .

صاحت (سلوى) :

- ومتى سنتمها ؟! بعد أن نلقى حتفنا بالفعل ؟!

أطلّ الغضب من عينى (نور) ، وانتفض جسده فى عنف ، وهو يهتف :

- ماذا أصابكم هذه المرة ؟! ماذا دهاكم جميعًا ؟!

إننا نخوض نفس ما خضناه من قبل .. أمر غامض مخيف ، نسعى لكشف ما يحيط به من غموض ، ونواجه فى سبيل ذلك عشرات المخاطر .. ماذا تغيَّر هذه المرة ؟! لماذا تبدون جميعًا مذعورين متخاذلين على هذا النحو ؟! لماذا ؟!

تبادل (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) نظرة متوترة ، قبل أن يقول الأوَّل :

- ربما أن اختفاء (أكرم) الغامض قد أرهقنا ، خلال الأيام الماضية يا (نور) ، فلم نعد نحتمل المزيد .

صاح به (نور) فى حدة :

- وماذا لو أن (أكرم) قد لقى مصرعه ، ونحن نخوض إحدى عملياتنا العنيفة ؟! هل كنا سنعتزل بعدها ، ونتخاذل عن تلبية نداء الواجب ؟! لقد فقدنا (محمود) من قبل ، فى نهر الزمن(*) ، ولكن هذا لم يوقفنا .. لقد واصلنا عملنا ، وواصلنا قتالنا ، فى سبيل الحق والعدل والواجب .

(★) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠)

وشدّ قامته ، وهو يضيف بكل الحزم والصرامة :

- فى سبيل (مصر) ، وأمن (مصر) .

مرة أخرى ، تبادل الثلاثة نظرة متوترة ، وران على الكل صمت ثقيل مهيب ، قطعته (نشوى) ، وهى تتساءل فى توتر :

- وماذا عن تلك الجثث ؟!

أجابها (نور) فى صرامة :

- سنقوم بدفنها ، ونواصل مهمتنا ، وسنبلغ المسئولين بأمرها ، لنقل الرفات إلى المقابر فيما بعد .

قالت (سلوى) بصوت مرتجف :

- هل ستدفنها هنا ؟!

أجابها فى حزم :

- بالتأكيد .

كرّرت ، فى انزعاج شديد :

- هنا يا (نور) .

أجابها فى غضب عنيف :

- نعم .. هنا يا (سلوى) .

وغمغم (رمزى) :

- إنها مجرّد جثث يا (سلوى) .

هتفت :

- ولكنها ألقيت علينا ، من هذه الفجوة وسط الرمال ، وهذا ليس بالأمر الطبيعى .

غمغم (نور) :

- هذا صحيح .

قالها ، وأمسك بندقيته الليزرية فى تحفّز ، وهو يتجه نحو الفجوة ، و ....

ولم تكن فجوة بالمعنى الفعلى ، وإنما مجرّد حفرة فى الرمال ، يبلغ عمقها ما يقرب من ستة أمتار ، تغمر الرمال قاعها ، كأية حفرة أخرى ..

وكان هذا يزيد الأمر غموضًا ..

فلو أنها فجوة ، لربط (نور) بينها وبين تلك الثعابين الضخمة المزعومة ، وبينهم وبين القاء الجثث بهذا العنف ..

أما وهى مجرد حفرة عميقة ، فكل شىء يبدو محيرًا ..

وبحق ..

وفى اهتمام ، تطلّع (رمزى) إلى (نور) ، قبل أن يقول :

- هناك تساؤل ما يدور فى أعماقك يا (نور) .. أليس كذلك ؟!

أومأ (نور) برأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد .

وصمت بضع لحظات ، حتى تصوّر البعض أنه سيكتفى بهذا القول ، إلا أنه لم يلبث أن تابع فى صرامة :

- إننى أتساءل : لماذا لم تحاول تلك الأشياء مهاجمتكما واقتناصكما كما فعلت من قبل ، مع أفراد البعثة (ت - ١٧) ؟!

تبادل الثلاثة نظرة أكثر توترًا ، قبل أن تقول (سلوى) :

- نعم .. لماذا ؟!

وهتفت (نشوى) :

- ولماذا ألقت إلينا بجثث ضحاياها ، بدلاً من هذا ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

- ربما لأن الهدف لم يكن قتلكما ، وإنما إثارة رعبكما فحسب .

هتفت (سلوى) :

- ولماذا ؟!

أدار (نور) عينيه إلى مدخل المنجم ، وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يجيب :

- لأن الهدف الحقيقى يكمن هناك .

سأله (رمزى) فى لهفة :

- وما هو ؟!

أجابه فى حزم :

ـ منعنا من الهبوط إلى البئر الآن .

هتف (رمزى) وهو يتراجع بحركة حادة :

ـ هذا مستحيل !

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً بحزم أكبر :

ـ ولكن الهدف تحقَّق بالفعل .. أليس كذلك ؟!

مرة أخرى ، ران عليهما ذلك الصمت الثقيل الكئيب ، والذى قطعته (نشوى) أيضًا ، وهى تقول فى حذر :

ـ مازلت أرى أن ..

قاطعها (نور) ، بكل صرامة الدنيا :

ـ كلاَّ .

ثم أمسك سلاحه فى قوة ، مستطردًا :

ـ سأواصل هذه المهمة إلى النهاية ، حتى ولو اضطررت إلى البقاء ، والمضى فيها وحدى ، بعد عودتكم جميعًا إلى (القاهرة) .

قالها ، واندفع مبتعدًا عنهم ، وألقى جسده إلى جوار خيمته الخاصة الصغيرة ، ثم خفض عينيه ، وكل ذرة فى كيانه ترتجف انفعالاً ..

يا إلهى ! كم يفتقد (أكرم) ، فى مثل هذه الظروف ؟!

كم يتمنى لو أنه إلى جواره الآن ؟!

صحيح أنهما يختلفان ، فى كثير من الأمور ، ولكنهما يتفقان حتمًا على أمر واحد ..

عدم التردُّد لحظة واحدة ، عندما يتعلَّق الأمر بالواجب ..

وبأمن (مصر) ..

رباه ! كم يفتقده ؟!

كم ؟!

كم ؟!

انتزعته يد (رمزى) من أفكاره ، وهى تمسك كتفه فى رفق ، وصاحبها يقول :

ـ ألن تدفن تلك الجثث ؟!

تمتم (نور) ، دون أن يلتفت إليه :

- بالتأكيد .

جلس (رمزى) إلى جواره على الرمال ، وقال :

- هل تعلم لماذا نشعر جميعًا بالتوتر ، فى هذه العملية بالذات ؟!

غمغم (نور) :

- ظننت أن هذا يتعلّق بغياب (أكرم) .

وافقه (رمزى) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- هذا أحد الأسباب الرئيسية ، ولكن هناك سبب نفسى آخر .

التفت إليه (نور) متسائلاً :

- وما هو ؟!

أشار (رمزى) بيده ، مجيبًا :

- إن الأمر يتعلّق بالثعابين .

أدرك على الفور ، مع ذلك الشعور الذى سرى فى كيانه ، ما يقصده (رمزى) بالضبط ، وقبل حتى أن يتابع هذا الأخير :

- هناك توتر ما ، وعلاقته غير مريحة دائمًا ، بين البشر والثعابين ، حتى إن بعض الديانات القديمة كانت ترمز إلى الشياطين ، أو إلى القوى الشريرة ، بثعبان ضخم مخيف .. بل وفى بعض المعتقدات ، كانوا يلقون المجرمين للثعابين أيضًا(*) .

تنهّد (نور) قائلاً :

- العقيدة المصرية القديمة اعتبرت الثعبان أحد الآلهة ، وأطلقوا عليه اسم (أرايوس) ، واعتبروه حامى الملوك(**) .

أجابه (رمزى) :

- بالضبط ؛ لأنه يرهب الأعداء ، ويثير خوف الأشرار ،

(*) حقيقة ..

(**) حقيقة ..

لنفس السبب الذى ذكرته لك .. ذلك العداء النفسى ، بين البشر والثعابين .

تنهَّد (نور) مرة أخرى ، وتطلَّع إلى مدخل المنجم القديم مباشرة ، وهو يقول :

ـ وها نحن أولاء نواجهها هنا .

نطقها ، وأعماقه تفتقد (أكرم) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

لافائدة ..

لا توجد وسيلة واحدة ، للفرار من هذا المصير البشع ..

هذا ماوقر فى أعماق (أكرم) ، وجسده يواصل الانطلاق ، بتلك السرعة الخرافية ، نحو قلب الضوء ، الذى تعاظم ، حتى احتلَّ مجال الرؤية كله ..

أما ذلك الشىء الشبيه باللهب فى أعماقه ، فمع الاقتراب ، بدا مختلفًا تمام الاختلاف ..

لم يكن لهبًا ، وإنما عاصفة ..

عاصفة زمنية عاتية ، تتضارب فى قلب الضوء فى عنف ، وينبعث منها مايشبه الصواعق ، على نحو متصل ، ودون أدنى صوت ..

وكان هذا يؤكِّد ما شعر به ..

إن نهايته تكمن فى قلب الضوء ..

فى قلب العاصفة ..

وعلى الرغم من فشل كل محاولاته السابقة ، عاد يقاوم فى استماتة ..

ويقاوم ..

ويقاوم ..

لم يكن الاستسلام للموت أمرًا يتناسب مع شخصيته ..

أو مع طبيعته المتمرِّدة القوية ..

لذا فقد أصرَّ على المقاومة ..

وواصل جسده الاندفاع ، عبر نهر الزمن ..

بمنتهى القوة ..

والسرعة ..

والعنف ..

ولم تمض وحدات زمنية قليلة ، حتى كان الضوء يغمر كل شىء من حوله ، والعاصفة الزمنية فى أعماقه تبدو رهيبة ..

رهيبة ..

رهيبة ..

ولأوَّل مرة ، منذ استعاد ذاته ، صرخ (أكرم) :

- فليكن يا نهر الزمن .. خذ حياتى لو أردت .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :

- ولكننى سألقى مصرعى كرجل .

أغلق عينيه ، وترك جسده يسترخى ، وفرد ذراعيه عن آخرهما إلى جواره ، وارتسمت على ملامحه كل صرامة الدنيا ، على الرغم من كل ما يحيط به ..

مرة أخرى ، حكمته طبيعته المتمرِّدة ، وشخصيته العنيدة القوية ..

لقد رفض الاستسلام ..

حتى للموت نفسه ..

واتخذ آخر قرار فى حياته ..

قرار بأن يموت كما عاش ..

كرجل قوى ..

والعجيب أن قراره هذا قد ملأ نفسه بهدوء عجيب ، وهو يهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

إلى أعماق عاصفة الزمن ..

وأعماق الموت ..

* * *



٦ - الحصـــار ..

مسح (نور) ذلك العرق الغزير ، الذى غمر وجهه ، بعد أن انتهى مع (رمزى) ، من دفن جثث الضحايا الجيولوجيين الثلاثة ، فى حين هتف (رمزى) ، وهو يلقى جسده ، أرضًا ، فى إرهاق واضح :

- يا إلهى ! لم يخطر ببالى قط ، عندما انضممت إلى المخابرات العلمية المصرية ، أن الأمر سينتهى بى إلى حفر القبور ودفن الجثث .

لم يعلّق (نور) على عبارته ، وهو يدير رأسه ، ليتطلّع إلى مدخل المنجم القديم ، وكل خلية من خلايا مخه تبحث عن تفسير ، لكل ما يدور حوله ..

هناك شىء ما فى أعماق المنجم حتمًا ..

شىء يشبه الثعابين ..

ولكنه ليس كذلك حتمًا ..



لم يعلّق (نور) على عبارته ، وهو يدير رأسه ، ليتطلع إلى مدخل المنجم القديم ..

فالثعابين لا تدفن ضحاياها فى الرمال ، بعد أن تنفث فيهم سمها ..

إنها تلتهمهم فحسب ..

ما من حيوان واحد ، فى الفصائل المعروفة ، يمكن أن يقتل لمجرَّد القتل ..

فقط الإنسان هو من يفعل هذا ..

الإنسان المريض ..

والمجنون ..

ولكن هناك كائنات عاقلة ، تدير كل هذا ..

كائنات صنعت كومة الأحجار الزائفة ؛ لتخفى مدخل البئر ، الذى تستخدمه طوال الوقت ..

كائنات تدرك كيف تتعامل مع خصومها ، وفقًا لدرجات ذكائهم ، وبراعتهم فى التعامل مع الأمور الغامضة ..

وهذا لا يمكن أن ينطبق على الثعابين ..

اللهم إلا ثعابين البشر ..

ومرة أخرى ، قاده هذا إلى التفكير فيهم ..

فى الإسرائيليين ..

والثعابين ..

شىء ما ، فى أعمق أعماق عقله ، كان يربط بين هؤلاء وأولئك .. شىء قوى ، وإن لم يحدّد موضعه وطبيعته بعد ..

وفى اهتمام ، التفت إلى ابنته ، قائلاً :

ـ ما آخر نتائج الفحوص ؟!

أسبل (رمزى) جفنيه فى تهالك ، وهو يغمغم :

ـ أما زال باستطاعتك أن تواصل يا (نور) ؟!

قالت (نشوى) ، دون أن تلتفت إلى عبارة زوجها :

ـ ذلك الشىء المتحرّك ، الذى التقطت آلة التصوير جزءًا من جسمه ، لا يشبه أى كائن حى معروف ، على وجه الأرض ، ولكنه أقرب ما يكون إلى الثعابين .. ربما كان أحد الأنواع النادرة منها ، أو أحد الأنواع التى لم يتم تسجيلها بعد .

سألها (نور) :

ـ هل تعتقدين أننا ربما نحتاج إلى خبير فى أنواع الثعابين ؟!

أشارت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قائلة :

ـ لو أن لديه ما يضيفه إلى هذا .

بدت عليه علامات التفكير العميق ، فأشارت (سلوى) بيدها ، قائلة فى إرهاق متوتر :

ـ بالنسبة لأصوات الفحيح .. هناك أمر غير طبيعى بشأنها .

التفت إليها (نور) ، قائلاً :

ـ إنها لم تصدر من كائن طبيعى .. أليس كذلك ؟!

ارتفع حاجباها فى دهشة بالغة ، وهمّت بقول شىء ما ، ثم لم تلبث أن عزفت عن هذا ، وتمتمت :

ـ لن أسألك كيف استنتجت هذا ، حتى لا يتكرّر الموقف ، على نحو ممل .

عاد (نور) يتطلّع إلى مدخل المنجم ، وهو يقول فى حزم :

- هناك شىء ما ، يحاول بث الرعب فى قلوبنا ، حتى يمنعنا من فحص ما يحدث فى الداخل .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يلتقط سلاحه ، مستطردًا :

- كان ينبغى أن نواصل ما بدأناه .

زفر (رمزى) فى توتر ، وضرب الهواء بيده ، وهو يهتف فى تهالك معترض :

- كلاّ يا (نور) .. ليس مرة أخرى .. إننا بشر ، وكل بشرى يحتاج إلى قدر من الراحة ، حتى يستعيد قواه على الأقل .

غمغم (نور) فى توتر :

- وهذا ما يستغلونه جيّدًا ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلق أزيز رفيع ، من جهاز (سلوى) ، التى انتفض جسدها فى عنف ، وهى تهتف :

- ربّاه !

وثبت إليها (نشوى) ، فى حين سألها (نور) فى توتر :

- ماذا هناك ؟!

أشارت بسبّابة مرتجفة إلى الأرض ، قائلة :

- شىء ما يتحرّك تحتنا .

تحفّز (نور) ببندقيته الليزرية ، وهو يكرّر فى توتر :

- تحتنا ؟!

قفز (رمزى) واقفًا على قدميه ، وكأنما يخشى أن يجذبه ذلك الشىء تحت الرمال ، وراح يتلفّت حوله فى عصبية ، فى حين انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتجه فى حذر متحفز ، نحو تلك الحفرة الواسعة ، مغمغمًا :

- أين بالضبط ؟!

هزّت (سلوى) رأسها ، مجيبة فى عصبية :

- لا يمكن تحديد موقعها بدقة ، فقد حدثت الحركة لجزء من الثانية ، ثم توقفت لسبب ما .

التقط (نور) نفسًا عميقًا، قبل أن يقول فى حزم :

ـ الأزيز .

التفت إليه الجميع فى تساؤل، فتابع فى صرامة :

ـ لقد التقط أزيز جهازك، وأدرك أنه يمكننا رصده .

بدا توتر شديد على وجه (نشوى)، وتلفَّت زوجها (رمزى) حوله مرة أخرى، فى حين هتفت (سلوى) فى شىء من الذعر :

ـ ما الذى تقصده بالضبط يا (نور) ؟!

أجابها فى حزم صارم :

ـ خصمنا .

ثم صوَّب بندقيته الليزرية إلى أعماق الحفرة، مكملاً :

ـ إنه هنا .

هتفت (سلوى)، مكرِّرة فى ذعر :

ـ هنا ؟!!

أومأ برأسه إيجابًا، وهو يواصل تصويب بندقيته إلى أعماق الحفرة، قائلاً فى بطء حذر :

ـ الأرجح أنه هنا، منذ ألقى تلك الجثث ..

واكتسب صوته صرامة شديدة، وهو يضيف :

ـ ليدرس ردود أفعالنا .

ومع آخر حروف عبارته، ضغط زناد بندقيته الليزرية ..

وانطلقت أشعة الليزر القوية ..

وانفجرت فى قاع الحفرة ..

ومع انفجارها ارتجَّت الأرض تحت أقدامهم فى عنف، فصرخت (نشوى)، وهى تحاول التشبُّث بأى شىء :

ـ ربّاه ! لقد كان هنا بالفعل ..

ومع طلقة (نور) الليزرية الثانية، تفجَّرت نافورة من الدم، وتحرك شىء ما فى سرعة وعنف، تحت الرمال ..

ومع حركته واندفاعته ، ارتجّت الأرض بعنف أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وانطلق من أعماق المناجم فحيح قوى ..

فحيح ألف ألف ثعبان ..

ومع صعوبة حفاظه على توازنه ، صاح (نور) :

- أغلقوا الدائرة الكهرومغنطيسية من أسفل .

صرخت (سلوى) :

- لا .. لاتفعل ..

ولكنه اندفع نحو الجهاز المتصل بالحاجز الواقى ، وراح يضغط أزراره فى سرعة ، فوثبت (سلوى) تمسك يده ، قائلة :

- لا يا (نور) .. دعه يخرج من الدائرة .. دعه يبتعد بالله عليك .

كان ذلك الشىء ، الذى يتحرك تحت أقدامهما ، يندفع بسرعة نحو الحاجز الواقى ، فدفعها (نور) جانبًا ، وهو يهتف :

- ابتعدى يا (سلوى) .. ربما كانت هذه فرصتنا الوحيدة .

ولكنها تشبثت بيده فى استماتة ، صارخة :

- لا يا (نور) .. لا ..

ومع آخر حروف صرختها ، تجاوز ذلك الشىء نطاق الحاجز الواقى ، من تحت الرمال ، واتجه مباشرة نحو المنجم ، وغاب داخله ، دون أن يبرز إلى السطح لحظة واحدة ..

ومرة أخرى ، انطلق ذلك الفحيح ..

وارتجفت أجسادهم فى عنف ، وسرت فيها قشعريرة كالثلج ، عندما جاوبه أكثر من فحيح آخر ..

من كل مكان حولهم ..

بلا استثناء ..

* * *

فى صعوبة بالغة ، مع حجمه الضخم ، وكرشه البارز ، وكمحاولة لإخفاء مهابة زائفة على مظهره ، عقد الضخم كفيه خلف ظهره ، وهو يسير أمام ثلاثة من الشبان الأقوياء البنية ، الذين وقفوا فى صف واحد ، وعلى نحو عسكرى صارم ، وتطلّع هو إليهم فى إعجاب مزهو ، قبل أن يتوقّف فجأة ، قائلاً :

- أظنكم تعلمون أنكم تختلفون ، عن أى مخلوق فى هذا العالم .

ظلّ الثلاثة على وقفتهم العسكرية الصارمة الصامتة ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، وكأنما يدركون جيدًا أنه ليس المطلوب منهم إجابة السؤال ، فى حين تابع هو فى صرامة منتشية :

- أنتم نتاج تجربة طويلة المدى ، بدأت فى أثناء احتلالنا لأرض (سيناء) ، فى سبعينات القرن العشرين .. تجربة اقترحها عقل أحد علمائنا ، وتطوّرت عبر هذه السنين ، حتى انتهت إليكم ، أنتم أبناء الجيل الخامس

من سلاحنا السرى ، والنواة لجيش جديد خارق ، سيصبح يومًا أقوى جيوش العالم ، وأكثرها إثارة للفزع والخوف .

وتألقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- وعندئذ ، ستحين اللحظة الحاسمة .. لحظة نهوض دولتنا من كبوتها ، وعودتها لتحتلّ مكانتها الطبيعية ، على قمة العالم .

توقف لحظة ليلهث فى عنف ، من فرط الانفعال ، والوضع الصعب الذى يتخذه ، والذى لايتناسب قط مع طبيعة جسده ، مما اضطره إلى حل كفيه من خلف ظهره ، فتظاهر بالتلويح بقبضته ، لإخفاء ما أصابه ، وهو يقول :

- ولقد حانت لحظة تجربة قوتكم .

ظلّ الثلاثة صامتين ، وهو يتحرك أمامهم بضع لحظات فى صمت ، محاولاً التقاط أنفاسه ، والسيطرة على أعصابه ، قبل أن يتابع :

- اليوم ، سيتم إرسالكم إلى حيث بدأت التجربة .

وتوقف ليواجه ثلاثتهم ، مضيفًا فى حماسة :

- إلى (سيناء) .

ودون سبب منطقى ، انطلقت من حلقه ضحكة وحشية عجيبة ، مسح بعدها شفتيه بكمه ، وكأنما يزيل الزبد الحيوانى ، الذى سال مع كلماته ، ثم تابع :

- هناك ، وعند منجم مهجور قديم ، فى منطقة (جبل الطور) ، يقبع فريق علمى ، من المخابرات العلمية المصرية .. فريق يعتبره الكل أقوى فريق علمى ، فى العالم كله ، وخاصة بعد انجازهم القوى ، فى تخليص الأرض من الغزو الفضائى ، وإعادتها إلى حضارتها السابقة .

وضاقت عيناه ، وهو يكمل فى صرامة :

- ومهمتكم أن تسحقوا ذلك الفريق سحقًا .

تألقت عيون الشبان الثلاثة ، مع عبارته الأخيرة ، التى بدت وكأنها قد مست تلك الوحشية الكامنة فى أعمق أعماق خلاياهم ، فابتسم هو فى إعجاب مزهو ، وعاد يسير أمامهم ، فخورًا بسيطرته على أمثالهم ، وهو يقول :

- إنهم على وشك كشف تجربة الجيل الثالث منكم ، والذى لم يقم أحد عملائنا الحمقى بالتخلص منه ، عندما كان يتحتم هذا ، ونحن لانريد منهم أن يكشفوا شيئًا من هذا ، لذا فمهمتكم مزدوجة ، ولن تقتصر على سحق ذلك الفريق فحسب ، وإنما ستمتد إلى التخلص من كل أثر لمجموعة الجيل الثالث ، ومحوه من الوجود تمامًا .

وتوقف مرة أخرى ، ليسأل فى صرامة :

- هل فهمتم طبيعة مهمتكم ؟!

أجابه الثلاثة فى آن واحد :

- بالتأكيد يا سيدى .

وتألقت عيناه هو هذه المرة ..

تألّقتا بجذل وحشى رهيب، وهو يتطلّع مباشرة إلى أفواههم، وهم ينطقون عبارتهم ..

وبالتحديد إلى أنيابهم ..

انيابهم الطويلة ..

الحادة ..

القاتلة ..

* * *

« إنهم يحيطون بنا .. »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى رعب هائل، وكل خلية فى جسدها ترتجف فى رعب، وعيناها تدوران فيما حولها، فى عصبية بالغة، فى حين تراجعت (نشوى)، وانكمشت فى فزع، فضمّها زوجها إلى صدره، قائلاً:

- اهدئى يا حبيبتى .. لن نسمح لهم بإيذائنا أبدًا .

أما (نور)، فانعقد حاجباه فى صرامة، وهو يقول:

- بالتأكيد .

ثم تحرّك فى سرعة، مستطردًا:

- وعلينا أن نعمل فورًا، وبأقصى سرعة؛ لتحويل هذا القول إلى حقيقة ملموسة .

ضغط أزرار جهاز التحكّم فى الحاجز الكهرومغنطيسى الواقى، وهو يضيف:

- فليرتد كل منكم الزى الخاص، والخوذة الواقية، حتى لاتنفث تلك الأشياء سمومها فى وجوهنا .. أسرعوا .

مع ضغطة الأزرار، اتصلت أعمدة الحاجز الواقى بعضها بالبعض، أسفل الرمال، لتصنع واقيًا تحت أرضى، يمنع تسلّل أى ثعبان آخر من أسفل، فى حين راح (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) يرتدون تلك الأزياء التأمينية الخاصة، وسرعان مالحق بهم (نور)، و(رمزى) يتساءل فى توتر:

- ولكن لماذا لم يهاجمونا مباشرة ؟!

أجابه (نور) فى حزم:

- شىء ما يمنعهم حتمًا ..

قالت (سلوى) فى توتر :

- وما ذلك الشىء بالضبط ؟! إن وضعنا لا يختلف كثيرًا عن وضع البعثة (ت ـ ١٧) ، التى هاجموها فى عنف ، وقتلوا كل أفرادها بلا رحمة ، واستولوا على كل أجهزتها أيضًا !!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يبحث عن جوانب لسؤالها ، قبل أن يقول فى صرامة :

- هناك شىء ما ، فى أعماق البئر .

قالت (نشوى) فى توتر :

- أظن أنه من الأفضل أن نطلب بعض الإمدادات العسكرية ، أو الـ ....

قاطعها (نور) فى حزم :

- لن يكون هناك وقت لهذا .

عبارته الحازمة هذه أرجفت قلوبهم ، فهتفت (سلوى) :

- (نور) .. لا تقل : إنك تنوى أن ....

قاطعها (نور) أيضًا ، وهو يقول ، بمنتهى الحزم والصرامة :

- لابد أن نعود إلى هناك .

وعلى الرغم من معرفته للجواب ، هتف (رمزى) مستنكرًا :

- إلى أين ؟!

أشار (نور) بيده إلى مدخل المنجم فى حزم ، وهو يقول :

- إلى تلك البئر .

هتفت (سلوى) :

- مستحيل !

صاح (نور) فى حدة :

- ألم تفهموا بعد ما يحدث هنا ؟! تلك الأشياء ليست ثعابين حقيقية إنها كائنات عاقلة مفكرة .. كائنات استولت على أجهزة البعثة (ت ـ ١٧) ؛ للاستعانة بها فى أمر ما ، يتم إعداده ، فى الأعماق هناك .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- أمر قد يكون من الخطورة ، بحيث يهدد أمن وسلامة الوطن .

ثم اكتسى صوته بصرامة قوية ، مع استطرادته :

- وربما العالم أجمع .

أمسكت (سلوى) يده فى قوة ، قائلة فى عصبية :

- ربما تكون على حق يا (نور) ، ولكن انتظر وصول الإمدادات العسكرية .

هزَّ رأسه نفيًا فى قوة ، قائلاً :

- خطأ .. محاولتهم لإضاعة الوقت ، تعنى أهمية وخطورة كل دقيقة تمضى .

ثم التقط سلاحه ، مضيفًا فى صرامة :

- لابد أن نتحرّك على الفور .

صرخت (سلوى) :

- لا .. لن أسمح لك .

انتفض جسده من فرط الغضب ، وهو يهتف :

- تسمحى لى ؟! إننى القائد هنا يا (سلوى) .

صاحت :

- وأنت زوجى أيضًا .

قال بمنتهى الغضب :

- وأسلوبك هذا يعنى أن وجودنا فى فريق واحد هو خطأ فادح ، كما افترضت تقارير المتابعة الأمنية .

تراجعت ، قائلة فى صوت مرير مرتجف :

- (نور) .. أرجوك .

أجابها فى صرامة ، وهو يلتقط حزامًا متفجرًا ، ويحيط به وسطه :

- قومى بعملك فحسب أيتها الخبيرة .

امتقع وجهها بشدة ، وقد أدركت استحالة اعتراض طريقه ، فتمتمت فى يأس :

- أرجوك .

تجاهل قولها تمامًا، وهو يتجه نحو الحاجز الكهرومغنطيسى الواقى مباشرة، فالتقط (رمزى) سلاحه بدوره، وهو يهتف:

- سأتبعك.

شعرت (نشوى) بقشعريرة باردة تسرى فى جسدها، وهى تتطلع إلى والدها وزوجها، وهما يتجاوزان الحاجز الواقى، بفضل ذلك الجهاز الخاص، المثبت فى حزاميهما، فى طريقهما لمواجهة خطر غامض مجهول رهيب، ثم أمسكت يد أمها، مغمغمة:

- لافائدة .. لاشىء يمكن أن يمنعهما.

ارتجفت (سلوى)، وهى تقول فى مرارة:

- أعلم هذا.

ثم تملصت من ابنتها، واندفعت نحو أجهزتها، قائلة:

- أفضل مانفعله إذن هو أن نعاونهما .. وبأقصى طاقتنا.

ألقت (نشوى) نظرة أخرى على (نور) و(رمزى) اللذين بلغا مدخل المنجم القديم بالفعل، قبل أن تلحق بأمها، قائلة:

- بالتأكيد.

ومع آخر حروف كلماتها، انبعث ذلك الفحيح القوى مرة أخرى، من كل مكان حولهم ..

وارتجف جسدا (سلوى) و(نشوى) مرة أخرى فى عنف، فى حين توقف (نور) و(رمزى) عند مدخل المنجم، وتلفتا حولهما فى توتر، وغمغم (رمزى):

- أمازلت تصرّ على العودة ؟!

أجابه (نور) بمنتهى الحزم والصرامة:

- بكل تأكيد.

سأله (رمزى)، وهو يشير إلى حزام المتفجرات:

- ولماذا هذا ؟!

أجابه (نور) بعد لحظة من الصمت:

- ربما احتاج الأمر إلى إيقاف مايحدث هنا.

وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف بصرامة :

ـ وبأى ثمن .

قالها ، وعبر المدخل إلى المنجم القديم ..

إلى الخطر ..

كل الخطر ..

* * *

فجأة شعر (أكرم) بتلك اليد القوية ، التى قبضت على معصمه ؛ لتوقف انهيار جسده ، فى قلب تلك العاصمة الزمنية الرهيبة ..

ومع تلك الانتفاضة ، التى سرت فى كيانه كله ، فتح (أكرم) عينيه عن آخرهما ، وحدَّق فى صاحب تلك اليد ، قبل أن يهتف ، بكل ما اعتمل فى أعماقه من انفعالات شتى ، يصعب حصرها فى كتاب كامل :

ـ مستحيل !

منحه صاحب اليد ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ تصوَّرت أنك بحاجة إلىَّ ، فى موقفك هذا .

ظلَّ (أكرم) يحدِّق فيه بذهول ، وشعر ، ولأوَّل مرة ، بأن جسده قد توقَّف عن الانطلاق والاندفاع ، فانتزع نفسه من انفعالاته الجارفة ، وهو يهتف :

ـ (محمود) ؟! يا إلهى ! هل عدت[*] ؟!

اتسعت ابتسامة (محمود) ، وهو يهزّ رأسه نفيًا ، مجيبًا :

ـ بل أنت الذى أتيت ياصديقى .

ثم أشار بيده الحرة لما حوله ، مضيفًا :

ـ هذا عالمى الحالى .

هتف (أكرم) :

ـ ولكن ...

استوقفه (محمود) بإشارة من يده ، قائلاً :

ليس الآن ياصديقى .. سنناقش كل شىء فيما بعد .. المهم أن نبتعد الآن بأقصى سرعة ، فلا أنت ولا أنا ، يمكننا البقاء هنا طويلاً .

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠)

قالها ، ثم اندفع فجأة ، فى الاتجاه المعاكس لتلك الدوَّامة الزمنية الرهيبة ، وأصابعه ما زالت تقبض على معصم (أكرم) ، الذى شعر بجسده يعود إلى الاندفاع والانطلاق مرة أخرى ، فى الاتجاه العكسى ..

وبسرعة أكبر ..

كثيرًا ..

وبكل حيرته وانفعاله ، راح يتطلَّع إلى (محمود) ، وعقله يحمل عشرات التساؤلات ..

إنه يعهده ضعيفًا بسيطًا ، فمن أين اكتسب هذه القوة ، التى تبدو واضحة فى أصابعه ، وفى قدرته على جذبه ، والانطلاق به بهذه السرعة الخارقة ، عبر نهر الزمن ؟!

ما الذى أصابه ؟!

وما الذى يحدث هنا ؟!

فى نهر الزمن ؟!

ظلَّت تلك الأسئلة حائرة فى ذهنه ، و(محمود) ينطلق به ..

وينطلق ..

وينطلق ..

حتى ظهرت بقعة أخرى بعيدة ..

بقعة هى مجموعة من الألوان ، الممتزجة فى جمال رائع ، وتدور حول نفسها فى نعومة مدهشة ، لتمتزج وتتفرَّق ، وتتقارب وتتباعد ، على نحو يمكنك أن تتطلَّع إليه إلى الأبد ، دون أن يراودك الملل لحظة واحدة ..

واتجه (محمود) به نحو تلك البقعة مباشرة ..

وبنفس السرعة الخارقة ..

ولم يعترض (أكرم) ، أو يسأل (محمود) حتى ، إلى أين يتجه به ..

فعلى عكس ما حدث ، وما شعر به ، عندما وقع بصره على تلك العاصفة الزمنية الرهيبة ، راوده شعور بالارتياح الجارف ، وهو يتجه نحو بقعة الألوان تلك ..

واسترخى جسده كله ، فى شىء من الاستمتاع ..

وبسرعة ، اقتربت بقعة الألوان ، وكبرت ، وتعاظمت ، ثم لم تلبث أن احتلَّت مجال الرؤية كله ، و(محمود) يواصل الاندفاع به نحوها ..

ثم فجأة ، اخترقاها ..

شعور عجيب ذلك الذى ملأ كيانه ، وهما يعبران تلك الألوان ..

لقد خفق قلبه فى عنف ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية ، والتقطت رئتاه كمية هائلة من الهواء ، قبل أن يسرى الارتياح فى كيانه كله ، ويتوقَّف جسده دفعة واحدة ..

كان يسبح ، فيما يشبه منطقة انعدام وزن . ولا يحيط به سوى فراغ هائل ، وعلى الرغم من هذا فقد شعر بمزيج من الارتياح والاسترخاء ، جعله يهتف :

- ربّاه ! هذا رائع .. أين نحن بالضبط ؟!

أجابه (محمود) فى هدوء :

- فى عالمى .

استدار إليه فى دهشة ، قائلاً :

- عالمك .

أشار (محمود) لما حوله ، وهو يقول :

- هذا هو العالم الوحيد ، الذى أعرفه الآن يا صديقى .

أدار (أكرم) عينيه فيما حوله ، دون أن يلمح أى شىء ، فقال :

- لا أحد يمكنه أن يبقى هنا للأبد .

قال (محمود) :

- يبدو أنه ليس أمامى خيار آخر .

شعر (أكرم) بالإشفاق نحوه ، وهو يتطلّع إليه بعض الوقت ، فابتسم (محمود) ، قائلاً :

- ولكن هذا لا يزعجنى كثيرًا .

ابتسم (أكرم) ، وهو يقول :

- لن يمكنك أن تتصورّ ، كم تسعدنى رؤيتك ثانية .

أمسك (محمود) كتفيه ، قائلاً :

- أنا أيضًا سعيد برؤيتك يا صديقى .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

- وأنا أعلم ما فعلته .

ردّد (أكرم) فى حذر :

- تعلم ؟!

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وقال :

- فى عالمى هذا ، يمكنك أن ترى كل شىء ، وكل شخص .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- وكل زمن .

هتف (أكرم) مبهورًا :

- حقًا ؟!

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا مرة أخرى ، وهو يقول :

لابد أن تكون هناك مزية ما ، فى أى شىء ، مهما بلغت مساوئه يا صديقى .

وافقه (أكرم) بإيمائة من رأسه ، قائلاً :

- إذن فأنت تعلم بأمر ذلك الاضطراب الزمنى ، الذى تسبَّب فى انتقالى إلى هنا .

أجابه (محمود) :

ـ إنك لم تنتقل إلى هنا يا صديقى، وإنما إلى جزء بالغ الخطورة من تفرعات نهر الزمن .. جزء كان يمكن أن يقودك إلى الهلاك .

ابتسم (أكرم)، وربّت على كتفه، قائلاً :

ـ لولا وصولك فى الوقت المناسب يا صديقى .

تنهّد (محمود)، وهو يقول :

ـ كان توفيقًا من اللّه (سبحانه وتعالى)؛ فعندما تجاوزت علمى لإنقاذك، كانت فرصة العودة محدودة للغاية .

حدّق (أكرم) فيه، هاتفًا :

ـ ربّاه ! هل جازفت بوجودك لإنقاذى ؟!

ابتسم (محمود) فى حرج، مغمغمًا :

ـ لو انعكست الأدوار، لما ترددت أنت فى القيام بالمثل .. أليس كذلك ؟!

ارتفع حاجبا (أكرم) فى تأثُّر بالغ، وعاد يمسك كتفى (محمود)، قائلاً :

ـ يا إلهى .. لست أدرى ماذا أقول ؟!

أجابه (محمود) فى حزم :

ـ لاتقل شيئًا، وحاول أن تتعاون معى، للبحث عن وسيلة ما، لمنع ما سيحدث للرفاق، فى مستقبلهم القريب .

ارتجف جسد (أكرم)، وهو يسأله :

ـ وماذا سيحدث لهم ؟!

هزّ (محمود) رأسه، قائلاً :

ـ أمر بشع .

ثم مرّر يده فى الفراغ، فتموّج جزء منه، قبل أن يتحوّل فجأة إلى ما يشبه شاشة رصد ثلاثية الأبعاد، بدت عليها صورة أفراد الفريق، و ....

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما فى ارتياع تام ..

فما رآه أمامه كان رهيبًا وبشعًا ..

إلى أقصى حد .

* * *



٧ ـ كل الخطر ..

« كومة الأحجار الزائفة ، عادت إلى موضعها .. »

غمغم (رمزى) بالعبارة فى توتر ، وضوء مصباحه يغمر كومة الأحجار الزائفة ، التى استقرَّت مرة أخرى ، فوق فتحة البئر ، فقال (نور) فى حزم :

ـ كنت أعلم أنهم سيفعلون هذا .

أوصل جهاز الاتصال بالصخرة ، وهو يقول :

ـ (نشوى) .. إنها مهمتك .

لم تمض ثانية واحدة ، حتى تحركت كومة الأحجار الزائفة ، لتكشف مدخل البئر ، مع انبعاث صوت (نشوى) ، عبر جهاز الاتصال ، وهى تقول :

ـ أبى .. احترسا جيدًا هذه المرة ، فمن الواضح أن تلك الأشياء قد توقَّعت عودتكما .

أجابها (نور) فى حزم :

- أعلم هذا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هتفت (سلوى) فى ذعر ، عبر جهاز الاتصال :

- (نور) .. هناك شىء يتحرك فى المنجم .

انزعج (رمزى) بشدة ، من هتافها هذا ، ولكن العجيب أن (نور) ظلّ هادئًا ، وهو يسألها فى حزم :

- هل تسجل أجهزتكما أى انبعاث حرارى ؟!

أجابته فى سرعة :

- كلاّ .

قال فى صرامة :

- تجاهلى كل هذا إذن .

حدّق فيه (رمزى) بدهشة بالغة ، هاتفًا :

- (نور) .. زوجتك تخبرنا أنه هناك شىء ما يتحرك حولنا .

أجابه (نور) فى حزم :

- تجاهله يا صديقى .. إنه لا شىء .

حدّق فيه (رمزى) بدهشة أكبر ، عندما بدأ يهبط عبر ذلك السلم المعدنى ، إلى أعماق البئر ، ثم لم يلبث أن لحق به ، قائلاً فى عصبية :

- ما الذى يعنيه برودك هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) بلهجة حاسمة :

- يعنى أننى قد فهمت اللعبة كلها .

هتف (رمزى) ، وهو يهبط خلفه فى حذر :

- أية لعبة ؟!

قبل أن يجيبه (نور) ، انبعث فجأة ذلك الفحيح الرهيب ، فانتفض جسد (رمزى) ، هاتفًا فى ذعر :

- يا إلهى ! يا إلهى !

سأل (نور) زوجته ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يواصل الهبوط :

- هل سجلت هذا ؟!

أجابته فى توتر :

ـ نعم .

قال فى حزم :

ـ افحصى الذبذبة جيِّدًا ، وأخبرينى .. هل انبعث ذلك الفحيح من مصدر طبيعى أم صناعى .

صمتت لحظة ، ثم أجابت :

ـ صناعى يا (نور) .

واصل هبوطه فى سرعة ، وهو يقول :

ـ هذا يثبت أننى على حق .

هتف به (رمزى) ، وهو يتطلَّع فى قلق إلى تلك الفجوة المستديرة ، فى منتصف جدار البئر :

ـ ماذا يحدث بالضبط يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ يحدث أن بعضهم يلعب لعبة كبيرة يا صديقى ..

لعبة الهدف منها إثارة رعبنا وخوفنا ، وذعر كل من يقترب من هذا المنجم ، فى محاولة لإخفاء ما يدور فى أعماقه .

سأله (رمزى) فى دهشة :

ـ وماذا عن ذلك الشىء ، الذى أطلقت عليه النار ، تحت رمال المعسكر ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ أنا لم أقل إنه لا يوجد أى شىء ، ولكن ما قلته هو أنه هناك محاولة لتضخيم الأمر ، أو لإخفائه على نحو ما .

سأله (رمزى) ، وهو يواصل الهبوط خلفه :

ـ أى أمر ؟!

ألقى (نور) نظرة على قاع البئر ، الذى يغمره ضوء مصباحيهما ، وهو يجيب :

ـ هذا ما نسعى لكشفه يا رجل .

قالها ، ثم تحفزت كل ذرة فى كيانه ، مع اقترابهما من القـاع ، وبـدأ عقلـه يتوقَّـع هجومًـا مـا ، مـن شىء ما ، فى أية لحظة ..

لذا ، فقد سرت فى جسده ارتجافة محدودة ، عندما انبعث صوت (سلوى) بغتة ، عبر جهـاز الاتصـال ، وهى تقول :

ـ هنـاك شىء ما يعـوق اتصالنـا بكم ، مـن هـذا العمق .

سألها فى قلق :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابته فى توتر شديد :

ـ آلة التصوير لم تعد تلتقط الصور فى وضـوح ، ومن الواضح أنهـا ستتوقَّف عن البث ، بين لحظـة وأخرى ، والأجهزة تسجِّل ذبذبة فـوق صوتيـة فائقـة من الأعماق ، واقترابكما منها يفسد موجة الاتصـال ، و ....

لم يستطع تمييز باقى عبارتها ، مع الشوشرة التى سرت ، عبر جهاز الاتصال ، فغمغم (رمزى) :

ـ يبدو أن الاتصال قد انقطع بالفعل .

تمتم (نور) :

ـ يبدو هذا .

كانت تفصله عن القـاع ثلاثة أمتـار تقريبًا ، فـأفلت درجات السلم المعدنى ، وترك جسده يهوى عبر تلـك المسافة ، وما إن استقرَّت قدماه فى القاع ، حتى رفع مصباحه فى سرعة ، مع فوهة بندقيته الليزرية ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

ومـن أعلـى ، هتـف (رمـزى) ، وهـو يزيـد فـى سرعة هبوطه :

ـ (نور) .. ألنت بخير ؟!

أجابه (نور) :

ـ نعم .. حتى هذه اللحظة .



رفع مصباحه فى سرعة ، مع فوهة بندقيته الليزرية ..

وثب (رمزى) بدوره ، لتوفير متر كامل من الهبوط ، ورفع فوهة سلاحه وضوء مصباحه أيضًا ، قبل أن يهتف :

ـ ربّاه ! أى مكان هذا ؟!

فعلى ضوء مصباحيهما ، بدت لهما قاعة واسعة ، مجهَّزة بأدوات قديمة نوعًا ما ، تعود إلى بدايات أو منتصف سبعينات القرن العشرين ، مع أحواض زجاجية كبيرة ، تحوى بقايا سائل أزرق اللون ، كان من الواضح أنها امتلأت به يومًا ، منذ عشرات السنين ..

وفى النهاية ، كان هناك معمل طبى علمى متكامل ، مع ثلاجة ضخمة لحفظ العينات ، فتمتم (رمزى) :

ـ عجبًا ! أى أمر كان يحدث هنا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتلفَّت حوله فى حذر :

ـ تجربة علمية .

سأله (رمزى) :

ـ حول ماذا ؟!

أجابه فى سرعة وحسم :

ـ حول تطوير أو تخليق نوع جديد من الثعابين على الأرجح .

وأدار ضوء مصباحه فى المكان ، قبل أن يستقر بـه عند باب معدنى ضخم ، تطلع إليه لحظة ، ثم قال :

هناك مدخل آخر .

تطلّع (رمزى) بدوره إلى تلك الباب ، قائلاً فى توتر :

ـ تُرى إلى أين يقود بالضبط ؟!

غمغم (نور) :

ـ سنعرف .

ثم عاد يدير ضوء مصباحه فى المكان ، وهو يتجه نحو وعاء زجاجى كبير ، قائلاً :

ـ انظر .. إنها بقايا عشرات الثعابين .

تطلّع (رمزى) إلى الوعاء ، مغمغمًا :

ـ لقد كنت على حق .. إنهم يجرون التجارب على الثعابين .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يوجّه .. ضوء مصباحه إلى ركن القاعة ، قائلاً فى توتر عصبى :

ـ السؤال هو : أى نوع من الثعابين ؟!

حدّق (رمزى) فى البقعة التى يغمرها ضوء مصباح (نور) ، قبل أن يهتف ، بكل دهشة الدنيا :

ـ يا إلهى ! إننى لم أقرأ ، فى حياتى كلها عن ثعبان ، يمكن أن يبلغ هذا الحجم !!

ففى ذلك الركن ، كان هناك نصف هيكل سفلى لثعبان ، يبلغ عرضه متر كامل تقريبًا ، وطوله حوالى أربعة أمتار ..

وفى اهتمام حذر ، فحص (نور) ذلك الهيكل السفلى ، قائلاً :

- لايمكننى أن أدعى أننى أعرف كل أنواع الثعابين ، فأنواعها تزيد على الألفين وخمسمائة نوع[*] ، ولكننى قرأت يومًا عن ثعبان (البوا) الضخم ، ولست أذكر أنه كان يبلغ نصف هذا الحجم .

قال (رمزى) فى انفعال :

- لاحظ أن ما أمامنا مجرَّد هيكل للنصف السفلى فحسب ، وهذا يعنى أن طوله الحقيقى يتجاوز هذا .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- هذا يثير حيرتى وتساؤلى أيضًا ، فلماذا يوجد النصف السفلى للهيكل فحسب ؟! لماذا اختفى النصف العلوى .

تلفَّت (رمزى) حوله ، مغمغمًا :

- هناك سبب ما حتمًا .

ثم أضاف فى عصبية :

(*) حقيقة .

- ولكن ما نراه هنا يوحى بأن تلك الأشياء ، التى قتلت أفراد البعثة (ت ـ ١٧) ، والتى تهاجمنا هنا ، هى ثعابين بنفس الضخامة .

مطَّ (نور) شفتيه ، قبل أن يقول :

- الأمر ليس بهذه البساطة ، فالأجهزة أكَّدت أنها ليست نفس الثعابين التى تعرفها .

أجابه (رمزى) فى حدة :

- بالطبع .. إنها ثعابين تم تطويرها هنا .

أدار (نور) ضوء مصباحه فيما حوله مرة أخرى ، وهو يقول :

- ولكن لماذا هنا ؟! لماذا لم يتمَّ إجراء تلك التجارب فى معامل عادية ، وفى أماكن أكثر إعدادًا ، وأكثر راحة ؟

لم يجد (رمزى) لديه جوابًا لهذا ، فاكتفى بهزِّ رأسه ، وهو يفحص المكان بضوء مصباحه ، ثم لم يلبث أن هتف :

- (نور) انظر ..

وجَّه (نور) ضوء مصباحه إلى حيث أشار (رمزى)، وشاهد كومة من العظام، التى بدت له بشرية تمامًا، وخاصة مع تلك الجمجمة فوقها، فى حين واصل (رمزى) فى انفعال :

- إنها جثث ضحايا تلك الأشياء .

تطلَّع (نور) إلى العظام والجمجمة لحظة، ثم قال فى حسم :

- أظنها جثة شخص واحد فحسب .

اتجه مباشرة نحو العظام، فى نفس الوقت الذى انحنى فيه (رمزى) يفحصها فى حذر، قائلاً :

- إنها عظام الذراعين، والكتف، والظهر، والساعدين، والضلوع، وجزء من العمود الفقرى .

اعتدل يتطلَّع إليها مرة أخرى، قبل أن يواصل فى حيرة :

- إنه هيكل غير مكتمل .. هيكل للنصف العلوى من رجل بالغ .

ثم تلفَّت حوله، مكملاً :

- لابد أن عظام نصفه السفلى فى مكان ما هنا .

التقى حاجبا (نور) فى شدة، وهو يفكِّر فى عمق، قبل أن يغمغم :

- ليس بالضرورة .

استدار إليه (رمزى) بحركة حادة، هاتفًا :

- ماذا تعنى ؟!

تطلَّع إليه (نور) بضع لحظات، دون أن يجيب، ثم لم يلبث أن قال، فى بطء وحذر شديدين :

- أخشى أن ....

قبل أن يتمَّ عبارته، التقط الاثنان، فى آن واحد، تلك الحركةَ الخافتة، التى حدثت فى مكان ما حولهما ..

وبسرعة، استدارا بفوهتى سلاحيهما، وضوء مصباحيهما، إلى حيث ندت تلك الحركة ..

وشهق (رمزى)، هاتفًا:

- يا إلهى! (نور) هل ترى هذا ؟!

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ..

فعلى ضوء مصباحيهما، رأيا ذلك الباب المعدنى الكبير ..

مفتوحًا ..

وهذا يعنى أن ذلك الشىء الذى يواجهانه، قد أصبح معهما داخل القاعة ..

ويا له من معنى!

* * *

سرى توتر عنيف فى جسد (مشيرة)، وهى تدلف إلى ذلك المكان، الذى لم يبعث فى نفسها ذرة واحدة من الارتياح ..

وحتى ابتسامة ذلك الرجل، ذى الشارب الكبير، لم تنجح فى إزالة توترها، وهى تقول:

- أخبرونى أنك تجيد ما أطلبه.

أشار إليها الرجل بالجلوس، وهو يقول:

- إنك لم تخبرينى بعد ماذا تطلبين يا سيِّدة (مشيرة).

قالت فى عصبية:

- إذن فقد تعرَّفتنى ؟!

بدت ابتسامته أكثر سخافة، وهو يجيب:

- من يجهل السيِّدة (مشيرة محفوظ)، أفضل صحفية للفيديو فى العالم ؟!

قالت فى حدة:

- لابأس .. الموقف لايناسب هذا النوع من المجاملات.

رمقها بنظرة لم ترق لها أبدًا، قبل أن يتراجع فى مقعده، متسائلاً:

- ماذا تريدين بالضبط، يا سيِّدة (مشيرة) ؟!

فركت كفيها فى توتر عصبى، وقاومت تلك الرغبة العارمة، فى إفراغ ما بجوفها على وجهه، وهى تجيب:

ـ أخبرونى أنك أحد أشهر المتخصصين ، فى مجال تحضير الأرواح .

تألَّقت عيناه ، وهو يقول فى حذر :

ـ أحوار صحفى هذا ؟!

أجابته فى ضيق وعصبية :

ـ بل أمر شخصى .

عادت عيناه تتألقان ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ عظيم .

تضاعفت عصبيتها ، وهو يتأمَّلها طويـلاً ، قبل أن يسألها بغتة :

ـ هل تؤمنين بتحضير الأرواح ياسيِّدة (مشيرة) ؟!

أجابته فى سرعة بالغة :

ـ كلاً .

ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، واندفع برأسه نحوها ، وهو يهتف :

ـ كلاً ؟!

واصلت بكل عصبيتها :

ـ لست أومن به ، ولم أومن به أبدًا .. بل إننى أعتبره طيلة عمرى مجرَّد دجل وخداع .

ردَّد بدهشة أكثر :

ـ دجل وخداع ؟!

قالت فى حدة :

ـ بالتأكيد ؛ فالروح من أمر اللّه (سبحانه وتعالى) وحده ، ولا أحد يمكنه إحضارها أو استحضارها ، مهما بلغت قدراته .

قال فى حذر :

ـ ولكنه علم ياسيِّدة (مشيرة) .

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ علم لايستند إلى أية أدلة مادية .

مطَّ شفتيه ، على نحو يؤكِّد أن حديثها لم يرق له قط ، وعاد يتراجع فى مقعده ، وهو يسألها فى صرامة :

- لماذا أتيت إذن ؟!

لوَّحت بيدها ، قائلة :

- ربما لأننى أمر بمحنة سخيفة ، والكاتبة الشهيرة (أجاثا كريستى)(*) لها رأى خاص فى هذا الشأن .

سألها فى ضيق :

- أى رأى هذا ؟!

أجابته فى عصبية ، تحمل نبرة تحد :

- إذا ضعفت النفس ، استسلمت للخرافة .

هتف بدهشة مستنكرة :

- خرافة ؟!

(*) (أجاثا كريستى) (١٨٩١ - ١٩٧٦م) : كاتبة إنجليزية شهيرة ، احترفت كتابة القصص البوليسية ، واشتهرت بأسلوبها الشائق ، وقدرتها على جذب القارئ طوال الرواية ، وحتى الصفحات الأخيرة ، ومن أشهر رواياتها (مصرع روجر أكرويد) ١٩٢٦م ، (وجثة فى المكتبة) ١٩٤٢م ، ولها مسرحية ناجحة بعنوان (مصيدة الفئران) ١٩٥٢م .

أجابته فى حدة :

- حاول إقناعى بالعكس .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إليها مباشرة ، قبل أن يقول :

- بالتأكيد .

ثم استرخى فى مقعده ، متابعًا فى هدوء واثق عجيب :

- موقفك هذا ليس عجيبًا أو نادرًا ياسيِّدة (مشيرة) ؛ فمعظم الناس ترفض تصديق عملية تحضير الأرواح هذه ، ويتعاملون معها باعتبارها خدعة كبيرة ، وأكثرهم تفاؤلاً يقول : إن ما نستحضره قرائن الموتى من الجان ، وليس أرواح الموتى أنفسهم .

غمغمت بعصبية :

- ربما كان هذا أقرب إلى التصديق .

مال نحوها كثيرًا ، وهو يقول :

- سأثبت لك العكس .

انخفض صوتها كثيرًا ، وهى تقول :

ـ أتعشّم هذا .

تألقت عيناه ، وهو يضع يده على أذنه بحركة مسرحية ، قائلاً :

ـ لم أسمعك جيّدًا .

تنحنحت فى توتر ، قبل أن ترفع صوتها ، مجيبة فى حدة :

ـ أنا هنا لأرى ما يمكنك فعله .

أومأ برأسه فى ثقة ، وعاد يتراجع فى مقعده ، ويلوّح بيده ، قائلاً :

ـ تحضير الأرواح علم ياسيّدة (مشيرة) .. علم يتطوّر مثل أى علم آخر ، ويستعين فى تطوّره بتقدم العلوم الأخرى ، والتقنيات المختلفة ، حتى إن ماستشاهدينه الآن ، لن يتشابه مطلقًا مع الصورة الراسخة فى ذهنك ، عن جلسات تحضير الأرواح .

سألته فى عصبية :

ـ وما الذى سأشاهده ؟!

ضغط زرًا على سطح مكتبه ، قائلاً بابتسامة واسعة مقيتة :

ـ هذا .

استدارت إلى مصدر ذلك الصوت ، الذى انبعث من خلفها ، ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتطلّع إلى قاعة كبيرة ، احتشدت فيها عشرات الأجهزة الحديثة ، على نحو لم تشهده من قبل ، فقالت فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابها فى شىء من الزهو :

ـ كل ما يلزم ؛ لإجراء جلسة تحضير أرواح ، وفقًا لمقتضيات العصر .

لم تعلّق على عبارته ، وهى تومئ برأسها فى عصبية ، مما جعله يدرك أن التأثير الذى أراده قد تمكّن منها ، فابتسم ابتسامة واسعة ، قائلاً :

ـ والآن ياسيِّدة (مشيرة) .. أى روح ترغبين فى تحضيرها.

ازدردت لعابها فى صعوبة بالغة، وهى تجيب بصوت متحشرج مختنق:

ـ روح زوجى .. (أكرم).

نطقتها، وسرت فى جسدها ألف قشعريرة باردة ..

كجبال من الثلج ..

* * *

شعور هائل بالعجز، ذلك الذى ملأ كيان (أكرم)، وهو يسبح بجسده فى ذلك الفراغ الزمنى، هاتفًا فى مرارة:

ـ لايمكن أن نسمح بحدوث هذا .. لايمكن أن نتركهم لمصيرهم البشع هذا.

قلب (محمود) كفيه، قائلاً:

ـ السؤال هو: ما الذى يمكننا فعله ؟!

صاح (أكرم):

ـ أى شىء ؟!

سأله (محمود):

ـ مثل ماذا ؟!

عضَّ (أكرم) شفته السفلى فى قهر، قائلاً:

ـ لابد أن نجد وسيلة ما .. لابد.

تنهَّد (محمود)، قائلاً:

ـ إننى أبذل قصارى جهدى طوال الوقت.

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة، محاولاً أن يلقى تلك الصورة البشعة عن ذهنه، قبل أن يقول، بكل مرارة الدنيا:

ـ ومتى سيحدث لهم هذا ؟!

أجابه (محمود) فى أسى:

ـ فى المستقبل القريب.

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ وما الذى تعنيه كلمـة (القريب) هنا ؟! دقائق أم ساعات أم أيام ؟!

مطّ (محمود) شفتيه ، قائلا :

ـ ليست أيامًا بالتأكيد ، ولكن التحديد الدقيق عسير جدًا هنـا ، فمـا يعـرف فـى الأرض بـالزمن ، أمـر لاوجود له فعليًا هنا .

عاد (أكرم) يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لابد أن نفعل شيئًا يا (محمود) .. لابد .

سأله (محمود) :

ـ ألديك أية اقتراحات ؟!

شعر (أكرم) بمزيج مؤلم ، من الحيرة والعجز والتوتر والضياع ، وهو يعتصر ذهنه ، محاولاً إيجاد وسيلة ما ..

ثم أدرك أن هذا مستحيل !

كيف يمكن أن يجد وسيلة ، للتعامل مع عالم يجهل ماهيته تمامًا ؟!

عالم من الزمن ..

واللا زمن ..

(محمود) نفسه ، الذى احتواه هذا العالم ، منذ زمن طويل ، ليس باستطاعته إيجاد وسيلةً ..

أية وسيلة ..

فكيف يمكن له هو أن يفعل ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

عاوده ذلك الشعور العنيف بالقهر والعجز ، واستعاد ذهنه ذلك المشهد البشع لمصير رفاقه ، فعاد يعضّ شفته السفلى ، حتى كاد يدميها ، قبل أن يقفز خاطر ما إلى ذهنه ولسانه فى آن واحد ، ليهتف :

ـ (س ـ ١٨) .

تطلَّع إليه (محمود) ، مردّدًا فى دهشة .

- (س - ١٨)(*) ؟!

ثم مال نحوه ، يسأله :

- وما شأن - (س - ١٨) بما يحدث هنا ؟!

هتف (أكرم) فى حماسة :

- ربما أمكننا أن نستدعيه بوسيلة ما ..

بدا الأسف على وجه (محمود) ، وهو يعتدل ، قائلاً :

- كلاً .. لن يمكننا هذا .

همَّ (أكرم) بقول شيء ما ، ولكن (محمود) تابع فى سرعة :

- لقد حاولت ألف مرة .

ثم انخفض صوته ، واكتسى بالمرارة ، وهو يضيف :

- وفشلت .

(★) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧)

شعر (أكرم) بالأمل ينهار فى أعماقه ، فتمتم فى خفوت :

- ألا يمكن أن نحاول مرة أخرى ؟!

تنهَّد (محمود) ، وهو يسأله :

- وكيف ؟! هل سنناديه ؟!

أجابه فى حماسة :

- (نور) فعلها ذات مرة ، ونجح فى استدعائه(*) .

ابتسم (محمود) ابتسامة مريرة ، وهو يقول :

- ربما ينطبق هذا على العالم الطبيعى .

ثم هزَّ رأسه فى حزم ، مضيفًا :

- ولكن ليس هنا .

صاح به (أكرم) فى حدة :

- ومن أدراك ؟!

(★) راجع قصة (ضد الزمن) .. المغامرة رقم (٩١)

ثم ارتفع صوته ، وهو يصرخ :

ـ (س ـ ١٨) .. عد باللّه عليك .. نحن بحاجة إليك .. (نور) بحاجة إليك .

غمغم (محمود) :

ـ لن يفلح هذا .

ولكن (أكرم) تجاهله تمامًا ، وهو يصرخ مرة أخرى :

ـ عد يا (س ـ ١٨) .. عد ..

تطلّع إليه (محمود) فى إشفاق ، وهو يكرّر صرخته ، مرة تلو أخرى ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه قائلا :

ـ (أكرم) يا صديقى .. عندما تتأزم الأمور ، إما أن يتصرّف المرء بواقعية ، أو ....

قبل أن يتمّ عبارته ، دوت فرقعة مباغتة فى المكان ، وشعر الاثنان وكأن موجة ارتجاجية عنيفة قد أصابتهما ، فهتف (محمود) :

ـ رباه ! هذا لم يحدث أبدًا من قبل .

وانتفض جسد (أكرم) وصوته ، من فرط الانفعال ، وهو يقول :

ـ أمن الممكن أن ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى نقطة ما ، من الفراغ الزمنى المحيط بهما ..

نقطة حدث فيها أمر عجيب .

إلى أقصى حد .

* * *



٨ ـ نوع من السم ..

«هل تحملين شيئًا يخص زوجك ، ياسيِّدة مشيرة ؟!»

ألقى صاحب الشارب الضخم السؤال فى اهتمام ، وأصابعه تتقافز على أزرار تلك الأجهزة العديدة ، فأشارت (مشيرة) بيدها فى عصبية ، قائلة :

ـ هأنتذا تتصرَّف كالدجالين القدامى .

انعقد حاجباه فى ضيق ، وهو يقول :

ـ إنه علم يا سيِّدة (مشيرة) .. علم له قواعده وأصوله ، مثل أى علم آخر .

سألته فى حدة :

ـ وما صلة هذا بما يخصّ زوجى ؟!

اعتدل فى مجلسه ؛ ليجيبها فى خشونة :

ـ لأننا نحتاج إلى بصمته الجينية .

ردَّدت فى دهشة :

ـ بصمته الجينية ؟!

أجاب فى صرامة :

ـ نعم يا سيِّدة (مشيرة) .. الأجهزة الحديثة ، المستخدمة فى جلسات تحضير الأرواح ، تحتاج إلى البصمة الجينية ، لصاحب الروح المراد تحضيرها .

قالت فى سخرية عصبية :

ـ عجبًا ! كنت أظن أن الكيانات غير المادية ، مثل الأرواح ، لا تكون لها أية بصمات جينية ، أو غير جينية .

أجابها فى سرعة :

ـ بالتأكيد ، ولكن هناك دائمًا خيط خفى ، لا يمكن تفسيره بالأمور العلمية المعروفة ، يربط ما بين الروح ، فى عالمها غير المادى وغير المنظور ، وأى شىء يخص صاحبها ، فى عالمنا المادى المنظور ، ولا يوجد ما هو أقوى من بصمته الجينية ذاتها .

لم تحاول مناقشة منطقه هذه المرة ، وإنما راحت تبحث فى حقيبتها ، فى عصبية شديدة ، عن أى شىء يخصّ زوجها (أكرم) ، قبل أن تقول فى تردُّد :

- لدى خصلة من شعره ، كنت أحتفظ بها كتذكار ، أو كتميمة حظ .

قالتها ، وهى تخرج الخصلة من حقيبتها ، فالتقط هو شعرة واحدة منها ، قائلاً :

- عظيم .. عظيم جدًا .

دفع الشعرة داخل جزء خاص من الجهاز ، الذى تألّقت شاشته ، ثم تراصت عليها فى سرعة كل البيانات ، المستخلصة من البصمة الجينية للشعرة ، فتراجع ذو الشارب الكث فى مقعده ، قائلاً :

- الآن يمكننا إجراء الاتصال :

والتقط نفسًا عميقًا ، ومنحها واحدة من ابتساماته المقيتة ، قبل أن يعاود ضغط أزرار جهازه ، قائلاً :

- والآن أخبرينى ياسيِّدة (مشيرة) .. متى مات زوجك بالضبط ؟!

ترددت طويلاً ، مما جعله يلتفت إليها ، متسائلاً فى دهشة :

- ألا تذكرين تاريخ موته ؟!

أجابته فى عصبية :

- بالطبع ؛ لأننى لا أدرى ما إذا كان قد مات ، أم أنه ما زال على قيد الحياة .

ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، قبل أن ينخفضا ، ويلتقيان فى صرامة ، وهو يقول ، فى شىء من الغضب :

- أى عبث سخيف هذا ؟!

أجابته فى سرعة وارتباك :

- الواقع أن زوجى قد اختفى ، وأنا هنا لأعلم الجواب .

تطلّع إليها بضع لحظات ، فى غضب هادر ، لم يلبث أن تلاشى تدريجيًا ، قبل أن يقول فى صرامة :

- فليكن .. إنها تجربة مفيدة لكلينا على أية حال .

ثم أشار إليها بسبَّابته ، مضيفًا :

ـ ولكننى سأطلب تأييدًا ومناصرة إعلامية ، لو أقنعك ما سيحدث هنا .

تردَّدت لحظة ، فى توتر بالغ ، ثم لم تلبث أن قالت :

ـ فليكن .

تألَّقت عيناه ، وهو يقول :

ـ عظيم .. عظيم .

ثم ضغط زرًّا فى جهازه ، مستطردًا :

ـ فلنبدأ فورًا .

انتفض جسدها مع ضغطة الزر ، وانطلق عقلها الملتهب يطرح عشرات التساؤلات ..

تُرى أيمكن أن يكون الرجل على حق ؟!

هل يمكن أن يستحضر روح (أكرم) بالفعل ؟!

هل ؟!

كان الصراع محتدمًا داخلها بمنتهى العنف ، بين رفضها القديم والعنيف ، لفكرة تحضير الأرواح من أساسها ، وبين رغبتها الشديدة الحالية ، فى أن ينجح ذلك الرجل البغيض فى فعل شىء .. أى شىء ؛ ليضىء الطريق أمامها ، ويخبرها سر غياب زوجها الغامض ..

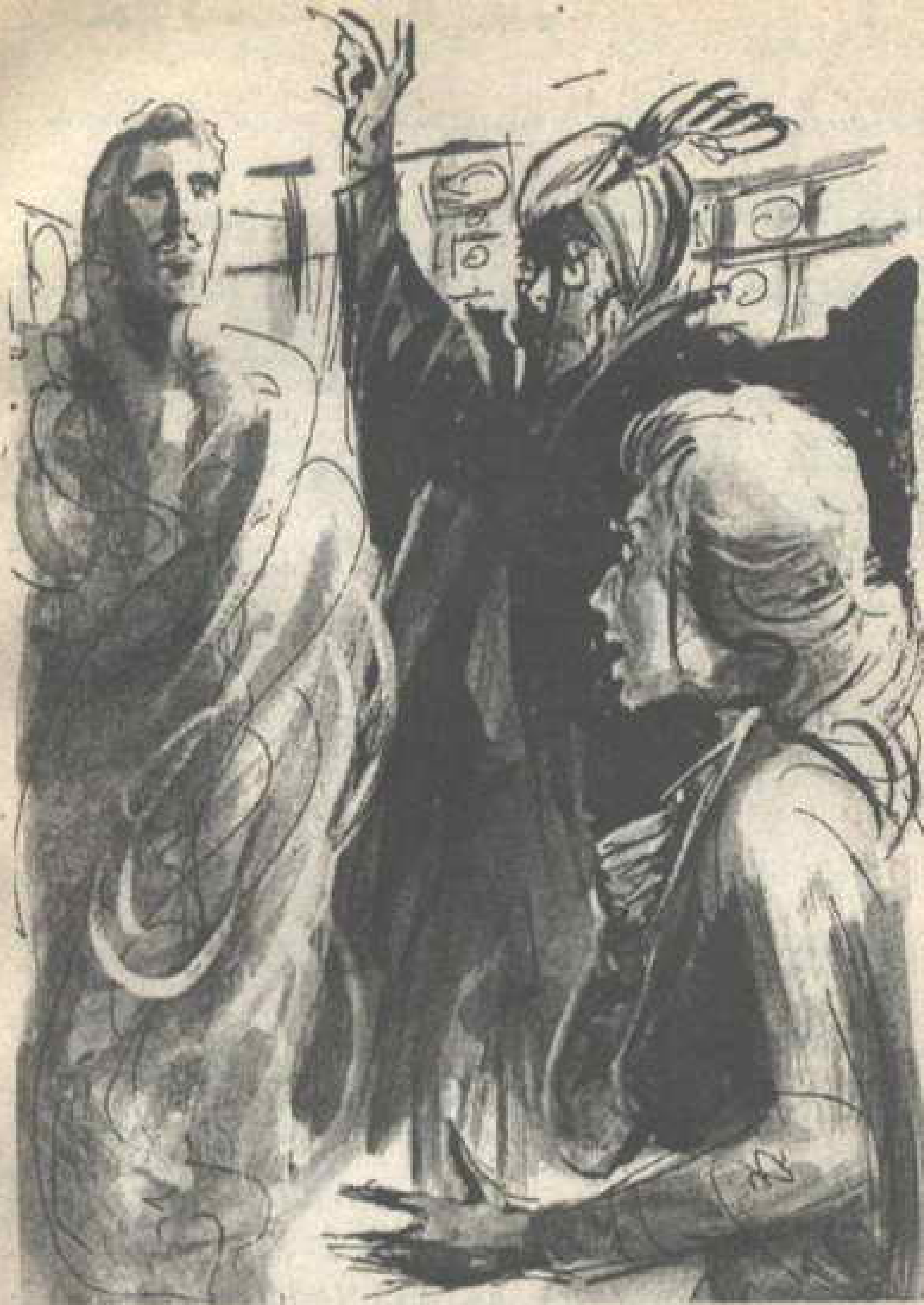
وبأسلوب مسرحى ، رفع ذو الشارب الكث ذراعيه ، وهتف بصوت جهورى عميق خشن :

ـ أيتها الروح الحائرة ، اقتربى ..

ومع هتافه ، راحت أجهزته كلها تعمل على نحو عجيب ، وشعرت (مشيرة) بذبذبة قوية تتردَّد فى المكان ، ورأت بعض الأجهزة تهتزّ فى إيقاع منتظم ، على نحو بعث فى نفسها الخوف ، والرجل يواصل هتافه :

ـ هذه بصمتك الجينية تناديك .. أقبلى .. اقتربى .. امتزجى بها .. أعلنى وجودك .

تضاعفت تلك الذبذبة ، حتى أصبحت مؤلمة لأذنيها ،



واتسعت عينا (مشيرة) فى ذعر ، عندما شاهدت خيطًا من الدخان ، يرتفع من منتصف القاعة ..

فى نفس الوقت الذى انتقلت فيه الاهتزازة إلى كل الأجهزة ، وراحت شاشاتها تضىء وتنطفئ فى تتابع مزعج ، وهو يتابع :

ـ أخبرينا أين أنت .. أين كنت ..

واتسعت عينا (مشيرة) فى ذعر ، عندما شاهدت خيطًا من الدخان ، يرتفع من منتصف القاعة ، ثم يتكثف ، ويتزايد ويتضاعف ، قبل أن يتخذ تكوينًا آدميًا ..

ثم تشكّلت فيه هيئة (أكرم) ..

وبكل انفعالها ، شهقت (مشيرة) ، هاتفة :

ـ أيعنى هذا أنه .. أنه ..

ابتسم كث الشارب فى خبث ، وهو يقول :

ـ لا تتسرّعى باستنتاجك يا سيّدتى .. إنه مجرّد اتصال روحى ، لا يعنى شيئًا بالتحديد .

حدّقت فى تلك الهيئة أمامها ، وهى تسأل بصوت مرتجف :

ـ وهل يمكنك الاتصال بروح شخص حى ؟!

اتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .

لم يكد ينطق كلمته ، حتى أضيئت الشاشات كلها دفعة واحدة ، وراحت آلاف البيانات تتراص عليها ، فى سرعة خرافية ، ثم انطلق منها أزيز قوى عنيف ، وراحت الأجهزة كلها تهتزّ فى قوة مخيفة ، فشهقت (مشيرة) فى رعب ، ولكنها فوجئت بصاحب الشارب الكث يصرخ فى رعب :

- ما هذا ؟! يا إلهى ! ما هذا ؟!

حدّقت فيه بدهشة مستنكرة ، هاتفة :

- هل تسألنى ؟!

رأته يتراجع فى رعب ، وجسده كله ينتفض فى قوة ، وهو يتلفَّت حوله فزعًا ، فانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تهتف :

آه .. إذن فأنت لا تعلم حقًا ماذا يحدث !

ثم انقضت عليه فى غضب ، جعلها تنسىِ كل ما يحدث من حولها ، وصاحت فى وجهه :

- الآن فهمت اللعبة كلها .. لقد كنت على حق .. كل هذا مجرَّد خزعبلات ودجل .. لقد حصلت على البصمة الجينية لزوجى ، حتى يمكنك الحصول على صورته ، عبر شبكة المعلومات ، واستخدامها لصنع هذه الصورة الهولوجرامية الوهمية .

صاح فى ارتياع ، وهو يحاول التملُّص منها :

- ومن يهتمَّ بهذا الآن ؟! ألا ترين ما يحدث حولنا ؟!

كان اهتزاز الأجهزة قد بلغ أوجه ، وراحت شاشاتها تتفجَّر ، واحدة بعد الأخرى ، بدوى هائل عنيف ، وتطايرت قطع الزجاج فى كل مكان ، فانحنت (مشيرة) تحمى وجهها بذراعيها ، وهى تطلق صرخات متصلة ، فى حين راح صاحب الشارب الكث يعدو دون هدى ، وهو يصرخ :

- ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث ؟!

ومع آخر حروف كلماته ، دوت فرقعة قوية فى المكان ..

فرقعة تبعتها رائحة أشبه برائحة الأوزون المحترق ..

وانتفض جسد صاحب الشارب الكث بمنتهى العنف ، وعيناه تتسعان حتى آخرهما ..

فما حدث أمامه ، فى تلك القاعة ، وتلك اللحظة ، كان أمرًا خرافيًّا ..

ورهيبًا ..

بحق ..

* * *

تألقت عينا الضخم ، وهو يمسح بيده على شعره الأشيب القصير ، ويتطلّع فى جذل وحشى إلى شاشة راصده ، التى نقلت صورة الشبان الثلاثة ، الذين أرسلهم فى تلك المهمة الخاصة ، وهم يغادرون

مطار (القاهرة) ، دون أن يعترضهم أحد ، واتسعت ابتسامته الشرسة ، وهو يقول :

- عظيم .. الهويات الزائفة أتت ثمارها .. لا أحد شك حتى فى أمرهما .

ثم استدار إلى رجل أصلع ، خبيث الملامح ، وأضاف :

- إنه اختبار مدهش للجيل الخامس .

وافقه الأصلع بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- هذا الجيل أقرب إلى الكمال .

انعقد حاجبا الضخم ، وهو يقول فى صرامة :

- أقرب إلى الكمال ؟! كنت أظنه الكمال بعينه .

هزّ الأصلع رأسه ، قائلاً :

- الجيل السادس هو الذى سيبلغ تلك الدرجة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- لو عثرنا على العينات البشرية المناسبة .

تطلّع إليه الضخم بضعٍ لحظات فى صمت ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، قائلا :

ـ عينات بشرية مناسبة ؟! آه .

ثم استدار يفتح برّاده الخاص ، ثم يلتقط من داخله وعاءً زجاجيًا ، حمله بمنتهى الحرص ، وقدّمه للأصلع ، قائلاً :

ـ هذه عينة بشرية مناسبة .

سأله الأصلع ، وهو يلتقط الوعاء بنفس الحرص :

ـ أأنت واثق يا سيّدى ؟!

تراجع الأصلع مرة أخرى فى مقعده ، وتألّقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يقول بلهجة عجيبة ، جمعت بين الوحشية والاستمتاع :

ـ تمام الثقة .. إنها عينة لواحد من أبناء دولتنا .. أمه منا ، ووالده من ألد أعدائنا .

هتف الأصلع فى دهشة :

ـ وهل تعتبر هذه عينة مناسبة ؟!

تألّقت عينا الضخم أكثر وأكثر ، وهو يلوّح بيده فى حركة مسرحية رخيصة ، قائلاً :

ـ لن تجد عينة مناسبة أكثر منها ..

ثم تراقصت على شفتيه الوحشيتين ابتسامة ساخرة ، وهو يضيف :

ـ تكفى المفارقة المدهشة .. عينة من نسل عدونا الأوّل ، لتدمير دولته كلها .. يا لها من فكرة .

قالها ، ثم انطلق يضحك ويقهقه ، على نحو جعل الأصلع يتطلّع إليه بمنتهى الدهشة والقلق ، وهو يتساءل فى أعماقه ..

تُرى أهو مختل كسلفه ؟!

وكان الجواب مخيفًا ..

مخيفًا جدًّا ..

* * *

« إنهم هنا .. »

هتف (رمزى) بالكلمة فى رعب ، وهو يحدّق فى الباب المعدنى المفتوح ، فى حين أدار (نور) ضوء مصباحه فى سرعة ، هاتفًا :

- رباه ! أمن الممكن أن ..

قبل أن يكتمل هتافه ، شعر بضربة عنيفة ، تطيح بالمصباح من يده ، وتلقيه فى ركن القاعة ..

ثم انطلق ذلك الفحيح ..

فحيح قوى ..

عنيف ..

مخيف ..

وقريب ..

قريب جدًا ..

ومع صوت الفحيح ، تناثر سائل عجيب على خوذته ، ليحجب عنه الرؤية تمامًا ..

وبحركة غريزية ، وثب (نور) جانبًا ، وهو يهتف :

- احترس يا (رمزى) .

رفع (رمزى) فوهة بندقيته الليزرية ، وراح يطلق أشعتها عشوائيًا ، وهو يصرخ ..

ويصرخ ..

ويصرخ ..

ودوت انفجارات محدودة ، مع ارتطام خيوط الأشعة بالجدران ، و ..

وأتت الضربة عنيفة هذه المرة ..

عنيفة أكثر مما ينبغى ..

جسم ضخم ارتطم بصدره ، وانتزعه من مكانه ، ليلقيه عبر القاعة ، حيث ارتطم ببعض الأجهزة ، قبل أن يصطدم بالجدار ، ويسقط أرضًا فى عنف ، وهو يسعل ويلهث فى شدة ..

وفى سرعة ، راح (نور) يمسح ذلك السائل ، الذى غمر خوذته ، وهو يهتف فى عصبية :

- (رمزى) .. أأنت بخير ؟!

سعل (رمزى) مرة أخرى ، وهو يهتف فى ألم متهالك .

- إنهم هنا .. إنهم هنا .

هتف (نور) ، وهو يرفع فوهة سلاحه :

- لقد نفثوا فى وجهى نوعًا من السم ، ولولا الخوذة لقضيت نحبى حتمًا .

قال (رمزى) فى مرارة :

- ولكنهم هنا .

ثم أضاف فى يأس :

- ونحن لا نراهم .

مع قوله ، انبعث ذلك الفحيح مرة أخرى ، وبدا قريبًا على نحو مخيف ، فقال (نور) فى صرامة :

- ربما لا نراهم الآن .

ثم أدار فوهة سلاحه نحو السقف ، هاتفًا :

- ولكننا سنراهم بعد لحظة واحدة .

انطلقت أشعة الليزر من سلاحه ، وأصابت سقف القاعة ، الذى توهَّج بكتلة من النيران ، لمح (نور) معها ذيل ثعبان ضخم ، يزحف بسرعة ، خلف أحد الأوعية الضخمة ، فاتسعت عيناه لضخامته ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ولكن الوهج لم يستغرق سوى ثوان معدودة ، حاول (نور) استغلالها بأفضل وسيلة ممكنة ، فوثب بكل قوته ، ليلتقط مصباحه اليدوى من الركن ، ثم أداره إلى حيث يزحف ذلك الثعبان ، و ....

وغمر الضوء المكان كله ..

غمره فى نفس اللحظة ، التى برز فيها ذلك الشىء ، من خلف الوعاء الضخم .. واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، واحتبست صرخة قوية فى حلقه ، وانتفض جسده كما لم ينتفض من قبل ..

أما (نور) ، فقد احتبست أنفاسه من هول الموقف ، وهو يحدّق فى ذلك الكائن أمامه ..

الكائن الذى لم يكن ثعبانًا ..

بل كان شيئًا آخر ..

شيئًا رهيبًا ..

للغاية ..

* * *

انتهى الجزء الأوّل بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(أنياب)

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سرى جداً !!

د. نبيل فاروق

أنياب

142

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٣

ملف المستقبل
142
• أنياب •
• المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

142

١١٧٢٠٠٢

ص
الثمن فى مصر ٢٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



أنياب

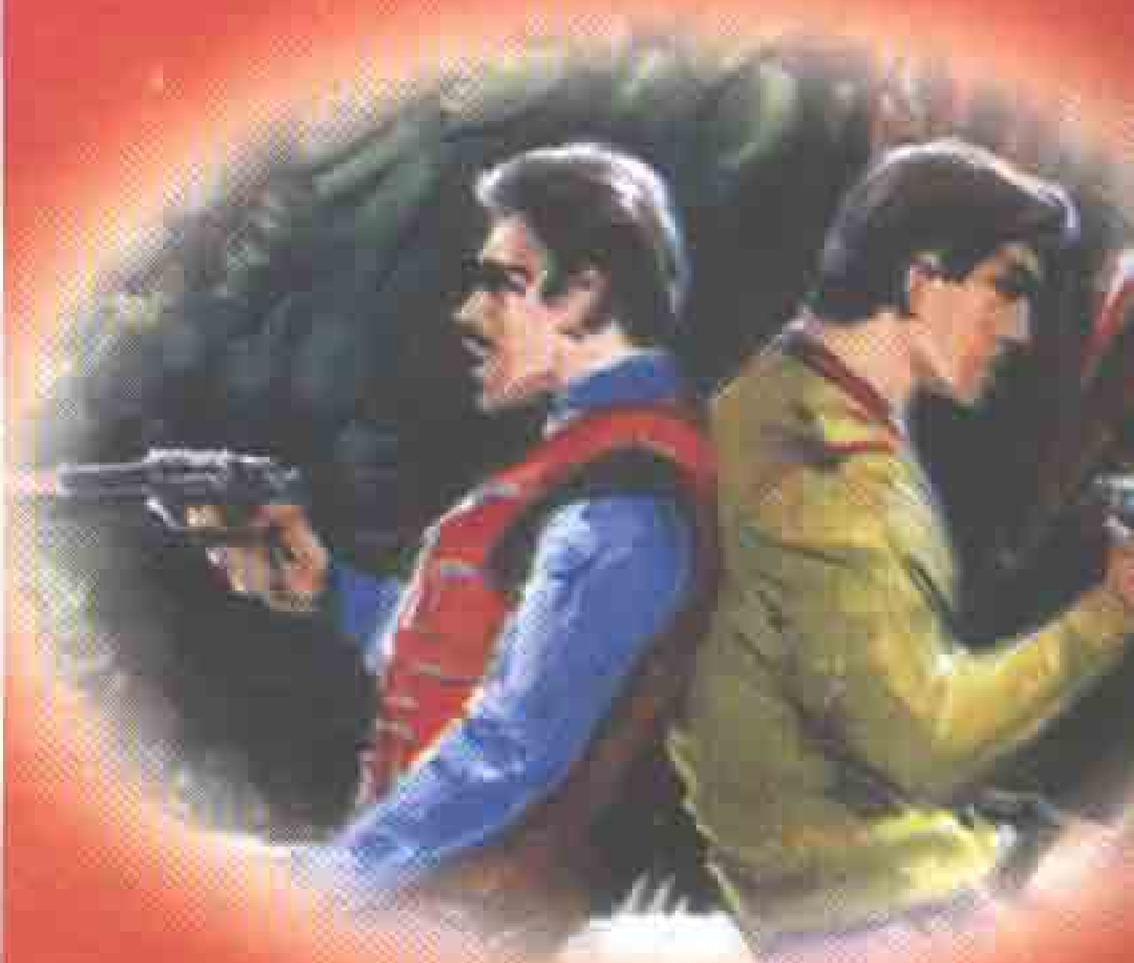
مصير (نور) و (رمزى) ، عندما
جهان الثعابين نصف البشرية ، فى
عماق ؟!

يتجاوز (أكرم) محنة نهر الزمن ، أم
ى هناك إلى أبد الآبدين ؟!

لمن يكون النصر فى الجولة الأخيرة ؟!

تتساقط للمنتصر (أنياب) ؟!

ا التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور)
يقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم
(بلا جسد)

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ نصف وحش ..

ارتسم كل توتر الدنيا ، على وجه الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، وهو يدلف إلى حجرة القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية المصرية ، هاتفًا :

ـ كارثة أيها القائد الأعلى .. كارثة !

هبَّ القائد الأعلى من مقعده ، متسائلاً :

ـ ماذا حدث ؟!

لوَّح الدكتور (جلال) بورقة فى يده ، قائلاً فى انفعال :

ـ (نشوى) ابنة (نور) ، أرسلت نداء استغاثة ، من معسكر البحث ، أمام ذلك المنجم المهجور ، فى (جبل الطور) .

تراجع القائد الأعلى ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتساءل :

ـ رباه ! هل سقط (نور) وفريقه أيضًا ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. كل ما حدث هو أن (نشوى) قد أرسلت نداء استغاثة عاجلة ، ثم لم يعد باستطاعتنا بعدها الاتصال بأى عضو ، من أعضاء فريق (نور) .

عاد القائد الأعلى إلى مقعده فى بطء ، وهو يتمتم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى ! ستكون كارثة بحق ، لو فقدنا (نور) وفريقه العلمى الخاص ..

نطقها ، وعقله يستعيد تلك الأحداث منذ البداية ..

البداية القريبة ..

جدًّا ..

فمع وصول البعثة الجيولوجية (ت ـ ١٧) إلى المنجم القديم ، لحساب إحدى شركات التعدين الكبرى ، لبحث ما إذا كان من الممكن إعادة فتح المنجم أم لا ، حدث ذلك الأمر الغامض الرهيب ..

شىء ما هاجم أفراد البعثة ، وقضى عليهم بلا هوادة ، واستولى على كل ما حملوه معهم ، من أجهزة تكنولوجية حديثة ..

شىء رهيب ..

غامض ..

ووحشى ..

ولأن الأمر كله كان خطيرًا ، إلى أقصى حد ممكن ، فقد تم إرسال (نور) وفريقه إلى منطقة المنجم المهجور ، فى محاولة لكشف السر ..

الفريق ، باستثناء شخص واحد ..

(أكرم) ..

(أكرم) الذى أرسلته عملية تطوّعية انتحارية ، إلى خارج عالمنا المعروف ..

إلى أعمق أعماق نهر الزمن ..

وبحيرة التاريخ(*) ..

وفى الوقت الذى كان جسده يندفع فيه ، عبر نهر الزمن ، بسرعة خرافية رهيبة ، نحو عاصفة زمنية

(★) راجع قصة (قراصنة الزمن) .. المغامرة رقم ١٤٠

عاتية ، كفيلة بسحقه سحقًا ، كان (نور) وفريقه يواجهون لغزًا غامضًا مخيفًا ، عند المنجم المهجور ..

لغز الثعابين ..

ثعابين الإنس ..

ونوع نادر ، رهيب ، هائل من الثعابين ..

نوع ابتكرته ، وزرعته فى أرضنا ، عقول حقيرة شريرة ، لا هدف لها ، منذ تطفلت على أوطاننا ، سوى القضاء علينا جميعًا ، ومد سيطرتها على كافة حدودنا بلا استثناء ..

وعلى الرغم من الأحداث العنيفة والمخيفة ، والأمور الكفيلة بتحطيم شجاعة أعتى الرجال ، واصل (نور) وفريقه مواجهة الخطر ..

بكل الحزم ..

والعزم ..

والقوة ..

والإصرار ..

وهناك ، فى قلب نهر الزمن ، الذى ينساب بلا توقف ، كاد (أكرم) يهوى فى عاصفته العاتية ، لولا أن أمسكت بمعصمه أصابع قوية ..

أصابع (محمود) ..

(محمود) ، عضو الفريق السابق ، الذى كان أول من فقدوه ، فى مجرى الزمن الثائر(*) ..

ومع هذا اللقاء المذهل والمستحيل ، تغيرت أمور عديدة ، والتقى بطلان ، لم يلتقيا منذ زمن طويل ..

أما (نور) و(رمزى) ، فقد هبطا معًا إلى أعمق أعماق بئر المنجم ، حيث وجدا معملاً قديمًا ، لإنتاج عينات وراثية ثعبانية ، ينتهى بباب معدنى كبير ، لا أحد يعلم إلى أين يقود ..

وكانت هناك هياكل عظمية لنصف ثعبان ، ونصف إنسان ، و ....

وفجأة ، هاجمهما ذلك الشىء ..

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم ١٠٠ .

أصبحا معه فى تلك القاعة ..

وحدهما ..

وبعد قتال عنيف ، ومحاولة فاشلة لبث السم فى جسديهما ، ووسط ظلام المكان ، أضاء (نور) مصباحه فى وجه ذلك الشىء ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

ومخيفة ..

إلى أقصى حد ..

فما رآه هو و(رمزى) أمامهما ، فى تلك القاعة ، وما يواجهانه وجهًا لوجه ، لم يكن مجردَّ ثعبان ضخم ، كما قدَّر من قبلهما ..

لقد كان شيئًا آخر ..

شيئًا أثار الرعب فى أعماقهما حتى النخاع ..

كل الرعب(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول .. (الثعابين) .. المغامرة رقم ١٤١

★ ★ ★

« .. هل تعتقدين أنهم سيرسلون النجدة بسرعة ؟! »

ألقت (سلوى) السؤال ، بكل عصبية الدنيا ، وهى تحاول جاهدة رفع درجة حساسية أجهزتها اللاقطة ؛ لاستعادة اتصالها مع (نور) و(رمزى) بأى ثمن ، فهزَّت (نشوى) رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ هذا ما ينبغى أن يفعلوه .. لقد أطلقنا إشارة للاستغاثة الكبرى ، والمفترض ، وفقًا للقواعد الأمنية المعمول بها ، أن يتم إرسال قوة النجدة فور إطلاقها .

حاولت التعامل مع أجهزتها مرة أخرى ، وهى تغمغم :

ـ أتعشَّم هذا .

قالتها ، ثم تراجعت ، هاتفة فى غضب عصبى :

ـ ماذا أصاب هذه الأجهزة ؟! لقد أصبحت عاجزة عن إرسال أو استقبال أى شىء بغتة ..

رفعت (نشوى) عينيها ، فى توتر بالغ ، وهى تتلفَّت حولها ، قائلة فى عصبية :

ـ هناك أجهزة اتصال أخرى ، تعمل للشوشرة على أجهزتنا .

هتفت (سلوى) فى مرارة :

ـ ومن أين أتت تلك الأجهزة الأخرى ؟!

صمتت (نشوى) لحظة ، ثم قالت فى حزم :

ـ الأجهـزة المفقـودة ، مـن البعثـة الجيولوجية (ت ـ ١٧) .

وتوقَّف بصرها عند تلك الفجوة ، التى ألقيت منها جثث الضحايا ، وهى تضيف فى صرامة عصبية :

ـ لقد وضعها هنا ..

ردَّدت (سلوى) ، وهى تحدِّق فى الفجوة بدورها :

ـ وضعها ؟! هنا .

ثم أدارت عينيها إلى ابنتها بحركـة حـادة ، مستطردة ، بكل العصبية والانفعال :

ـ (نشوى) .. إننا نتحدَّث عن نوع من الثعابين ، مهما بلغت ضخامته أو شراسته ، ولانتحدَّث عن خصم عاقل .

هتفت (نشوى) :

ـ ليس عاقلاً .

ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهـى تلتقـط أحـد أجهزتها ، مضيفة :

ـ بل ذكى وخبيث أيضًا .

كرَّرت (سلوى) بدهشة مستنكرة :

ـ ذكى وخبيث ؟!

أجابتهـا (نشـوى) فـى حزم ، وهى تتجـه نحـو الفجوة مباشرة :

ـ نعم .. كالثعابين .

رقدت على بطنها على الرمال ، عند حافة الفجوة ، وضـغطت أزرار جهـازها ، قبل أن تجذب منه سـلكًا رفيعًا ، وتغرسه فى الأرض ، قائلة :

ـ من الواضح أن الغرض الرئيسى هو الشوشرة على الاتصالات فحسب ، بدليل أن الأجهزة كلها تعمل بكفـاءة ، فيما عدا أجهزة الاتصال العامة والمحدودة .

نهضت (سلوى) ، واتجهت إليها ، قائلة فى حذر (متوتر) :

- ماذا تفعلين ؟!

عادت (نشوى) تضغط أزرار جهازها ، مجيبة :

- أتأكدّ من صحة نظريتى .

ظلّ جهازها صامتًا بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن أطلق أزيزًا متقطّعًا عاليًا ، ارتفع معه حاجبا (سلوى) فى دهشة ، فى حين هتفت (نشوى) :

- لقد كنت على حق .

وقفزت واقفة على قدميها ، وهى تضيف فى انفعال :

- تلك الأشياء المدفونة هنا ، هى التى تمنعنا من الاتصال بأبى و(رمزى) ، ومن بث ما لدينا إلى (القاهرة) .

اتسعت عينا (سلوى) أكثر ، وتراجعت بحركة غريزية ، قائلة :

- يا إلهى ! أى شىء ذلك ، الذى يواجهه (نور) و(رمزى) هناك ، فى أعماق ذلك المنجم ؟!

أجابتها (نشوى) فى سرعة ، وهى تسرع إلى حقيبتها ، وتلتقط منها كرة صغيرة من معدن لامع :

- ليس مجرّد ثعبان بالتأكيد .

راقبتها (سلوى) ، وهى تعود إلى الفجوة ، وتلقى الكرة فى أعماقها ، وهى تقول فى عصبية بالغة :

- أى شىء هو إذن ؟!

أجابتها (نشوى) ، وهى تضغط أزرار جهازها فى سرعة وحزم :

- شىء ذكى ، شرير ، وغير بشرى .

ثم تراجعت فى سرعة ، هاتفة بأمها :

فلنبتعد .

تراجعت معها (سلوى) فى سرعة ، وهى تسألها :

ـ ماذا وضعت فى تلك الفجوة ؟!

أجابتها فى حزم :

ـ قنبلة .

توقَّفت (سلوى) ، هاتفة فى ذعر مستنكر :

ـ ماذا ؟!

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى الانفجار ..

انفجار محدود مكتوم ، دوى فى قاع الفجوة وتصاعدت معه سحابة من الدخان ، قبل أن يتلاشى كل هذا دفعة واحدة ، فعادت (سلوى) تهتف :

ـ قنبلة يا (نشوى) .

أجابتها (نشوى) فى حزم ، وهى تندفع نحو أجهزة الاتصال والرصد :

ـ ليست قنبلة عادية يا أمى .. إنها قنبلة إليكترونية ، من طراز خاص جدًّا .. انفجارها سيتلف الوحدات الرئيسية ، لكل أجهزة الشوشرة ، المدفونة تحت المعسكر .

سألتها (سلوى) فى قلق شديد :

ـ وماذا عن أجهزتنا ؟!

أجابتها ، وهى تتعامل مع أزرار أجهزتها فى سرعة ولهفة :

ـ اطمئننى يا أمى .. إنها قنبلة محدودة .

وأدارت عينيها إليها ، مضيفة فى حزم :

ـ لقد اخترعتها بنفسى .

حدَّقت فيها (سلوى) بضع لحظات فى توتر ، قبل أن تتجه بدورها نحو أجهزتها ، قائلة :

ـ يا إلهى ! إننى أشعر بالزهو ؛ لأنك تفوَّقت علىَّ فى هذا المضمار .

تمتمت (نشوى) وهى تضغط زرًّا أخيرًا :

ـ هذا أمر طبيعى ؛ فأنا ابنتك .

مع تلك الضغطة الأخيـرة ، تألَّقت شاشات الاتصال

والرصد كلها دفعة واحدة ، فهتفت (نشوى) فى حماسة :

ـ لقد نجحت .

تواثبت أصابع (سلوى) بدورها ، على أزرار أجهزتها ، وهى تهتف ، عبر جهاز الاتصال :

ـ (نور) .. هل تسمعنى ؟! هل تسمعنى يا (نور) ؟!

لم تتلق جوابًا من الجانب الآخر ، فارتجف جسدها كله مع صوتها ، وهى ترفع عينيها إلى (نشوى) ، قائلة :

ـ أأنت واثقة من حدوث الاتصال ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت فى حزم :

ـ نعم .. كل الأجهزة تؤكِّد هذا .

ثم ضغطت أزرار شاشة الرصد ، وهى تضيف :

ـ على كل ، يمكننا الاستعاضة عن الاتصال المباشر ، بما يمكن أن تنقله آلة التصوير .

مع ضغطاتها ، أضيئت شاشة رصد آلة التصوير ، وبدأت عملها ، و ....

وانبعث منها ذلك الفحيح ..

فحيح وحشى مخيف ، جعل قلبيهما يخفقان فى عنف ، ودفع (سلوى) إلى أن تثب من مكانها ، وتندفع نحو شاشة الرصد ، هاتفة :

ـ (نور) .. يا إلهى ! (نور) .

ومع نهاية هتافها ، نقلت عدسة آلة التصوير المتطوِّرة مشهدًا ، لما يحدث داخل تلك القاعة ، فى أعماق البئر ..

وفى آن واحد ، وبانفعال جارف ، أطلقت (سلوى) و(نشوى) صرختى رعب هائلتين عنيفتين ..

فالمشهد الذى نقلته عدسة آلة التصوير ، كان بشعًا .. إلى أقصى حد متصوَّر ..

* * *

تألَّقت عينا ذلك الضخم الأشيب ، فى جذل وحشى ، وهو يجلس على كرسى مكتبه الكبير ، ويتابع فى شغف أحد الأفلام التسجيلية العسكرية ، لواحدة من المذابح الدموية الرهيبة ، التى قام بها سلفه ، فى ذروة سلطته ، ثم لم يلبث أن التقط نفسًا منتشيًا عميقًا ، قبل أن يغمغم فى إعجاب :

ـ كنت عبقريًا رائعًا بحق يا عماه .. لست أدرى كيف يصفك التاريخ الآن بأنك مجرم حرب دموى عتيد !!

ثم مطَّ شفتيه ، مضيفًا فى مقت :

ـ يا للأوغاد !

وأنهى العرض ، وهو يكمل فى حزم :

ـ ولكنهم سيدفعون الثمن .. كلهم سيدفعون الثمن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال المحدود على مكتبه ، وانبعث منه صوت الأصلع ، وهو يقول :

ـ سيِّدى .. هل يمكننى أن أراك الآن ؟!

عقد الأشيب الضخم حاجبيه فى عصبية ، وهو يسأله :

ـ بشأن ماذا ؟!

أجابه الأصلع فى سرعة :

ـ بشأن عملية (الجيل الخامس) .

أزداد انعقاد حاجبى الأشيب ، وهو يقول فى توتر :

ـ أسرع إذن .

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان الأصلع يقف أمامه ، قائلاً :

ـ لابد من حدوث تعديل فى الخطة .

لم يرق هذا القول للضخم ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ولماذا ؟!

ناوله الأصلع ورقة ، تحوى آخر معلومة وصلت ، من عميلهم السرى فى (القاهرة) ، فطالعها الضخم

فى توتر شديد ، قبل أن يتراجع فى مقعده الكبير ، ويحك ذقنه بسبَّابته بضع لحظات فى عصبية ، فقال الأصلع فى حزم :

- لن يكون لديهم الوقت الكافى ، لبلوغ (سيناء) ، وتنفيذ المهمة كما ينبغى .

مطَّ الضخم شفتيه فى عصبية ، وهو يغمغم :

- والمواجهة المباشرة لن تناسبهم بالتأكيد .

استغرق فى التفكير بضع لحظات ، وهو يعيد دراسة الموقف كله ، قبل أن يرفع عينيه بغتة إلى الأصلع ، قائلاً :

- (القاهرة) الجديدة .

سأله الأصلع فى حذر :

- ماذا تقصد بالضبط يا سيِّدى ؟!

نهض الضخم من مقعده الكبير ، وهو يشير بسبَّابته ، قائلاً :

- أقصد أننا سنعدّل الخطة ، بحيث تتفق مع ما كان ينبغى أن يحدث منذ البداية .. فالجيل الخامس يناسب العمليات السرية فى المدن ، بأكثر مما يناسب مواجهة مباشرة فى الصحراء والجبال ..

ثم استدار إلى الأصلع ، وأكمل فى حزم :

- أبلغهم أن (القاهرة) الجديدة ، هى مسرح العمليات الحالى .

سأله الأصلع فى اهتمام :

- وماذا عن الخطة ؟!

تألَّقت عينا الضخم ، وهو يشرد ببصره فى جذل وحشى ، مجيبًا :

- ستكون هناك خطة أخرى بديلة .. خطة أكثر اتساعًا .

وتراقصت ضحكة شرسة على شفتيه ، وهو يضيف :

- وأكثر طموحًا .

قالها ، وانطلقت ضحكته تجلجل فى المكان ..

ضحكة عالية ..

قوية ..

ووحشية ..

* * *

لثانية أو ثانيتين ، تجمَّد الموقف تمامًا ، داخل تلك القاعة ، فى أعماق بئر المنجم المهجور ، و(نور) و(رمزى) يحدقان فى ذلك الشىء الرهيب ، الذى يتطلَّع إليهما بعينين مشتعلتين كالجحيم ..

لم يكن ثعبانًا ..

أو حتى بشرًا ..

كان مزيجًا رهيبًا مخيفًا ، من هذا وذاك ..

نصفه العلوى بشرى ، له رأس أصلع ، وصدر قوى ، وذراعان مفتولا العضلات ، وعند منتصف البطن ، يبدأ نصفه الثعبانى ..

نصف مغطى بحراشيف ثعبانية ، تمتزج بخلايا بشرى ، وينتهى بذيل طويل ..

أما العينان ، فعلى الرغم من أنهما تتوسطان جمجمة بشرية ، إلا أنهما كانتا مشقوقتين طوليًّا كعيون الثعابين ..

ولقد تحفَّز ذلك الثعبان نصف البشرى ؛ لينقضَّ عليهما مرة أخرى ، وهو يبرز أنيابًا حادة طويلة ، ويطلق فحيحًا رهيبًا مخيفًا ، تراقص معه لسانه المشقوق الطويل خارج فمه ..

وفى ذهول ، غمغم (رمزى) :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟!

أجابه (نور) ، وهو يرفع فوهة سلاحه فى حذر :

ـ خصمنا .

سعل (رمزى) ، وهو يحاول النهوض ، قائلاً :

ـ أتعشَّم ألا يكون هناك العديد من أمثاله .

قال (نور) فى حزم :

ـ لا فارق .. واحد منها يكفى .

مع عبارته ، أطلق ذلك الثعبان نصف الآدمى فحيحًا رهيبًا آخر ، ثم انقضَّ بغتة ..

وضغط (نور) زناد بندقيته الليزرية ، وانطلق خيط الأشعة منها ، ولكن فى نفس اللحظة ، التى هوى فيها ذيل الثعبان على البندقية ..

وطاشت الطلقة ، والبندقية الليزرية تطير من يد (نور) وتصطدم بالجدار ..

وبكل مهارته ، وثب (نور) نحو البندقية ، محاولاً استعادتها ، ولكن ذلك الثعبان الرهيب انقضَّ عليه ، ولطمه بذيله الضخم ، بكل ما يملك من قوة ..

وشعر (نور) وكأن سيارة قد ارتطمت به ، فطار جسده فى الهواء ، وارتطم بالجدار بمنتهى العنف ، قبل أن يسقط على ظهره أرضًا ، وكل خلية فى جسده تصرخ ألمًا ..

وفى ظفر ، تألقت عينا ذلك الوحش ، وهو يتراجع لحظة ، ويطلق فحيحه الرهيب مرة أخرى ، ولسانه المشقوق يضرب الهواء ، استعدادًا للانقضاض على (نور) و ....

« هنا أيها الوغد .. »

انطلق هتاف (رمزى) صارمًا ، من الجانب الآخر للقاعة ، فاستدار إليه ذلك الثعبان نصف الآدمى فى وحشية ، فانحنى (رمزى) يلتقط سلاحه ، وهو يقول فى حزم :

ـ تجاهلك لى يهين كرامتى أيها الحقير .. هيا .. اترك (نور) واتجه نحوى أنا .

هتف (نور) :

ـ لا يا (رمزى) .. لا .

ولكن (رمزى) قال بنفس الصرامة :

ـ هيا أيها الوغد .. تعال إلىَّ أنا .

أطلق الثعبان الرهيب فحيحه المخيف مرة أخرى ، فى نفس اللحظة التى التقط فيها (رمزى) سلاحه ، و ....

وفجأة ، وثب الثعبان ..

وثب وثبة هائلة ، استعان فيها بذيله الضخم القوى ، ليعبر القاعة كلها دفعة واحدة ، ثم يمسك (رمزى) بذراعيه القويتين فى صرامة ووحشية ..

وانتفض جسد (رمزى) كله فى عنف ، وعيناه تحدقان مباشرة ، فى عينى ذلك الثعبان الرهيب ، الذى فتح فكيه عن آخرهما ، لتبرز أنيابه الحادة الطويلة ، و(نور) يقاوم آلامه ، لينهض هاتفاً :

ـ لا .. ليس (رمزى) .

ومع نهاية هتافه ، هوى ذلك الثعبان البشع بأنيابه ، على صدر (رمزى) مباشرة ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، مع ذلك المشهد ..

وشهق (رمزى) فى قوة ، قبل أن يفلته الثعبان ، ويتراجع بحركة حادة وبكل ذعره وتوتره ، هتف (نور) :

ـ يا إلهى ! (رمزى) .. (رمزى) .

هتف (رمزى) ، فى توتر مفعم بالدهشة :

ـ لا تقلق يا (نور) .. أنيابه لم تصب جسدى .. لقد مزّقت الثوب الواقى فحسب .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وهو يحدّق فى ذلك الوحش نصف الآدمى ، الذى انتفخت نواجذه على نحو عجيب ، وهتف :

ـ يا إلهى ! ذلك السم .

وهنا .. هنا فقط ، انتبه (رمزى) للأمر ، وأدرك لماذا مزّق الوحش زيه الواقى ..

وبكل رعب الدنيا ، اتسعت عيناه ، و ....

واندفع رأس الوحش إلى الأمام فى قوة ..

وانطلق من بين شفتيه فيض من السم القاتل ..

* * *

٢ ـ ثقب فى الزمن ..

« ما الذى يحدث بالضبط ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال ، فى توتر لا محدود ، وهو يشير إلى ما يشبه دوَّامة صغيرة متألِّقة ، تتسع فى سرعة ، فى بقعة ما من ذلك الفراغ الزمنى ، الذى يسبح فيه مع (محمود) فهزَّ هذا الأخير رأسه ، فى حيرة لا تقلّ توترًا ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .. هذا لم يحدث من قبل قط ، منذ وجودى هنا .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ أتعتقد أنه أشبه بتلك العاصفة الزمنية ، التى ..

قاطعه فى سرعة وحسم :

ـ كلاَّ ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ إنه شىء لم أشهده من قبل قط .

كانت تلك الدوَّامة تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

ومع اتساعها ، كانت سرعة دورانها تتزايد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولفترة ما ، يصعب تحديدها ، فى فراغ زمن كهذا ، لم ينبس (محمود) أو (أكرم) ببنت شفة ، قبل أن يقطع الأوَّل ذلك الصمت ، قائلاً فى توتر :

ـ الأفضل أن نبتعد عن هنا .

استدار إليه (أكرم) بحركة حادة ، وحدَّق فى وجهه لحظة ، وكأنما يحاول أن يستشفّ ما يعتمل فى أعماقه ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هيا بنا ..

أدارا ظهريهما معًا لتلك الدوّامة العجيبة ، وهمّا بالابتعاد ، و ....

وفجأة ، شعر (أكرم) بقوة عجيبة ، تجذبه إلى الخلف فى عنف ..

قوة شفط عملاقة ، سحبته نحو الدوّامة ..

مباشرة ..

وبكل دهشته وتوتره ، هتف :

- يا إلهى ! ماذا يحدث ؟!

استدار إليه (محمود) بحركة سريعة ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف بدوره :

- رباه ! لقد انتقتك .

قالها ، ثم دفع يده نحو (أكرم) ، ليتشبّث كل منهما بالآخر فى قوة ..

ولكن قوة الجذب تضاعفت ..

وتضاعفت ..

وتضاعفت ..

وفى دهشة عارمة ، هتف (محمود) :

- ولكن لماذا ؟! لماذا أنت ؟! إننى أشعر بقوة هائلة تجذبك ، إلى مركز الدوّامة ، فى حين لايجذبنى أى شىء إليها ، على الرغم من أننى أقف على مسافة متر واحد منك .

كان (أكرم) يقاوم ذلك الجذب فى استماتة ، وهو يهتف :

- لقد قلتها .. تلك الدوّامة انتقتنى أنا لسبب ما .

تزايدت قوة الجذب ، حتى راح جسده يتراجع ، على الرغم من كل محاولات (محمود) ، الذى بدأ جسده يزحف مع جسد (أكرم) ، المتشبث به فى قوة ، فهتف هذا الأخير ، فى حزم عصبى :

- لا فائدة يا صديقى .. إنها مصرّة على ابتلاعى .. اتركنى باللّه عليك .. اتركنى قبل أن نذهب معًا .

صاح (محمود) فى صرامة :

- محال .



تزايدت قوة الجذب ، حتى راح جسده يتراجع ، على الرغم من كل محاولات (محمود) ، الذى بدأ جسده يزحف مع جسد (أكرم) ..

صرخ فيه (أكرم) ، وقد بدأ جسداهما يندفعان نحو الدوَّامة العجيبة بسرعة أكبر :

ـ قلت : اتركنى .. هذا أمر .

صاح فيه (محمود) ، وهو يمسك معصمه بقوة أكبر :

ـ ومن قال : إنه بإمكانك أن تصدر لى أية أوامر .

بدا من الواضح أن المقاومة مستحيلة ، وأنه هناك قوة شفط جبارة ، فى قلب تلك الدوَّامة ، اختارت (أكرم) بالتحديد لتجذبه إليها ، وتبتلعه فى أعماقها لسبب ما ، مع تزايد سرعة اندفاعه نحوها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولكن أكثر ما أقلقه ، فى تلك اللحظة ، هو أنه يجذب (محمود) معه دون مبرِّر ، إلى مصير مجهول ..

مجهول تمامًا ..

ومرة أخرى ، صرخ :

- اتركنى يا (محمود) .. اتركنى بالله عليك .

صرخ (محمود) ، فى عناد وإصرار :

- مستحيل !

هتف (أكرم) :

- إنك لم تترك لى الخيار إذن .

ثم استجمع قوته ، وهوى على فك (محمود) بلكمة كالقنبلة ، صائحًا فى مرارة :

- سامحنى يا صديقى .

دفعت اللكمة المباغتة (محمود) بعيدًا ، وأجبرته على إفلات معصم (أكرم) ، الذى أدى غياب مقاومة (محمود) المفاجئ إلى تضاعف سرعة اندفاعه بغتة ، ليهوى جسده نحو الدوّامة العجيبة ، و(محمود) يصرخ :

- لماذا يا (أكرم) ؟! لماذا ؟!

ولكن كلماته ضاعت وسط الفراغ الزمنى اللانهائى ، عندما غاص جسد (أكرم) فى قلب تلك الدوامة دفعة واحدة ، واختفى ..

اختفى تمامًا ..

من نهر الزمن ..

★ ★ ★

ثانية واحدة ، كان يحتاج إليها ذلك الثعبان الوحشى نصف الآدمى ، لينفث سمه الرهيب ، فى وجه (رمزى) ..

ومع التمزقات التى أحدثها فى ثوبه الواقى ، كان من المحتّم أن يقتله ذلك السم المطوّر خلال ثلاث دقائق فحسب ..

وبأبشع آلام واجهها ، فى عمره كله ..

ولقد تألّقت عينا الثعبان ، وهو يتراجع برأسه ، وتلك الغدد اللعابية المتطوّرة تحت لسانه ، تفرز المزيد والمزيد من ذلك السم ، و ....

وفجأة ، وثب (نور) ..

لم يكن قد استعاد سلاحه بعد ، والآلام مازالت تعربد فى كل جزء من جسده ، ولكنه شاهد زميله فى خطر ، فوثب ..

وبحركة ماهرة سريعة ، تعلَّق بعنق ذلك الثعبان من الخلف ، صارخًا :

- لا .. لن تفعلها .

مبادرته باغتت ذلك الوحش بالفعل ، فأطلق فحيحًا غاضبًا ، وتناثر قدر من السم من بين شفتيه ، وهو يدور حول نفسه ، ويحاول انتزاع (نور) من خلف ظهره بذراعيه القويتين ..

ولكن (نور) أحاط عنقه بذراع كالفولاذ ، وهو يهتف :

- سلاحك يا (رمزى) .. التقط سلاحك .

كان من الواضح أن ذلك الوحش قد فهم ما يعنيه (نور) ، إذ انطلقت من حلقه صرخة مختنقة ، أعقبها ذلك الفحيح المخيف ، وهو يحاول الاندفاع نحو (رمزى) ، وذيله يضرب الهواء ، لمنعه من بلوغ سلاحه ..

ولكن (نور) اعتصر عنقه بقوة من الخلف ، وهو يهتف :

- لا لن أسمح لك ..

نفث الثعبان الرهيب بعض السم مرة أخرى ، فى هواء القاعة ، وهو يواصل إطلاق فحيحه الغاضب ، ويدور حول نفسه فى عنف ، فى محاولة للتخلُّص من(نور) ، الذى راحت ذراعه القوية تعتصر عنق الوحش أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وشعر (رمزى) برذاذ يتناثر على خوذته ، وببعضه يخترق زيه الواقى الممزَّق ، ويتساقط على كتفه اليسرى ، إلا أنه لم يتوقف لحظة واحدة ، للتساؤل عما يمكن أن يفعله به هذا ، وإنما وثب يلتقط سلاحه من ركن القاعة ، ويصوبه إلى ذلك الشىء البشع ، هاتفًا :

- لقد استعدته يا (نور) .

كان الثعبان الضخم قد رفع ذيله ، وراح يضرب به (نور) من الخلف ، وهو يواصل الدوران حول نفسه فى عنف ، وقد أصابه الذعر ، مع الاختناق الذى شعر به ، إثر اعتصار بطلنا لعنقه فى قوة ..

وكانت ضربات الذيل قاسية عنيفة ، إلا أن (نور) كان يدرك جيدًا أن فرصتهما الوحيدة فى النجاة ، هى فى القضاء على ذلك الوحش ، الذى لن يرحمهما لحظة واحدة ، لو أنهما سقطا فى قبضته ..

وعلى الرغم من كراهيته للقتل والعنف والتدمير ، فقد استنفر (نور) كل عضلاته وقوته ، ليعتصر عنق ذلك الوحش بذراعه الفولاذية ، صائحًا :

ـ أطلق النار يا (رمزى) .. أطلق عليه النار مباشرة .

كان (رمزى) يصوِّب سلاحه إلى الثعبان الضخم بالفعل ، ولكن حركته المستمرة ودورانه العنيف حول نفسه ، فى محاولاته التخلص من (نور) ، جعلته يخشى إصابة هذا الأخير ..

ثم إنه كان هناك ذلك الدوار ..

دوار اكتنف رأسه ، وسرى فى عنقه وعينيه ، وراحت الرؤية تغيم أمامه فى سرعة ، وقدرته على التركيز والتصويب تتلاشى ، فهتف :

ـ رباه ! (نور) .. يبدو أن .. يبدو أن ..

لم يستطع إكمال عبارته ، وسقطت بندقية الليزر من يده ، وأظلمت الدنيا أمام عينيه فى سرعة ، فهتف به (نور) ، وهو يواصل اعتصار عنق ذلك الوحش الرهيب :

ـ لا يا (رمزى) .. تماسك .. تماسك بالله عليك .

ونقلت آلة التصوير ، الملقاه فى الركن ، ذلك المشهد البشع الرهيب ..

مشهد (رمزى) ، وهو يسقط أرضًا كالحجر ، وجسده ينتفض فى عنف ، فى حين يطلق ذلك الثعبان الرهيب فحيحًا تلو الآخر ، وذيله يدور خلفه ، ليحيط وسط (نور) فى قوة ..

وشعر (نور) بالذيل الضخم يلتف حوله ، فأمسك معصمه الأيمن بكفه اليسرى ، وأطلق صرخة عالية :

ـ لا .. ليس (رمزى) .

ثم هتف ، وكل عضلات ذراعيه وساعديه تنتفخ ، على نحو عجيب :

ـ ساعدنى يا إلهى ! ساعدنى !

وأطلق الوحش فحيحًا مختنقًا هذه المرة ، واكتست عيناه المشقوقتان طولاً بلون أحمر كالدم ، وبذل ذيله الضخم محاولة أخيرة ..

ثم سمع (نور) تلك القرقعة المكتومة ..

ومع صوتها ، تهاوى الثعبان الضخم نصف الآدمى دفعة واحدة ، وارتطم رأسه بالأرض فى عنف ..

ولثوان ، وعلى الرغم من ثقته بما حدث ، واصل (نور) اعتصار عنق الوحش بلا هوادة ، ثم لم يلبث أن تخلى عنه ، ووثب نحو (رمزى) الملقى أرضًا ، هاتفًا :

ـ رباه ! (رمزى) .. ساعده يا إلهى ! لا تجعلنا نخسره على هذا النحو .. ساعده .

التقط أحد المصباحين من الأرض ، وراح يفحص (رمزى) ، الذى اتسعت عيناه فى ألم واضح ، وبدا وجهه داكنًا أكثر مما ينبغى ، و ....

« أبى .. هل .. هل مات ؟! »

انبعث صوت (نشوى) من جهاز الاتصال بغتة بهذا السؤال ، فانتفض معه جسد (نور) ، قبل أن يهتف :

ـ لست أدرى .. يا إلهى ! لست أدرى .

صاحت فى انهيار :

ـ لا تتركه يموت يا أبى .. افعل شيئًا بالله عليك .. لا تتركه يلقى مصرعه هكذا .

غمغم (نور) ، وهو يلتقط من حزامه تلك الجرعة المضادة للسم ، والتى زوّده بها معمل الأبحاث ، التابع لإدارة المخابرات العلمية :

ـ ليس أمامى سوى شىء واحد أفعله .

وفضّ غلاف المحقن الخاص ، مستطردًا فى عصبية :

ـ وأتعشّم أن يفلح .

لم يكد يتمّ قوله ، وقبل حتى أن يغرس إبرة المحقن فى ذراع (رمزى) ، ارتفعت صرخة (سلوى) ، عبر جهاز الاتصال ، بكل ذعر ورعب الدنيا :

ـ (نور) .. خلفك .

واستدار بكل سرعته وانفعاله، مع ضوء مصباحه، و ....

وتجمَّدت كل قطرة دم فى عروقه ..

فأمامه مباشرة ، وعلى مسافة مترين فحسب ، كان يقف ثعبان آخر ..

ثعبان ضخم ، نصف آدمى ، و ....

وقاتل ..

★ ★ ★

فرقعة عنيفة ، دوت فى تلك القاعة ، التى اكتظَّت فيها أجهزة صاحب الشارب الكث ، الذى أصابه ذعر هائل ، فراح يصرخ ..

ويصرخ ..

ويصرخ ..

وانتابته حالة هستيرية عجيبة ، فراح يعدو فى كل اتجاه ، على نحو جعل (مشيرة) تصرخ فيه :

ـ تماسك يا رجل ... ماذا أصابك ؟!

مع صرختها ، انتشرت فى المكان رائحة ، أشبه برائحة الأوزون المحترق ..

وانتفض جسد صاحب الشارب الكث بمنتهى العنف ، وعيناه تتسعان عن آخرهما ، فى حين تراجعت (مشيرة) فى رعب ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

فما حدث أمامها ، فى تلك القاعة ، وتلك اللحظة ، كان أمرًا خرافيًّا ..

ورهيبًا ..

بحق ..

فعلى الجدار المجاور للأجهزة ، ظهر ما يشبه الدوَّامة ..

وبدا وكأن الجدار فى منتصفها يذوب ..

ويذوب ..

ويذوب ..

ثم فجأة ، انطلقت منها رياح قوية محدودة ، طار معها شعر (مشيرة) ، وهى تصرخ :

ـ ما هذا ؟! ما هذا ؟!

ومع آخر حروف صرختها ، دوت فرقعة أخرى ..

ثم اندفع ذلك الجسد من الجدار ..

اندفع كما لو أنه قد برز من العدم ، وطار عبر فراغ القاعة ، ليرتطم بصاحب الشارب الكث فى عنف ، ويسقطان معًا أرضًا ..

وفى ذهول ، حدّقت (مشيرة) فى ذلك الجسد ، قبل أن تتراجع صارخة :

ـ (أكرم) ؟!

كاد صاحب الشارب الكث يصاب بالجنون ، وهو يدفع جسد (أكرم) بعيدًا عنه ، ويصرخ فى رعب هائل :

ـ زوجك ؟! لا .. هذا مستحيل ! مستحيل !

لم يكن (أكرم) أقلّ ذهولاً منهما ، وهو ينقل بصره

بينهما ، ثم يستدير ليحدّق فى الجدار ، الذى اختفت منه تلك الدوّامة ، فى نفس الوقت الذى توقّفت فيه الأجهزة المختلفة عن الاهتزاز ، وانطفأت شاشاتها ، واستقرّ الأمر كله ..

كان ما حدث أمرًا لاتفسير له ، من أية وجهة نظر علمية ، ولكن حدوثه يعنى أنه هناك قاعدة ما ، حقّقت هذا الأمر المستحيل ..

انتزعت (أكرم) من نهر الزمن ، وأعادته إلى عالمه ..

وزمنه ..

وزوجته ..

زوجته ، التى اندفعت نحوه بكل سعادتها ولهفتها ، وألقت نفسها بين ذراعيه ، ودموعها تغرق وجهها ، وقلبها يهتف عبر شفتيها :

ـ حمدًا للّه على عودتك يا (أكرم) .. حمدًا للّه .

حدّق فيها ، وكأنه يراها لأوّلٍ مرة ، ثم أدار عينيه إلى صاحب الشارب الكث ، قائلاً فى حيرة :

ـ أين أنا ؟! ماذا حدث ؟!

هتفت فى فرح :

ـ لا يهمنى ماذا حدث ، ولا كيف حدث .. المهم أنك هنا .

حدَّق فيها مرة أخرى ، بكل حيرة الدنيا ، فى حين راح صاحب الشارب الكث يبكى وينتحب ، على نحو لا يتناسب قط مع مظهره الخشن ، وهو يقول :

ـ إننى لم أقصد هذا .. أقسم إننى لم أقصد هذا .. لقد كان الأمر كله مجرَّد خدعة متقنة .. لم أقصد قط العبث بالأرواح .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ العبث بماذا ؟! يالك من وغد حقير ! ومن أنت أيها المأفون ، حتى تعبث بالأرواح ، التى هى من أمر بارئها (عزَّ وجلَّ) وحده ؟!

لوَّح الرجل بكفيه ، قائلاً فى انهيار :

ـ لم أقصد هذا .

استدار (أكرم) إلى زوجته فى غضب ، قائلاً :

ـ من هذا المتخلِّف ؟!

أجابته بابتسامة كبيرة :

ـ دعك منه .. إنه مجرَّد دجّال محتال ، فوجئ بأن الطبيعة قد تجاوزت حدودها ، واستجابت لخزعبلاته مرة ، دون سابق إنذار .

رمقه (أكرم) بنظرة احتقار ، و ....

وفجأة ، وثبت تلك الصورة إلى ذهنه ..

صورة (نور) والرفاق ..

وذلك الموقف البشع ..

وبانفعال جارف مفاجئ ، تراجع خطوة حادة ، ثم أمسك كتفى (مشيرة) فى قوة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! أين (نور) والآخرون يا (مشيرة) ؟! لابد أن نمنع ما سيحدث لهم بأى ثمن .

انتفض جسدها فى هلع لما يقول ، وسألته بصوت مرتجف :

ـ وما الذى سيحدث لهم يا (أكرم) ؟!

هتف فى ارتياع :

- أمر بشع .. بشع للغاية .. إنهم سوف ..

فجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، شعر وكأن لطمة قوية قد أصابت عقله .. بل مخه مباشرة ..

لطمة ارتجّ لها جسده كله ، واتسعت معها عيناه عن آخرهما ، وامتقع وجهه ، حتى بدا عجيبًا مخيفًا ، فشهقت (مشيرة) ، هاتفة :

- رباه ! (أكرم) .. ماذا أصابك ؟!

حاول أن يخبرها بما أصابه ..

ولكنه لم يستطع ..

ربما لأن لسانه قد تجمَّد فى حلقه ..

أو لأنه لم يفهم ما أصابه ..

أو لأن كل شىء قد أظلم من حوله بغتة ..

إنه شىء يتعلَّق بذلك العبور العنيف ، من نهر الزمن إلى عالمه ..

شىء يتعلَّق به حتمًا ..

شىء جعله يشعر وكأن كيانه كله ينضغط ..

وينضغط ..

وينضغط ..

ثم انهار دفعة واحدة ..

وهوى (أكرم) فاقد الوعى ، و(مشيرة) تصرخ :

- (أكرم) .. ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

وعلى الرغم من موقفها ، وهلعها لما أصاب زوجها ، لم يستطع شيطان الصحافة ، القابع فى أعماقها ، أن يطرد عن ذهنها سؤالاً ملحًّا ..

تُرى أى موقف بشع هذا ، الذى سيواجهه (نور) ورفاقه ؟!

أى موقف ؟!

بل أى هول ؟!

* * *

بعينين ناريتين مشقوقتين ، حدّق ذلك الوحش الثانى فى (نور) ، والغضب يطلّ من كل لمحة من لمحات وجهه الآدمى ، الذى يشبه تمامًا وجه قرينه ، الذى لقى مصرعه منذ قليل ..

ومع تراقص لسانه المشقوق خارج حلقه ، أطلق فحيحًا رهيبًا ، يشبه فحيح رفيقه الصريع ، وهو يميل بنصفه الآدمى العلوى نحو (نور) ، مستندًا بذيله الثعبانى الضخم على أرضية القاعة ..

ومن جانبه ، عند منطقة التقاء نصفيه ، الآدمى والثعبانى ، كانت الدماء تسيل غزيرة ، من ذلك الجرح ، الذى أحدثته فيه بندقية (نور) الليزرية ، عندما كان يقبع تحت رمال المعسكر ..

وكان من الواضح ، مع تلك الكراهية المطلّة من عينيه ، أنه يعلم هذا ..

ويتذكّره ..

ويمقته ..

وعبر جهاز الاتصال ، انبعث صوت (سلوى) ، وهى تقول فى توتر :

ـ سلاحك هناك يا (نور) .. على بعد ثلاثة أمتار ، إلى يسارك مباشرة ..

غمغم (نور) ، وهو يتطلّع إلى عينى الوحش :

ـ المشكلة أنهم يفهمون ما نقوله .

هتفت مذعورة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

كشّر الوحش عن أنيابه الحادة فى شراسة ، ورفع ذراعيه فى تحفّز ، وانطلق من حلقه ذلك الفحيح ..

وتحفّزت كل ذرة فى كيان (نور) ، واستيقظت كل خلية فى مخه ، و ....

وفجأة ، انقضّ الوحش ..

ووثب (نور) جانبًا ..

كانت مباراة في الخفة وسرعة الاستجابة ، فقد رصد (نور) حركة الثعبان نصف الآدمى جيدًا ..

ومع أول بادرة حركة منه ، وثب هو يتفادى انقضاضته ..

وثب نحو بندقيته الليزرية ..

مباشرة ..

ولكن الجانب الآدمى من الوحش ، كان يدرك أنه سيفعلها ..

وفى هذا الاتجاه بالتحديد ..

لذا فقد انقضّ انقضاضة مزدوجة ، تحرّك فيها نصفه الآدمى إلى الأمام ، فى حين اندفع ذيله الثعبانى نحو الركن ، ليضرب جسد (نور) ، قبل أن يبلغ سلاحه بسنتيمترات قليلة ..

ومع عنف الضربة ، طار جسد (نور) فى الهواء ، وارتطم مرة أخرى بالجدار ، ثم سقط أرضًا ..

وأطلق الثعبان نصف الآدمى فحيحًا ظافرًا شامتًا ، وهو يندفع مرة أخرى نحو (نور) ، و(سلوى) تصرخ ، عبر جهاز الاتصال :

- لا .. لا يا (نور) .. لا ..

استنفر (نور) كل طاقته وقوته ، ودفع جسده إلى الأمام ، ثم تدحرج أرضًا فى قوة ، ليبتعد عن الوحش ، الذى ارتطم بالجدار ، مع سرعة اندفاعه ، ثم استدار يواجه (نور) ، بكل غضب ووحشية الدنيا ..

وفى هذه المرة ، فرد ذيله الضخم ، ليقطع الطريق علىَ بطلنا تمامًا ، وهو يدير نصفه الآدمى إلى الاتجاه الآخر ..

وانتبه (نور) ، فى تلك اللحظة فقط ، إلى أنه مسجون فى الركن البعيد للقاعة ، وذلك الوحش السام يحاصره ، بمزيج من غريزة حيوانية شرسة ، وذكاء بشرى شرير ..

وقفز (نور) ، محاولاً الخروج من الحصار ، ولكن ذلك الذيل الضخم اعترض طريقه ، بحركة حادة سريعة ..

ثم التفّ حول وسطه بغتة ..

وقاوم (نور) ..

وقاوم ..

وقاوم ..

ولكن الثعبان العملاق حمله بذيله الملتفّ حوله ، وأدار جسده إليه ، ثم تألّقت عيناه مرة أخرى ، وهو يطلق فحيحه الرهيب ، و ....

وانقضّ بأنيابه الحادة الطويلة ..

انقضّ بكل قوته ..

وكل وحشيته ..

* * *

٣ ـ الوحوش ..

أطلق رجل البريد صفيرًا منغومًا ، من بين شفتيه ، وهو يوقف سيارته أمام منزل (نور) ، وبدا مرحًا كعادته ، وهو يتجاوز الحديقة الصغيرة ، هاتفًا :

ـ طرد شخصى يا سيِّد (نور) .

كان يعلم أنه هناك وسيلة إليكترونية بسيطة ، للقيام بالعمل نفسه ، إلا أنه ، ومنذ حداثته ، كان يميل إلى الأسلوب التقليدى ، الذى كان يتبعه والده ..

ثم إنه كان أحد المعجبين والمغرمين بالمقدَّم (نور) ، بطل التحرير الشهير ، وكانت أكثر لحظات حياته سعادة ، هى تلك التى يلتقى فيها به وجهًا لوجه ، أو يصافحه مباشرة ..

ولهذا السبب ، كان يصرّ على تقديم الرسائل والطرود إليه شخصيًا ، بدلاً من استخدام الأساليب الإليكترونية الحديثة ..

وبابتسامة كبيرة ، طرق باب منزل (نور) ، وهـو يكرِّر :

ـ طرد للسيِّد (نور) شخصيًّا .

انتظر قليـلاً ، قبل أن يعاود الطرق مـرة ثانيـة ، وثالثة ، و ....

« أهذا منزل المقدِّم (نور) ؟! » ..

انبعث السؤال من خلفه مباشرة ، بصوت عجيب ، أشبه بالفحيح ، مع لكنة أجنبية واضحة ، جعلته يلتفت إلى صاحبها ، ويتطلَّع إليه فى دهشـة ، لم تستطع منع ذلك التوتر القلق ، الذى سرى فى جسده ، وهو يغمغم :

ـ إنه هو .

تطلَّع إليـه ذلـك القـادم بنظرة صارمة ، أطلقت فـى جسده قشعريرة باردة كالثلج وخاصة عنـدما امتزجت بذلك الصوت الفحيحى ، الذى يقول :

ـ ومن أنت ؟!

ازدرد رجل البريد لعابه فى صعوبـة ، وهو يقـول فى عصبية :

ـ بل السؤال هو من أنت ؟! فأنا رجل البريد الخـاص بالمنطقة ، وكل من هنا يعرفنى جيِّدًا ، أما أنت ..

تلفَّت ذلك الغريب حوله فى هدوء ، وهو يقاطعـه ، قائلاً :

ـ كل من هنا ؟! عجبًا ! المنازل تبدو لى متبـاعدة هنا ، بحيث لا يمكن أن يلمحك أحد الآن .

قال رجل البريد ، فى عصبية أكثر :

ـ لو أنك تنتمى إلـى هنـا ؛ لعلمـت أن هذا هو النظـام المتبع ، فى كل المدن الجديدة ، و ....

قبل أن يتمّ عبارته ، وبلا أية مقدمـات ، انقضَّ عليـه الغريب فجأة ، وقبض على عنقـه بأصـابع فولاذيـة ، وهو يدفعه نحو الباب فى عنف ، مطلقًا صرخة أشبه بالفحيح والزمجرة معًا ..

وصرخ رجل البريد ، من فرط المفاجأة والألم والرعب ، وراح يضرب الرجل بيديه فى ارتياع ، وهذا الأخير يواصل دفعه أمامه ، حتى ارتطم بباب المنزل فى عنف ..

وبكل قوته وذعره ، لطم رجل البريد ذلك الرجل فى وجهه ، صارخًا :

ـ ماذا تفعل ؟! ماذا تريد منى ؟!

ومع لطمته ، سقطت عدسة بصرية عن عين الرجل اليسرى ..

ومع سقوطها ، بدت عينه الحقيقية تحتها ..

عين مشقوقة طوليًّا ، كعيون الثعابين ..

وانتفض جسد رجل البريد بمنتهى الرعب ..

وانحبست فى حلقه صرخة هائلة ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

ومع اتساعهما ، فتح الغريب فمه ، وهو يطلق تلك الزمجرة الفحيحية مرة أخرى ..

وصرخ رجل البريد هذه المرة ، عندما وقع بصره على تلك الأنياب الطويلة الرهيبة ، التى تبرز من فم الغريب ..

وقبل حتى أن تكتمل صرخته ، انقضت تلك الأنياب على رقبته ، وانغرست فى وريده العنقى مباشرة ..

واتسعت عينا الرجل أكثر وأكثر ، والسم الرهيب يسرى فى جسده ، الذى راح ينتفض بمنتهى العنف ..

وينتفض ..

وينتفض ..

ثم همدت حركته تمامًا ..

ولثوان ، ظلّ ذلك الثعبان الآدمى يغرس أنيابه فى عنق الرجل ، حتى تيقّن من موته تمامًا ، فانتزعهما بحركة حادة ، وترك ضحيته يسقط أرضًا ، فى حين أخرج هو من جيبه جهازًا خاصًّا ، ألصقه برتاج منزل (نور) ، وضغط أزراره فى سرعة ، قبل أن يتراجع ، ليقف ساكنًا هادئًا ..

وأضىء مصباح أحمر صغير فى ذلك الجهاز لبضع ثوان ، ثم لم يلبث أن تحولّ إلى اللون الأخضر ، فدفع الثعبان الآدمى الباب فى رفق ، ودخل إلى منزل (نور) ، ثم استدار يجذب جثة رجل البريد إلى الداخل ، ويغلق الباب خلفه فى إحكام ..

ولدقيقة كاملة ، وقف يدير عينيه فى المكان ، قبل أن يتجه إلى ركن الصالة ، دون أن يضىء الأنوار ، ووقف هناك كالتمثال ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، فى انتظار اللحظة المحدودة لتنفيذ مهمته ..

مهمة اغتيال (نور) ..

بطل التحرير ..

* * *

فجأة ، هبط رجال القوات الخاصة إلى قاع البئر ..

كان ذلك الوحش نصف الآدمى يعتصر جسد (نور) بذيله الضخم ، ويهمّ بغرس أنيابه فى جسده ؛ ليمزّق ثوبه الواقى ، عندما وثب الرجال داخل القاعة ، وغمرته أضواء مصابيحهم القوية ، وقائدهم يهتف :

ـ تذكرّوا الهدف الرئيسى .. إنقاذ القائد (نور) بأى ثمن .

أطلق الوحش فحيحًا غاضبًا قويًا ، وهو يتراجع بنصفه الآدمى العلوى فى حركة حادة ، فصاح (نور) :

ـ احترسوا .. إنه ينفث السم فى وجوه ضحاياه .

كان الرجال يحدقون ذاهلين ، فى ذلك الشىء الرهيب الذى يواجهونه ، على الرغم من أن (نشوى) قد أطلعتهم على ما نقلته عنه آلة التصوير ، قبل هبوطهم ، ولكن صيحة (نور) انتزعتهم من ذهولهم ، فهتف قائدهم فى عصبية :

ـ لن يجد الوقت ليفعل .

ومع قوله ، أطلق الوحش فحيحًا غاضبًا آخر ..

ثم انقضّ بكل قوته ..

ومع انقضاضته ، انطلقت رصاصاتهم ، وخيوط أشعتهم القاتلة ..

وصرخ الوحش نصف الآدمى ، فى ألم غاضب ، والنيران تخترق جسده ، فى مواضع شتى ..

وأفلت نيله جسد (نور) الذى سقط أرضًا ، وتدحرج مبتعدًا عن مرمى النيران التى واصل الرجال إطلاقها فى غزارة عجيبة ، وكأنما يفرغون معها انفعالهم الشديد ، لمواجهة شىء كهذا ..

وسقط الوحش نصف الآدمى ..

سقط جثة هامدة ، إلى جوار رفيقه ، وسالت منه الدماء غزيرة ، فى نفس اللحظة التى هبَّ فيها (نور) واقفًا ، وهو يهتف :

ـ إسعاف .. نحتاج إلى إسعاف عاجل .. (رمزى) فى خطر .

التقط قائد الرجال من حزامه محقنًا ، يحوى تلك المادة المضادة للسم ، وهو يجيب :

ـ الإسعاف الطائر فى الطريق ، ولدينا هنا كل الإسعافات الأوَّلية الضرورية اللازمة .

قالها ، ثم انحنى يغرس إبرة المحقن فى ذراع (رمزى) ، وهو يفحصه ، مستطردًا :

ـ ربما تأخَّر الأمر بعض الشىء ، ولكنه مازال حيًا .

غمغم (نور) ، وهو يشعر وكأنما بذل جهدًا يفوق البشر :

ـ لقد تلقَّى بعض الرذاذ فحسب .

هتف الرجل فى دهشة :

ـ بعض الرذاذ ، فعل به كل هذا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم :

ـ من الواضح أنه سم قوى للغاية .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث صوت (نشوى) ، عبر جهاز الاتصال ، وهى تهتف .

ـ أبى .. أنت خارج مجال رؤية آلة التصوير ، أخبرنى باللَّه عليك .. أأنت بخير ؟!

التقط آلة التصوير ، وأدار عدستها لتواجه وجهـه ، وهو يتنهَّد فى عمق ، قائلاً :

ـ نعم يا (نشوى) .. أنا بخير .. و(رمزى) مصـاب ، ولكنه سيتجاوز مرحلة الخطر بإذن اللَّه .

سمعها تهتف :

ـ (رمزى) ؟! يا إلهى ! يا إلهى !

التقطت منها (سلوى) جهاز الاتصال ، هاتفة :

ـ حمدًا للَّه على سلامتك يا (نور) .. هناك خبر مهم ، لابد أن تعرفه فورًا .

سألها فى اهتمام متوتر :

ـ وما هو ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ لقد عاد (أكرم) .

صرخ (نور) ، بكل لهفته وانفعاله :

ـ عاد ؟!

لـم تمـض نصـف السـاعة ، علـى صرختـه هـذه ، حتى كان يندفع إلى حجرة (أكرم) ، فى المستشـفى العسكرى فى (القاهرة) ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! (أكرم) .. حمدًا للَّه .. حمدًا للَّه .

استوقفته (مشيرة) فى توتر ، قائلة :

ـ رويدك يا (نور) .. إنه فاقد الوعى .

تطلَّع فى لهفـة إلـى (أكرم) الراقد فـى غيبوبتـه العميقة ، وكأنما لا يصدِّق أنه يراه أمامه ، على قيد الحياة ، فى حين سألته (مشيرة) فى عتاب :

ـ أين كنتم يا (نور) ؟!

تنهَّد فى حرارة ، وهزَّ رأسه ، وهو يجلس علـى طرف فراش (أكرم) ، قائلاً :

ـ لن يمكنك أن تصدِّقى أبدًا .

قالت بعنادها التقليدى :

ـ جربنى .. أنا صحفية متفتِّحة الذهن .

ابتسم ابتسامة باهتة ، مغمغمًا :

ـ ليس إلى هذا الحد .

قالت بنفس العناد :

ـ دعنا نختبر هذا .

لوَّح بسبَّابته فى الهواء ، قائلاً فى حزم صارم :

ـ هذا مستحيل .. اقرئى شفتىَّ .. أمن قومى .. سرى للغاية .

مطَّت شفتيها ، وانعقد حاجباها فى غضب ، وهى تقول :

ـ كالمعتاد .

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ ينبغى أن تعتادى هذا .

هتفت فى حدة :

ـ محال .

هزَّ كتفيه مرة أخرى ، ثم سألها فى اهتمام :

ـ كيف عاد (أكرم) ؟!

رفعت أحد حاجبيها فى تحد ، قائلة :

ـ لن يمكنك أن تصدَّق أبدًا .

تطلَّع إليها فى عتاب صارم ، فهتفت :

ـ إنه ليس ردًّا على أسلوبك يا (نور) ، ولكن الأمر غير طبيعى بالفعل .

قلَّد أسلوبها ، وهو يقول :

ـ جربينى .. أنا رجل مخابرات متفتح الذهن .

تنهَّدت ، قائلة :

ـ أعلم هذا .

ثم جلست بدورها ، على طرف فراش (أكرم) ، وفركت كفيها لحظة ، قبل أن تجيب فى عصبية :

ـ لقد جاء عبر الجدار .

مال نحوها ، متسائلاً فى دهشة :

ـ عبر ماذا ؟!

قالت فى حدة :

ـ عبر الجدار .. ألم تسمعنى جيِّدًا ؟!

صمت لحظة ، ثم قال فى بطء ، محاولاً تهدئتها :

ـ سمعتك ، ولكننى لم أستوعب الأمر .

فركت كفيها مرة أخرى ، قبل أن تقول :

ـ فليكن .. سأخبرك .

وعلى الرغم من خجلها ، من لجوئها إلى دجال محتال ، فى محاولة لاستعادة زوجها ، راحت تروى له كل ما حدث ..

وبأدقّ التفاصيل ..

ولقد استمع إليها هو بمنتهى الانتباه والاهتمام ، حتى انتهت من روايتها ، فتراجع فى مقعده ، مغمغمًا فى حيرة :

ـ عجبًا ! لا يوجد أى منطق علمى فى الدنيا ، يمكن أن يبرِّر ما حدث لـ (أكرم) !

أشارت (مشيرة) إلى زوجها فى توتر ، قائلة :

ـ ولكنه يستطيع أن يصف لنا ما حدث .. أعنى عندما يستعيد وعيه .

تطلَّع بدوره إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ بإذن اللّه .

لم يكد ينطقها ، حتى فتح (أكرم) عينيه بغتة ، على نحو ارتجف له جسد (مشيرة) ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !

أما (نور) ، فقد حمل صوته انفعاله ، وهو يقول :

ـ رباه ! حمدًا للّه على سلامتك ياصديقى .. لقد كنا ..

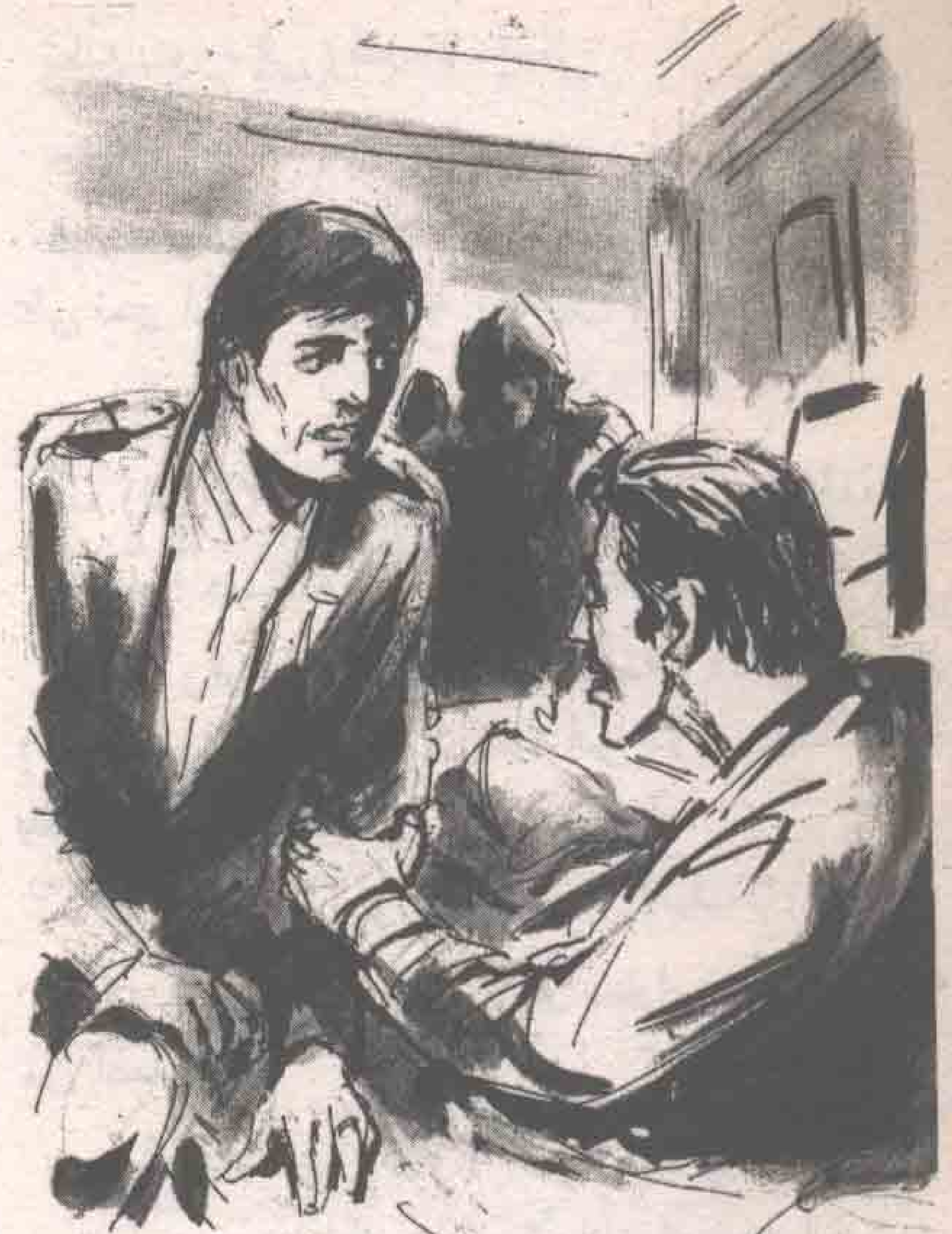
فجأة ، وقبل أن يتمّ (نور) عبارته ، وثبت أصابع (أكرم) ، لتنغرس فى ذراعه فى قوة ، وصاحبها يقول فى حدة :

ـ (نور) .. احترسوا .. الأنياب .. الأنياب يا (نور) .

سأله (نور) فى دهشة ، وهو يحاول تخليص ذراعه من أصابعه :

ـ أية أنياب يا (أكرم) ؟!

اتسعت عينا (أكرم) ، وازدادت أصابعه انغراسًا ، فى ذراع (نور) ، وهو يقول :



اتسعت عينا (أكرم) ، وازدادت أصابعه انغراسًا ، فى ذراع (نور) ..

ـ إنها تنتظركم خلف الأبواب .. أنياب حادة قاتلة يا (نور) .

تساءل (نور) فى انفعال .

ـ خلف الأبواب ؟! أية أبواب يا (أكرم) .. هل تقصد ..

ولكنه لم يتمّ تساؤله ، فى هذه المرة أيضًا ..

ففجأة ، تراخت أصابع (أكرم) كلها ، وانهار جسده مرة ثانية ، ليعود إلى غيبوبته العميقة ، تاركًا خلفه الحيرة ..

طن من الحيرة ..

بل أطنان ..

وأطنان ..

وأطنان ..

★ ★ ★

« ألم يوضّح الأمر أكثر ؟! »

ألقت (سلوى) سؤالها ، وهى تجلس مع (نور) و(نشوى) ، داخل مقر الفريق ، فى المبنى الملحق بالمخابرات العلمية ، فهزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ مطلقًا .. هذا كل ما قاله ، قبل أن يعود إلى غيبوبته العميقة ، التى لا يجد الأطباء وسيلة لإخراجه منها .

غمغمت (نشوى) فى توتر :

ـ ربما يقصد أنياب تلك الثعابين ، التى هاجمتكما ، فى قاع البئر !

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ وماذا عن تلك الأبواب ، التى تنتظرنا خلفها ؟!

قالت (سلوى) :

ـ ربما يشير إلى ذلك الباب الفولاذى .

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يتمتم :

ـ ربما .

وصمت لحظة ، محاولاً إقناع نفسه بهذا التفسير ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ بمناسبة الحديث عن ذلك الباب الفولاذى .. ما الذى توصّلوا إليه بشأنه ؟! لقد أسرعت إلى (أكرم) ، فور خروجى من ذلك المنجم ، ولم أتابع الموقف ..

أجابته (سلوى) :

ـ الخبراء يقولون إنه مدخل إلى سرداب طويل ، تم نسفه لإخفاء مساره ، منذ زمن طويل ، ولكنهم يسعون لتتبعه الآن ، ولقد تم فحص المنطقة كلها ، ويبدو أن هذين الوحشين ، اللذين لقيا مصرعهما ، فى تلك القاعة فى أعماق البئر ، كانا الوحيدين من نوعهما .

قال فى حزم :

ـ الأمر يحتاج إلى مزيد من الفحص والدراسة .

وافقته بإيماءة من رأسها ، قائلة :

ـ مركز الأبحاث كله يفعل هذا ، والدكتور (حجازى)

مع الخبيرة البيولوجية (هناء) ، يقومان بدراسة جثث الوحشين ، وفحص كل البقايا ، التى تم العثور عليها ، داخل تلك القاعة .

سألها فى اهتمام :

ـ وكم سيستغرق هذا تقريبًا ؟!

أجابته (نشوى) هذه المرة :

ـ (هناء) أخبرتنى أنها تستطيع تزويدنا بنتائج إيجابية ، خلال ثلاث ساعات فحسب ، أما الدكتور (حجازى) ، فسينتهى من فحص ما لديه ، خلال ساعة واحدة .

أومأ برأسه ، متمتمًا :

ـ عظيم .

ثم سألها فى اهتمام أكثر :

ـ وماذا عن (رمزى) ؟!

تنهّدت (نشوى) فى عمق ، مجيبة :

ـ سيتعافى قريبًا جدًا بإذن الله .

التقط نفسًا عميقًا ، وجذب مقعدًا ليجلس ، قائلاً :

ـ دعونا إذن ندرس ما أصاب (أكرم) ، فى أثناء انتظارنا لنتائج أبحاث الدكتور (حجازى) ، والدكتورة (هناء) .

قالت (نشوى) :

ـ ليس لدينا أى تفسير فى الوقت الحالى ، سوى أن أجهزة ذلك الدجال ، الذى ادعى قدرته على تحضير الأرواح ، كانت عبارة عن جهاز تحليل البصمات الجينية ، بالإضافة إلى أحد أجهزة الذبذبة فوق الصوتية الفائقة ، مع بعض الأجهزة الأخرى ، المتصلة بشبكة المعلومات ، واللازمة لإحداث بعض التأثيرات الخداعية اللازمة ، لإيهام الضحية بقدرته على استحضار الأرواح .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ أيًا كانت ماهية تلك الأجهزة ، فقد أعادت (أكرم) بوسيلة ما ، من مكان خارج حدود عالمنا .

تساءلت (سلوى) :

- ولماذا الجزم بأنه كان خارج حدود عالمنا ؟!

أجابها فى سرعة :

- ألديك تفسير آخر ، لخروجه من دوّامة عجيبة بالجدار ؟!

تردّدت لحظة ، ثم قالت فى حذر :

- ليس فى هذه اللحظة .

أشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

- أما أنا ، فأتفق مع تفسير أبى للأمر ، مع توضيح علمى .

التفت إليها الاثنان فى اهتمام ، فتابعت :

- أعتقد أن (أكرم) كان فى مكان ما ، خارج عالمنا بالفعل ، وهذا يتفق مع اختفائه الغامض ، وما تركه خلفه من أدلة عجيبة ، مثل حزام أمان مقعده المربوط ، وسيارته المغلقة من الداخل ، وعندما استخدم ذلك الدجال

بصمته الجينية ، وأضافها إلى أجهزة الذبذبة فوق الصوتية ، صنع دون أن يدرى جهازًا للتعقب عبر الأبعاد ، أو عبر العوالم .. جهاز بحث عن بصمة (أكرم) الجينية ، فى كل بعد ممكن ، حتى عثر عليه ، فجذبه إليه ، من أى مكان كان فيه .

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وهى تحدّق فيها ، قبل أن تلتفت إلى (نور) ، قائلة :

- ابنتنا عبقرية يا (نور) .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- هذا من دواعى فخرى .

استدارت إليها (سلوى) ، وهتفت :

- هذا التفسير منطقى للغاية يا (نشوى) ، ويمكن أن يفيدنا ، إلى حد لا يمكنك تصوّره .

أجابتها (نشوى) فى حماسة :

- بالتأكيد .. إنه يضيف نظرية جديدة ، إلى العلوم المعاصرة الحديثة .

قالت (سلوى) :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنه ، مع بعض التطوير ، سيمنحنا القدرة على كسر حواجز الأبعاد ، وإيجاد وسيلة للتنقل بينها .

ارتفع حاجبا (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ رباه ! فكرة عبقرية رائعة يا أمى .. لابد أن ندرس أجهزة ذلك المحتال فورًا .

ضغط (نور) زر جهاز الاتصال ، وهو يقول فى حزم :

ـ سأستصدر فورًا أمرًا بإلقاء القبض عليه ، ومصادرة كل هذه الأجهزة ، و ....

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث أزيز جهاز الاتصال الخاص ، مع صوت الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ (نور) .. هل تسمعنى ؟!

أبطل (نور) عمل جهاز الاتصال العام ، وضغط زر جهاز الاتصال الخاص ، قائلاً فى اهتمام :

ـ أسمعك بالتأكيد يا دكتور (حجازى) .. ماذا لديك ؟!

بدا صوت كبير الأطباء الشرعيين مفعمًا بالتوتر ، وهو يقول :

ـ لن تصدقوا ما كشفته الفحوص يا (نور) .. إنه أمر عجيب .. عجيب للغاية ..

وكان هذا يعنى أنه عليهم ترك كل شىء خلفهم ، والعودة مرة أخرى لعملية الثعابين .. فورًا ..

★ ★ ★

تألّقت عينا الضخم فى شدة ، وهو يدلف إلى تلك الزنزانة البدائية ، تحت أحد المبانى القديمة ، وألقى نظرة على الشاب الذى نهض من داخلها فى توتر ، قائلاً فى مقت :

ـ أنت ؟!

أجابه الضخم ، فى لهجة غلب عليها التشفّى :

ـ نعم .. أنا .

حاول الشاب أن يجذب تلك القيود المعدنية ، التى تربط يده اليسرى بالجدار وهو يقول :

- ماذا تريد منى ، أكثر مما فعلت بى ؟! لقد سجنتنى هنا ، منذ عامين أو يزيد ، دون أى مبرِّر قانونى .

أجابه الضخم فى شماتة :

- ألا يكفيك أنك ابن أحد ألد أعداء وطننا ؟!

قال الشاب فى غضب :

- هذا لا يمنحك الحق .

انطلقت من حلق الضخم ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يقول :

- الحق ؟! عن أى حق تتحدَّث يا هذا .. ألست أنت من أيَّد العرب ، عندما انتصروا علينا ؟!

أجابه الشاب فى صرامة غاضبة :

- كانوا على حق ، ونحن تجاوزنا كل قواعد العقل والمنطق ، وكل حدود الآدمية والرحمة .

صاح الضخم :

- هذا حقنا .

هتف الشاب :

- لا أحد فى الدنيا لديه الحق ، فى قتل وتدمير الآخرين بلا رحمة ، والاستيلاء على أرضهم بالقوة .

لوَّح الضخم بقبضته ، قائلاً :

- القوى له كل الحق .. هذا هو قانون العالم .. البقاء للأقوى .. دائمًا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة عصبية ، على شفتى الشاب ، وهو يقول :

- هكذا ؟! لماذا يغضبك انتصار العرب علينا إذن ؟!

لقد أصبحوا أكثر قوة منا ، والقواعد هى القواعد .

احتقن وجه الضخم ، وهو يقول :

ـ مازلت كما أنت ، على الرغم من أن أمك من جنسنا ، وهذا يجعلك أيضًا من جنسنا .

قال الشاب فى صرامة :

ـ ربما .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى قوة :

ـ ولكن الدماء التى تسرى فى عروقى هى دماء أبى .. ودماء مصرية مائة فى المائة .

احتقن وجه الضخم أكثر ، وهو يقول :

ـ غبى .

ثم مرَّر يده على شعره الأشيب القصير ، متابعًا :

ـ ولكننى اتخذت كل ما يلزم ، لتدمير سيرتك تمامًا ،

بحيث لا يصبح والدك نفسه فخورًا بك ، وبخاصة فى منصبه الجديد ، كمستشار أمنى خاص ، للرئيس المصرى .

غمغم الشاب فى مقت :

ـ أيها الوغد .

تألَّقت عينا الضخم ، فى جذل وحشى ، وهو يقول :

ـ منذ تم اعتقالك هنا ، يعمل آخر باسمك وهويتك ، باعتباره صهيونيًا متطرِّفًا ، ويقود عصابة صهيونية قوية ، تنشر الخراب والدمار هنا وهناك ، وتسيل لها الدماء العربية أنهارًا ، وكل هذا يحمل توقيعك .

هتف الشاب فى غضب :

ـ أيها الحقير .

تابع الضخم ، بنفس الجذل المتشفى :

- ليس هـذا فحسب ، ولكننى استخدمت جينـاتك ؛ لإنتاج الجيـل السـادس مـن ثعابيننـا ، وأوصيت بـأن تصبح كلها نسخة طبق الأصل من هيئتك الخارجية ، بحيث يكون لهـا التـأثير المطلـوب ، عندمـا أرسـل أفضلها للقضاء عليه .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، تألّقت معه عيناه فى شدة ، وهو يضيف .

- للقضاء على والدك .

قالها ، ثم انطلقت مـن حلقـه مـرة أخـرى ضحكـة عالية مجلجلة ..

ضحكة وحشية ..

وشرسة ..

وشريرة ..

إلى أقص حد مكن ..

* * *

« هذه الأشياء ليست آخر المطاف يا (نور) .. »

نطق الدكتور (حجازى) العبارة فـى حزم ، وهـو يشير إلى بقايا جثة أحد الوحشين نصف الآدميين ، فسأله (نور) فى اهتمام :

- ومـا الـذى يعنيـه هـذا بالضـبط ، يا دكتـور (حجازى) ؟!

أجابه الطبيب الشرعى فى اهتمام :

- هذه الأشياء نتاج تجارب معملية بيولوجية ، حـول هندسة الوراثة ، استهدفت ، فى سبعينات القرن العشـرين ، إنتاج كائنات جديدة ، هى مزيج من البشر والثعابين ، وما لدينا هنا ، هو نتاج ثلاثة أجيال متعاقبة من تلـك التجارب ، فشل الجيل الأول منها فشلاً ذريعًا ، وحقـق الجيل الثانى نتائج محدودة غير مبشرة ، ثم جاء الجيـل الثالث ، على هذا النحو البشع المخيف .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتساءل فى حذر :

- هل تعنى أنهم لم يقصدوا إنتاجها ، على هذه الهيئة ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- بالتأكيد .. فمن الواضح أن الهدف الفعلى هو إنتاج كائنات ، لها هيئة البشر ، وقدرات الثعابين ، ولكن من صنعوا هذا الجيل الثالث ، ذى الخلقة البشعة ، لم يمكنهم التحكُّم فى ترتيب الجينات وأنواعها ، ربما لأنهم قد أجروا تجاربهم ، قبل إعلان خريطة (الجينوم البشرى) ، فى أواخر القرن العشرين ، وأوائل القرن الحادى والعشرين(*) ، أما الآن ، فمن المستحيل أن يكونوا قد توقفوا عن متابعة تجاربهم ، فى ظل التقدُّم العلمى المدهش ، فى مجال هندسة الوراثة .

(*) خريطة الجينوم البشرى : هى خريطة كاملة للجينات البشرية ، بوظائفها وأماكنها ، بحيث يمكن بوساطتها التحكُّم فى نوع الصفات الوراثية ، التى يتم نقلها ، من كائن إلى آخر ، أو فى حذف وإضافة أية جينات محدودة ، لتحسين النسل ، فى أجيال تالية .

حدَّق (نور) فى جثة الكائن البشع ، وهو يقول :

- إذن فمن المحتمل جدًّا ، أن يكون هناك جيل رابع .

أشار الدكتور (حجازى) بسبَّابته ، قائلاً فى حزم :

- وربما خامس أيضًا .

عاد (نور) يتطلَّع إلى الجثة الرهيبة ، قبل أن يتساءل :

- ولكن كيف بقيت تلك المخلوقات الحركية على قيد الحياة ، طوال كل هذه السنين ؟!

أجابه فى اهتمام :

- لقد بقيت لأنها اكتسبت صفة العمر من البشر ، مع قدرة الثعابين على البيات الشتوى الطويل ، ولقد تغذَّت طوال الوقت ، على جثث بعضها ، ومن حسن الحظ أن من أجرى التجارب استخدم الذكور فقط ،

مما حرمها القدرة على التناسل والتكاثر ، وإلا لامتلأ بها العالم كله .

غمغم (نور) :

ـ أو لالتهمت هى العالم كله .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالضبط .

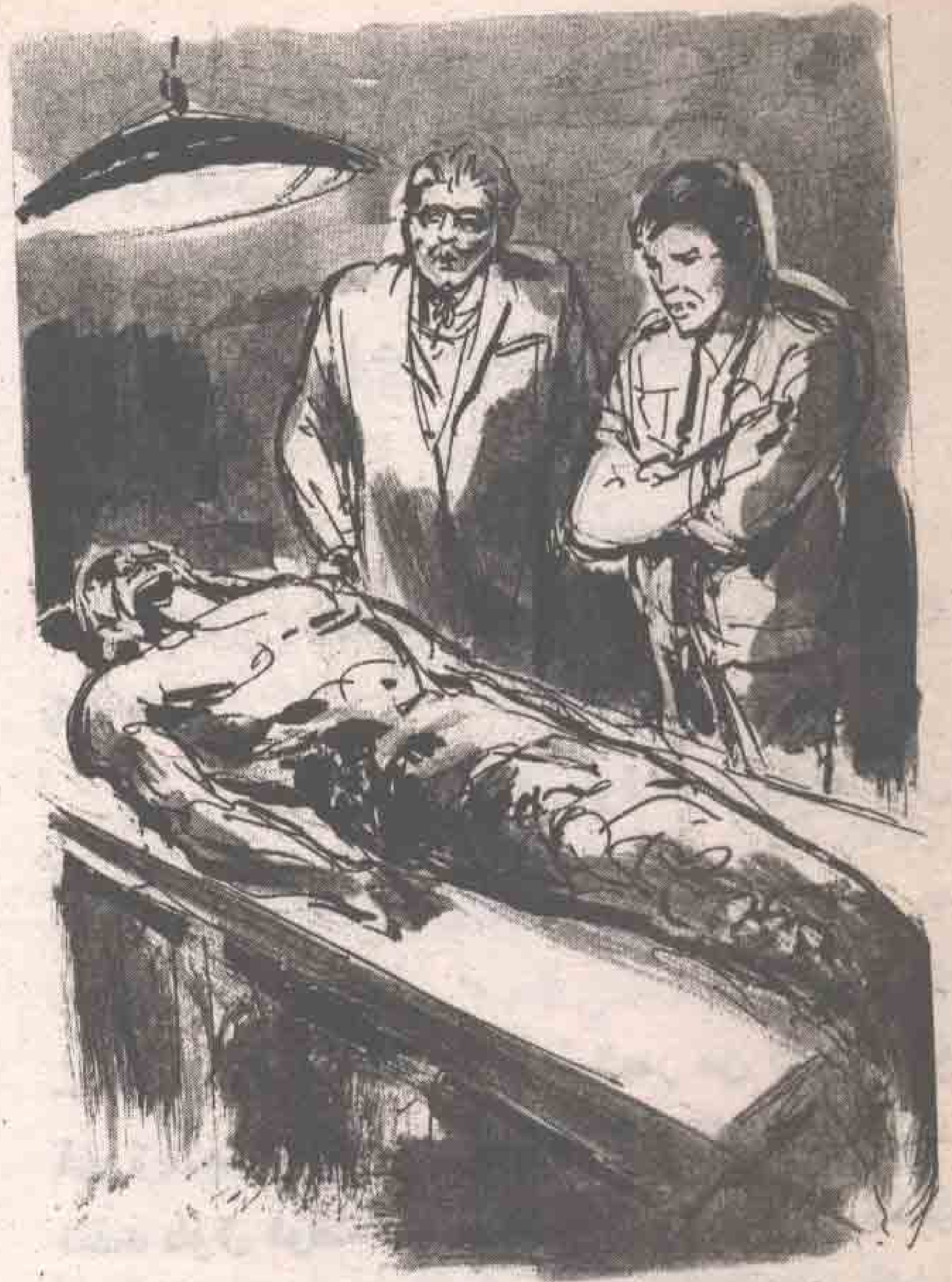
صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يحاول استيعاب الأمر ، قبل أن يقول :

ـ ترَى أين يمكن أن ....

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص فى ساعته ، فرفعه إلى شفتيه فى سرعة ، وهو يضغط زره ، قائلاً :

ـ المقدّم (نور) .

أتاه صوت ابنته (نشوى) ، وهى تهتف :



حدّق (نور) فى جثة (الكائن) البشع ، وهو يقول :
ـ إذن فمن المحتمل جداً ، أن يكون هناك جيل رابع ..

- أبى .. إننى أتحدَّث إليك من مقر ذلك المحتـال ، الذى ادعى قدرته على تحضير الأرواح .

سألها فى اهتمام :

- وهل فحصت أجهزته ؟!

أجابته فى سرعة وانفعال :

- لن تصدِّق ما وجدته هنا .

وعندما أخبرتـه بمـا وجدتـه ، ارتفـع حاجبـاه فـى دهشة .

فالأمر كان عسيرًا عن التصديق ..

بحق ..

* * *



٤- أرض المعركة ..

سبح جسد (أكرم) فى ذلك الفراغ اللانهائى ، وصفت حواسه ومشاعره كلها ، وهو يتطلَّع فى شغف إلى تلك الألوان المبهرة ، التى تسيل وتمتزج من حوله ، فى مشهد لم ير ما هو أبدع منه ، فى حياتـه كلهـا ، حتى إن كيانه كله قد استرخى فى ارتياح ، و ....

« حمدًا للَّه على عودتك سالمًا يا صديقى .. »

تسلَّل صوت (محمود) إلى أذنيه ، ناعمًا هادئًا ، على نحو جعلـه يفتـح عينيـه ، ويلتفت إليـه ، وإلـى ابتسامته العذبة ، هاتفًا :

- (محمود) .. أنت هنا ؟!

اتسعت ابتسامة (محمود) وهو يقول :

- إنه عالمى الآن يا صديقى .

تسلل شعور من الحرارة والأسى ، إلى أعماق (أكرم) ، وهو يقول :

- كان من الممكن أن تعود معى يا صديقى .. كان يمكننى أن أجذبك إلى عالمنا ، ولكننى لطمتك .. أنا منعتك من العودة .

هزَّ (محمود) رأسه ، قائلاً فى هدوء :

- لا تلم نفسك يا صديقى .. لم يكن هذا ليفلح .

هتف (أكرم) :

- ولكنه أفلح معى .

أشار (محمود) بسبَّابته ، قائلاً :

- لأنه كان موجَّهًا إليك .

سأله (أكرم) فى حيرة :

- هل تعنى أنك لو بقيت متشبثًا بذراعى ، لما عدت معى إلى هنا ؟!

هزَّ (محمود) كتفيه ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

ثم استدرك بسرعة :

- ولكنك كنت أنت المقصود بهذا .

هتف (أكرم) :

- ولماذا أنا ؟!

قال (محمود) :

- هذا ما عليكم أن تبحثوه جيِّدًا .

سأله (أكرم) فى لهفة :

- وهل تعتقد أننا لو فطنا ، سنجد وسيلة لاستعادتك ؟!

مطَّ (محمود) شفتيه ، قائلاً :

- ربما .. من يدرى ؟!

تهلَّلت أسارير (أكرم) ، وهو يهتف :

- رباه ! هذا أمر رائع يا (محمود) .. سنبذل قصارى

جهدنا .. أعدك أن أخبر الجميع ، وهم لن يتوانوا لحظة واحدة ، عن السعى لاستعادتك .

تمتم (محمود) :

- أنا واثق من هذا .

ثم اكتسى صوته بجدية قلقة ، وهو يضيف :

- ولكن هذا ليس المهم الآن .

سأله (أكرم) فى قلق :

- وماذا أكثر أهمية منه ؟!

أجابه فى حزم :

- حياة (نور) والآخرين .

تذكَّر (أكرم) فجأة ذلك المشهد البشع ، الذى رآه هناك ، فى ذلك الفراغ الزمنى ، وهتف :

- رباه ! هذا صحيح لابد من إنقاذهم بأى ثمن .. بأى ثمن يا صديقى .

أشار إليه (محمود) ، قائلاً فى حزم :

- ربما أعادك القدر إليهم ؛ لتقوم بهذه المهمة .. إنها مسئوليتك الآن يا (أكرم) ..

« مسئوليتك يا (أكرم) .. »

« مسئوليتك .. »

« مسئوليتك .. »

تردَّدت الكلمة ، وجسد (محمود) يتراجع ويبتعد ، وسط الفراغ الشاسع ، فهتف (أكرم) ، وهو يحاول اللحاق به :

- إلى أين تذهب .. ابق معى .

ولكن الصوت واصل تردُّده ، على الرغم من اختفاء جسد (محمود) فى الفراغ ..

« مسئوليتك يا (أكرم) .. »

« مسئوليتك .. »

« مسئوليتك .. »

ثم استيقظ عقله كله دفعة واحدة ..

وانفتحت عيناه عن آخرهما ..

وعلى نحو عجيب ، حدَّق فى وجـه (مشيرة) ، التى احتضنته فى لهفة ، هاتفة :

ـ حمدًا للَّه .. حمدًا للَّه .

سألها فى توتر :

ـ أين أنا ؟!

اعتدلت تمسح دموعها ، وهى تجيبه فى سعادة :

ـ فى المستشفى العسكرى .. لقد أرسلت فى طلب الطبيب ، لأنك كنت تهـذى بكلمـات عجيبـة ؛ ولكننى فوجئت بك تستعيد وعيك ، قبل أن يصل .

سألها فى توتر شديد :

ـ وما الذى كنت أهذى به ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ أشـياء عديدة غيـر مترابطــة .. (محمـود) .. و(أنياب رهيبة) .. وأبواب .. وفراغ .. و ....

قاطعها ، وهو يهبُّ جالسًا على طرف الفراش ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

اندفع الطبيب إلى الحجرة ، فى تلك اللحظة ، وحدَّق فيه لحظة بدهشة ، قبل أن يعاود اندفاعه نحوه ، هاتفًا :

ـ سيِّد (أكرم) .. حمـدًا للَّـه علـى سـلامتك .. لقد تصوَّرنا أن ....

قاطعه (أكرم) فى صرامـة ، وهو ينتزع كل الأسلاك والأنابيب الطبية من جسده ، قائلاً :

ـ لابد أن أغادر هذا المكان فورًا .

اتسعت عينــا (مشيرة) ، وهـى تهتـف فـى ذعر مستنكر :

ـ تغادر ماذا ؟!

أما الطبيب ، فقد بدت عليه الدهشة لحظة ، ثم لـم تلبث أن تحولَّت إلى صرامة غاضبة ، وهو يقول :

- أى قول هذا يا سيِّد (أكرم) ؟! إنك لا تستطيع مغادرة هذا المكان ، بأى حال من الأحوال .

قال (أكرم) فى صرامة ، وهو ينهض من الفراش :

- حاول أن تمنعنى من هذا .

هتف به الطبيب :

- حاول أنت أن تستوعب الموقف .. لقد اختفيت لعدة أيام ، ثم عدت بأسلوب غامض عجيب ، وفقدت الوعى لسبب مازلنا نجهله ، وفى مثل هذه الحالات ، لن يُسمح لك أبدًا بـ ....

قاطعه (أكرم) ، وهو يزيحه جانبًا ، فى خشونة صارمة :

- دعنا نختبر هذا .

صاح الطبيب ، وهو يتراجع مرغمًا :

- أيها الحرَّاس .

لم تكد صيحته تنطلق ، حتى فوجئ (أكرم) بحارسى أمن يقتحمان حجرته ، وأحدهما يصوِّب إليه سلاحه ، هاتفًا :

- إلى أين يا سيِّد (أكرم) ؟!

صاح به (أكرم) فى غضب :

- اغرب عن وجهى يا هذا .. سأغادر المكان فورًا .. هناك أمور خطيرة جدًّا ، تحتاج إلىّ فى الخارج .

هتفت (مشيرة) فى ضراعة :

- (أكرم) .. أرجوك .

أما الحارس ، فقال فى صرامة :

- ليس هذا من شأنى .. الأوامر هى الأوامر .

صاح به (أكرم) فى غضب :

- الأوامر ؟! هل تعرف أكثر ما أبغضه فى حياتى .. إنها الأوامر .

أجابه الحارس فى حدة :

- ولكننى رجل أمن ، ومضطر لطاعتها .

صاح (أكرم) ، وهو ينقضّ عليه بغتة :

- ولكننى لست مضطرًّا لهذا .

صرخت (مشيرة) فى ذعر ، فى نفس اللحظة التى هوى فيها (أكرم) ، على فك الحارس ، بلكمة قوية ، ثم وثب منقضًا على الحارس الثانى ، الذى تراجع فى سرعة ، هاتفًا :

ـ لماذا يا سيّد (أكرم) ؟!

فى الظروف العادية ، كان من السهل على (أكرم) أن يهزم الرجلين ، فى قتال سريع عنيف ..

ولكنه لم يكن قد استعاد كامل قوته بعد ..

أو كامل وعيه ..

لذا فقد تفادى الحارس الثانى انقضاضته فى مهارة ، ثم هوى على فكه بكعب بندقيته ، هاتفًا :

ـ أنت رجل أمن مثلنا .

دفعت الضربة (أكرم) إلى الخلف فى عنف ، وألقته على ظهره أرضًا ، و(مشيرة) تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

ومع صرخاتها ، حاول (أكرم) النهوض ، ولكن الحارس الأوّل سبقه إلى هذا ، وهبّ واقفًا على قدميه ، قائلاً :

ـ سامحنا أيها الزميل .

ومع قوله ، هوى بقبضته على مؤخرة عنق (أكرم) ، الذى ارتجّ كيانه فى قوة وعادت الدنيا تظلم أمام عينيه ..

ثم سقط ..

وفقد وعيه مرة أخرى ..

للأسف ..

* * *

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يدير عينيه فى القاعة الصغيرة ، التى تم تدمير كل ما تحويه من أجهزة بمنتهى العنف ، قبل أن يلتفت إلى (نشوى) ، متسائلاً :

ـ لماذا فعل هذا ؟!

أجابته فى غضب :

- لست أدرى .. يبدو أنه تصوَّر أن هـذه الأجهزة تمثل دليلاً لإدانته ، فحطمها كلها ، قبل أن يفرّ .

سألها (نور) فى دهشة :

- هل نجح فى الفرار ؟!

أجابته (سلوى) :

- عندما وصل رجال الأمن إلى هنا ، لم يجدوا لـه أدنى أثر .

وأضافت (نشوى) :

- ولكن هنـاك نشرة إليكترونية بأوصـافه ، فى كـل المطارات والموانئ ، وطرق السفر ، وبصمته الجينيـة موزَّعة على كل أجهزة الأمـن ، وسيتم إلقـاء القبـض عليه حتمًا ، فى أسرع وقت ممكن .

عاد يتطلَّع إلى الأجهزة المحطمة ، متسائلاً :

- وماذا عن هذه الأجهزة ؟! هل يمكننا أن نعيد بناءها ؟!

تنهَّدت (نشوى) ، وهزَّت رأسها ، قائلة :

- هذا يحتاج إلى وقت طويل ، ولكننى أشكّ فى أن ننجح فى هذا ، بعد أن أتلف الدوائر الرئيسية كلها .

مطَّ (نور) شفتيه ، مغمغمًا :

- يا للخسارة !

أجابته (سلوى) ، وهى تربِّت على كتفه :

- لقد وضعنا على أوَّل الطريق على الأقل .

غمغم :

- بالتأكيد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضمَّها إليه فى رفق ، قائلاً :

- لقد بذلنا جهدًا مضنيًا ، خـلال السـاعات الماضيـة ، وأظن أننا بحاجة إلى بعض الراحة .

أراحت (سلوى) رأسها على كتفه القوية ، مغمغمة :

- بالتأكيد .

ابتسمت (نشوى) ، وهى تتطلّع إليهما ، ثم قالت :

- أنا أيضًا بحاجة إلى بعض الراحة .. سأذهب إلى المستشفى ؛ لأطمئن على موقف (رمزى) ، ثم أحضر الصغيرين من منزل مربيتهما ، وأعود إلى منزلى بدورى .

وافقها (نور) بإيماءةٍ من رأسه ، قائلاً :

- هذا أفضل للجميع .

ألقت (نشوى) عليهما التحية ، وأسرعت تغادر المكان إلى سيارتها ، وهى تغمغم مبتسمة :

- ليس هناك ما هو أفضل من أبوين متحابين .

وثبت داخل سيارتها ، وأدارت محرّكها ، وانطلقت بها إلى المستشفى ، وعقلها يعيد دراسة الموقف كله ..

(أكرم) كان خارج عالمنا حتمًا ..

شىء ما ، أو قوة ما انتزعته من داخل سيارته ، وهو

فى طريقه إلى ذلك الحفل المحدود ، فى منزل والدها ، وألقى به إلى عالم آخر ..

بُعد آخر ..

أو زمن آخر ..

أو حتى وجود آخر ..

ثم امتزجت أجهزة ذلك الدجال ، على نحو عشوائى محض ، لتجلبه من ذلك العالم ، وتعيده إلى عالمنا ..

وهذا يتعلّق حتمًا ببصمته الجينية ..

هناك بالتأكيد رابطة ما ، تربط بين المرء وكيانه ، مهما تباعدت المسافة بينهما .. ومهما كان نوعها ..

كان عقلها العبقرى يدرس المعطيات ؛ للبحث عن وسيلة لتطبيقها ، من خلال اختراع جديد ، يضاف إلى قائمة اختراعاتها ، حتى إنها بلغت المستشفى ، وهى مازالت شاردة ، واتجهت فى آلية إلى حجرة (رمزى) ، التى فوجئت بنفسها أمامها ، فضحكت فى ارتباك ، قائلة :

– آه .. الآن أدركت لماذا كانوا يصفون (أينشتين) دائمًا بشرود الذهن .

دفعت باب حجرة (رمزى) ، وهى تبتسم فى مرح ، و ....

وفجأة ، تسمّرت هناك ، والتقى حاجباها فى شدة ، وهى تحدّق فى ذلك الشخص ، الذى انحنى على عنق زوجها الفاقد الوعى ، على نحو لم يرق لها قط ..

وبكل توترها ، هتفت :

– من أنت ؟! وماذا تفعل هنا ؟!

اعتدل ذلك الشخص بحركة حادة ، واستدار إليها فى شراسة ، هو يطلق زمجرة مخيفة ، مكشرًا عن أنيابه ..

وشهقت (نشوى) فى رعب هائل ، عندما اخترقت أذنيها تلك الزمجرة ، الممتزجة بفحيح مخيف ، ووقع بصرها على تلك الأنياب الطويلة الحادة ، فى فكى ذلك الشخص ..

وفى تلك اللحظة فقط ، انتبهت إلى جثة الحارس ، الذى لم تنتبه إلى وجوده ، أمام حجرة (رمزى) ..

كان ملقى هناك ، فى ركن الحجرة ، جاحظ العينين ، مسود الوجه ، على نحو مخيف ..

وبكل رعبها ، أطلقت (نشوى) صرخة رعب هائلة ، و ....

وانقضّ الثعبان الآدمى ..

وبكل وحشية الدنيا ..

* * *

ارتسمت ابتسامة شريرة على شفتى الأصلع ، وهو يلوّح بأنبوب اختبار صغير فى يده ، قائلاً :

– العينة البشرية مثالية .. أظننا سنحصل على جيل سادس مدهش .

تألّقت عينا الضخم ، وهو يقول :

– لو ورثت جينات والد صاحب العينة وقدراته ،

ستصبح أسلحة رهيبة ، لاقبل للعالم كله بمواجهتها .

وافقه الأصلع بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

نتعشَّم هذا .

ثم أشار بسبَّابته ، مستطردًا :

- ولكن تلك القدرات ليست وراثية ، إنها مهارات مكتسبة ، والمكتسبات لا تورَّث(*) .

انعقد حاجبا الضخم ، وهو يقول فى صرامة :

- فلنعمل على إكسابهم إياها إذن .

قال الأصلع فى حذر :

- سنبذل قصارى جهدنا ، ولكن هذا لن يكون بالأمر السهل .

قال الضخم ، فى صرامة أكثر :

- لا شىء فى الوجود بالأمر السهل .

(*) حقيقة .

ثم هبَّ من مقعده ، متابعًا :

- لقد قاتلنا كالوحوش ، طوال ما يزيد على نصف القرن ، لنضع اسمنا على خريطة العالم ، ولنقفز إلى قمته ، ونتفوَّق حتى على (أمريكا) الغبية ، التى لم تتصوَّر أن نسعى لهدمها ، بعد أن ظلت تساعدنا طوال الوقت ، على حساب مصداقيتها وسمعتها العالمية ..

كل شىء فى الوجود استبحناه وفعلناه ، دون النظر إلى أية قواعد أو قيم سخيفة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد ساعدت الظروف أولئك العرب على دحرنا فى النهاية .

قال الأصلع فى حذر أكثر :

- من حسن حظنا أنهم كانوا من الكرم ، بحيث سمحوا لنا بالبقاء ، فى قطاع صغير من الأرض .

استدار إليه الضخم فى حدة ، هاتفًا :

- بل قل : كانوا من الحماقة ، بحيث سمحوا لنا بالبقاء .

ثم تألّقت عيناه فى وحشية ، وهو يلوّح بقبضته ، مضيفًا :

- وسيدفعون ثمن هذا الخطأ غاليًا .

تطلّع إليه الأصلع بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

- من الواضح أنك تبغضهم كل البغض .. تمامًا كسلفك الذى ..

قاطعه بصيحة هادرة :

- لا تنطق اسمه .

تراجع الأصلع فى دهشة ، وهو يقول فى توتر :

- أنا لم أنطق اسمه .

لوّح الضخم بسبّابته فى وجهه ، قائلاً فى غضب صارم :

- ولا تحاول أن تنطقه .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ولهث بضع لحظات ، من

فرط البدانة والانفعال ، حتى إنه عاد إلى مقعده ليلتقط أنفاسه ، قبل أن يقول :

- العرب يتصوّرون أنها نهايتنا ، ولكننا سنثبت لهم أننا قادرون على النهوض من كبوتنا دومًا ، واستعادة مكانتنا على القمة ، عندما تحين اللحظة المناسبة .

غمغم الأصلع ، محاولاً إنهاء الموقف :

- بالتأكيد يا سيّدى .. بالتأكيد .

ثم عاد يلوّح بأنبوب الاختبار ، متسائلاً :

- والآن ، بالنسبة للتجربة .. متى سنبدأ فى إنتاج الجيل السادس ، من مشروع (الثعبان) ؟!

هتف به الضخم فى غضب :

- ألم تبدءوا بعد ؟!

هزّ الأصلع رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- إصدار مثل هذا القرار ، لايدخل ضمن نطاق سلطاتى .

ضرب الضخم سطح مكتبه براحته ، وهو يهتف فى حدة :

ماذا تنتظر إذن ؟!

قال الأصلع ، فى حذر متحفز :

ـ أوامرك .

لوّح الضخم بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ ابدأ فورًا يا رجل .. مشروع طويل كهذا ، لا يجب أن نضيع منه لحظة واحدة .

تردّد الأصلع لحظة ، قبل أن يحسم أمره ، ويقول :

ـ ليس أوامر شفهية يا سيّدى .

انعقد حاجبا الضخم فى غضب ، وهو يرمقه بنظرة نارية ، فتابع الأصلع فى توتر :

ـ إنها مسئولية ضخمة .

مطّ الضخم شفتيه فى غضب مشمئز ، ثم جذب ورقة

من على مكتبه ، وخطّ عليها أمرًا ببدء مشروع إنتاج الجيل السادس من مشروع (الثعابين) ، وذيّله بتوقيعه ..

وكان هذا إيذانًا بإنتاج أقوى سلاح عرفته الأرض ..

سلاح نصف بشرى ..

ونصف ثعبانى ..

★ ★ ★

تثاءبت (سلوى) فى إرهاق ، وهى تحاول الاسترخاء ، داخل سيارة (نور) ، وغمغمت وهى تسبل جفنيها فى تهالك :

ـ لقد كنت على حق يا (نور) .. نحن بحاجة إلى قدر من الراحة .

تمتم ، وهو يربّت على رأسها فى حنان :

ـ إننا بشر .

لاح منزله من بعيد ، فزاد من سرعة السيارة بحركة

غريزية ، وهو يتجه بها إليه ، ولم يكد يتوقّف أمام الحديقة ، حتى قال فى خفوت :

- وصلنا يا (سلوى) .

فتحت عينيها فى تكاسل وتهالك ، مغمغمة :

- حقًا ؟!

ثم غادرت السيارة معه ، وتثاءبت مرة أخرى ، قائلة :

- الآن فقط أدركت شعور أولئك ، الذين يقبلون أرض الوطن ، عند عودتهم إليه ، بعد مرحلة شاقة .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- من حسن الحظ أننا مازلنا على أرض الوطن .

التقطت أذنا الثعبان الآدمى فى الداخل حوارهما ، فتحفّزت كل خلية فى جسده ، وتأهّب كيانه كله ، وتألّقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يكشّر عن أنيابه الحادة الطويلة ، ويتحرّك فى سرعة نحو الباب ..

ثم ينتظر ..

كان يرهف سمعه جيّدًا ، ليتابع وقع أقدامهما ، وهما يقتربان من المنزل ..

ويقتربان ..

ويقتربان ..

وفى سرعة ، راحت نواجذه تنتفخ ، بكل السم الذى أفرزته غدده اللعابية المتطوّرة ، والذى راح يتجمّع ، استعدادًا لبثه فى جسدى (نور) و(سلوى) ، فور دخولهما إلى المنزل ..

كان يعلم أن السم يفرزه ، والذى يختلف تمامًا عما كانت تفرزه غدد أفراد الجيل الخامس ، يحتاج إلى الدخول فى الدم مباشرة ..

وهذا يعنى حتمية الانقضاض ..

وغرس الأنياب فى الأوردة العنقية ..

مباشرة ..

ومرة أخرى ، كشَّر عن أنيابه الحادة ، وهو يقترب من الباب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

أما (نور) و(سلوى) ، فقد بلغا الباب ، وابتسمت هى فى إرهاق ، قائلة :

ـ ألن تفحص جهاز الإنذار الإليكترونى ، قبل أن تفتح الباب ؟!

تنهَّد وهو يخرج بطاقته الممغنطة ، قائلاً :

ـ إنى مرهق بما يكفى ، لتجاهل هذه الخطوة .

ثم سألها ، وهو يدس بطاقته ، فى التجويف الخاص بها ، فى رتاج الباب :

ـ هل يمكنك أنت ؟!

هزَّت رأسها ، وهى تضحك ، قائلة :

ـ كلاً بالتأكيد .

كانت تشعر مثله بإرهاق عنيف ، مع كل ما بذلاه طوال الساعات الماضية ، ومنذ هبطت بهم الحوَّامة ، على مسافة أمتار قليلة من المنجم القديم ، ومع الانفعال الجارف ، الذى ظلّ يعصف بنفسيهما ، خلال الساعات التالية لذلك ..

ومع إضاءة المصباح الأخضر ، سألها (نور) فى اهتمام :

ـ هل عثروا على تلك الأجهزة ، التى توحى بوجود أعداد ضخمة من الوحوش ، فى كل مكان حول المنجم ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ ليس هذا فحسب ، وإنما وجدوا أيضًا أجزاء إليكترونية خاصة فى جدران المنجم ، للإيحاء بحدوث تلك التحركات ، التى رصدتها الأجهزة ، دون مصدر حرارى .

هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ أسلوب معقَّد للغاية ؛ لإخفاء الأمر كله .

قالها ، ودفع باب المنزل ..

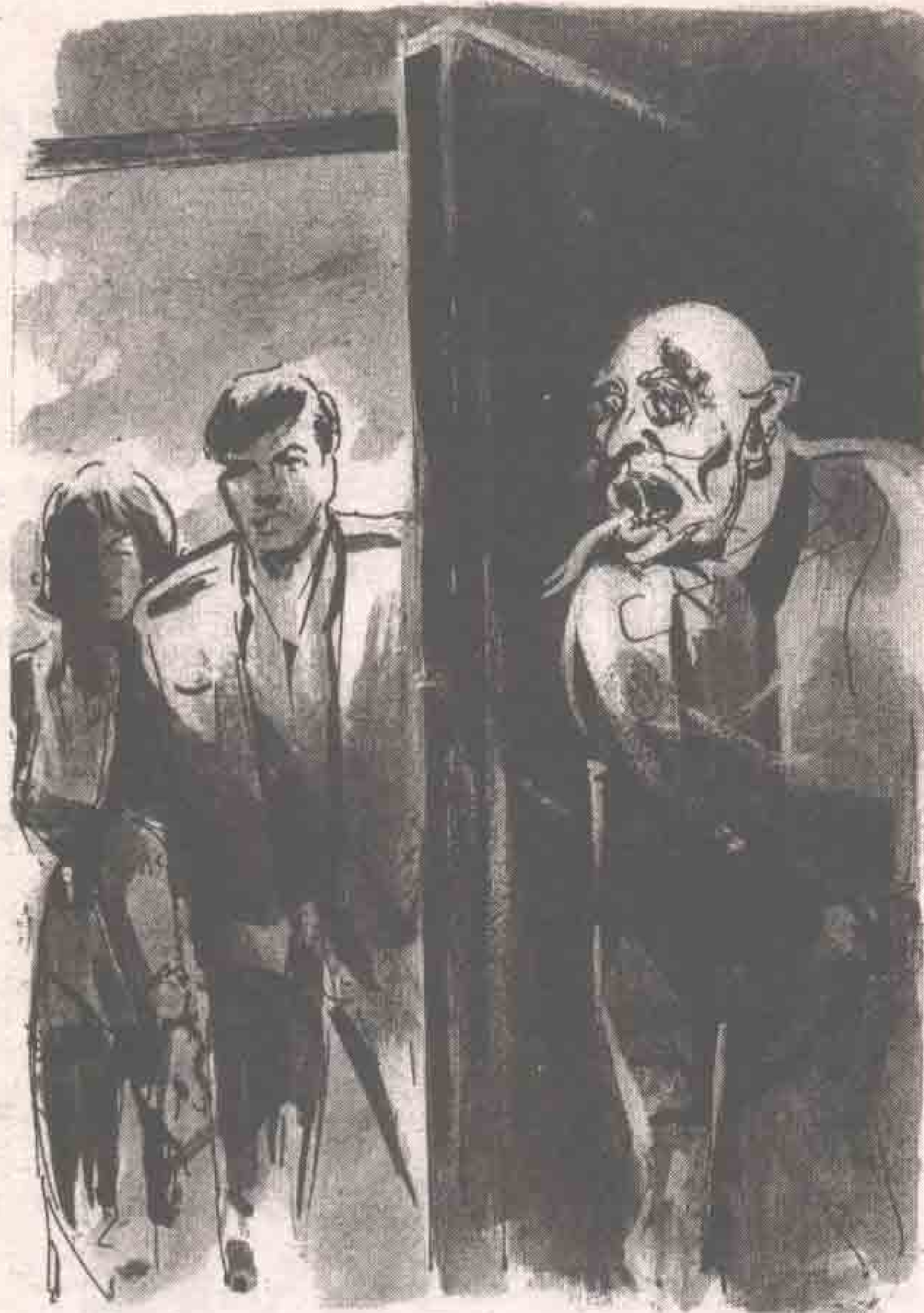
وتحفَّز الثعبان الآدمى ..

واستعدَّ للانقضاض على ضحيتيه ..

وبلا هوادة .

* * *





. قالها ، ودفع باب المنزل .. وتحفَّز الثعبان الآدمى .. واستعد للانقضاض على ضحيتيه ..

٥ ـ الأنياب القاتلة ..

« سامحنا يا سيِّد (أكرم) .. » ..

نطق مدير أمن المستشفى العسكرى العبارة ، وهو يتطلَّع إلى (أكرم) ، الذى استعاد وعيه فى فراشه ، وشعر بالقيود التى تربطه إليه ، فقال هذا الأخير فى غضب :

ـ هل يمنحك القانون حق تقييد رجل مخابرات يا هذا ؟!

هزَّ الرجل رأسه ، قائلاً فى أسف :

ـ إننى أحاول إجبارك على تنفيذ الأوامر فحسب ، يا سيِّد (أكرم) .

صاح به (أكرم) فى ثورة :

ـ ليس هذا من حقك .

شعرت (مشيرة) بمزيج من التوتر والحنق ، وهى تلتفت إلى مدير الأمن ، قائلة فى عصبية :

ـ إنه على حق .. هذا ليس من حقك .

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلاً :

ـ ألديك بديل يا سيِّدة (مشيرة) ؟!

بحثت فى ذهنها عن أى جواب منطقى ، ولما لم تجد ، قالت فى عناد :

ـ يمكننى أن أحصل منه على وعد بالبقاء .

هتف الرجل ، فى دهشة مستنكرة :

ـ وعد ؟!

ثم التفت إلى (أكرم) ، وسأله :

ـ هل يمكنك أن تقطع على نفسك مثل هذا الوعد ؟!

غمزت بعينها لـ (أكرم) فى توتر ، محاولة إقناعه بقطع هذا الوعد ، ولكنه عقد حاجبيه فى صرامة ، قائلاً :

ـ كلاَّ .

راودها مزيج من الحنق والمرارة ، وهى تهتف :

ـ (أكرم) ؟!

أجابها زوجها فى صرامة شديدة :

ـ لا يمكننى أن أعد بما لن يمكننى تنفيذه .

تطلَّع إليه الرجل لحظة ، قبل أن يشدّ قامته فى احترام ، قائلاً :

ـ وهذا ما أقدِّره يا سيِّد (أكرم) .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ ولكننى لن أحتمل هذا الأمر طويلاً .

سأله الرجل فى حذر :

ـ ألديك اقتراح آخر ؟!

أشار (أكرم) بيده الحرّة ، قائلاً :

ـ اقترب ، وسأخبرك به .

تردَّد الرجل لحظة ، قبل أن يحسم أمره ، ويتجه إليه ، قائلاً :

ـ أريد منك أن تعلم أنه هناك رجلان مسلحان فى الخارج ، ومتحفزان لإطلاق النار عليك ، إذا ما حاولت الفرار مرة أخرى .

قال (أكرم) فى خشونة :

ـ أعلم هذا .

اقترب الرجل منه ، فأشار إليه (أكرم) بالميل نحوه ، واعتدل ، على نحو يوحى بأنه سيهمس فى أذنه ، فمال الرجل نحوه ، و ....

وفجأة ، وثبت يد (أكرم) الطليقة ، واختطفت مسدس الرجل من غمده ، ثم رفع فوهته إليه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ما رأيك بهذا الاقتراح ؟!

رفعت (مشيرة) شفتيها إلى فمها ؛ لتكتم شهقة كادت تنطلق من حلقها ، فى حين انعقد حاجبا مدير الأمن ، وهو يرفع ذراعيه ، ويتراجع معتدلاً ، ويقول فى غضب :

ـ لقد خدعتنى .

هزَّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

إننى لم أعد بالعكس .

مطَّ الرجل شفتيه ، مغمغمًا فى حنق :

ـ هذا لا يليق برجل مخابرات .

أجابه (أكرم) فى حزم :

ـ بل هذا ما يناسب رجل المخابرات ، الذى يسعى لتحقيق مأربه ، بأية وسيلة كانت .

ثم انعقد حاجباه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ والآن ، حل قيد معصمى .

هزَّ الرجل رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

ـ محال .. إننى أفضل الموت .

لوَّح (أكرم) بالمسدس فى وجهه ، قائلاً فى حدة :

ـ لا تحاول إغرائى بهذا .

هتفت (مشيرة) فى صوت عصبى خافت :

ـ (أكرم) .. إنك تورِّط نفسك أكثر وأكثر .

أشار إليها فى صرامة ، قائلاً :

لا تشغلى نفسك بأمرى يا عزيزتى .. أنا أعرف ما أفعل ..

هتفت به :

ـ أنت لا تعرف شيئًا .. إنك لست عضو الفريق الوحيد ، الذى يرقد هنا .. لقد واجه الباقون شيئًا ما ، لم يفصح عنه (نور) كالمعتاد ، ولكنه أسفر عن إصابة (رمزى) ، الذى يرقد فى الطابق السفلى ، و ....

اتسعت عيناه ، وهو يقاطعها فى عصبية :

ـ (رمزى) هنا ؟

نطقها ، وذهنه يستعيد ذلك المشهد ، الذى رآه هناك ..

فى نهر الزمن ..

مشهد (نشوى) ، وهى تدخل حجرة يرقد فيها (رمزى) ..

حجرة مستشفى ما ..

ثم يواجهها ذلك الثعبان الآدمى ..

وتنقضّ عليها تلك الأنياب الحادة الطويلة السامة ، و ....

« يا إلهى ! »

انطلقت صرخته المذعورة ، مع ذلك المشهد البشع ، الذى انتهى إليه الأمر ..

مشهد (نشوى) ملقاه أرضًا ، بعينين جاحظتين ، ووجه مسود ، وثقبين يسيل منهما الدم المسموم ، من عنقها مباشرة ..

مشهد لا يمكن أن ينساه ..

أبدًا ..

وبكل توتره ، صاح بمدير الأمن :

ـ حل قيد معصمى الآن ، وإلا نسفت رأسك بلا رحمة .

هتفت (مشيرة) :

ـ (أكرم) .. أرجوك .

ومع آخر حروف هتافها ، انطلقت صرخة (نشوى) ، ترجّ المستشفى كله ..

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس (نشوى) ..

فقد أدرك على الفور أن ذلك المشهد ، الذى رآه فى نهر الزمن ، قد انتقل إلى مرحلة الحقيقة ..

الحقيقة المجرَّدة ..

* * *

بكل قوته ووحشيته ، انقضّ الثعبان الآدمى على (نشوى) ، وأنيابه الحادة الطويلة تلتمع على نحو مخيف ، تحت ضوء الحجرة ..

وتراجعت (نشوى) بكل رعب الدنيا ، وهى تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

ووثب الثعبان الآدمى نحوها ، ولطمها بكفه فى قوة فوق بشرية ، فارتطمت بالباب فى عنف ، ثم سقطت أرضًا خارج الحجرة ..

ومن بعيد ، لمحت رجال أمن المستشفى ، وهم يعدون نحو المكان ..

وفى وحشية مخيفة ، استدار إليهم ذلك الثعبان الآدمى ، وكشَّر عن أنيابه الحادة ، وهو يطلق تلك الصرخة ، التى تجمع بين الزمجرة والفحيح ..

وتوقَّف الرجال فى ذهول مذعور ، وأحدهم يصرخ :

- رباه ! ما هذا ؟! مصاص دماء ؟!

انتزع رفيقه مسدسه ، وهو يهتف ، فى توتر بلا حدود :

- أيًا كانت ماهيته ، لابد من إيقافه .

ولكن ذلك الثعبان الآدمى تراجع لحظة ..

ثم وثب ..

وثب وثبة طويلة عالية ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة مسدس رجل الأمن ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ورعب ، وهو يتابع خصمه ، الذى كاد يبلغ السقف بقفزته المذهلة ، قبل أن يهبط على قدميه ، وسط رجال الأمن تمامًا ، وهو يطلق فحيحًا آخر ..

وصرخ أحد رجال الأمن ، فى حين تراجع آخر فى رعب ، وأسرع ثالث يحاول سحب مسدسه ..

ولكن الثعبان الآدمى تحرَّك بسرعة مدهشة ..

ووحشية بلا حدود ..

وبلطمة كالمطرقة ، أطاح بأحد رجال الأمن بعيدًا ، ليضرب به الجدار فى عنف ، ثم استدار إلى الثانى ، وأطبق بأنيابه على عنقه ، فى نفس اللحظة التى ركل فيها الثالث فى معدته ، ركلة بدت كالقنبلة ، حتى لقد شهق معها الرجل فى عنف ، وتفجَّرت الدماء من بين شفتيه ، قبل أن يسقط على ركبتيه أرضًا ، فى حين أمسك الثعبان الآدمى عنق رجل

الأمن الرابع والأخير ، وحمله فى خفة وقوة ، ليلقى به أربعة أمتار ، عبر الممر الطويل ..

وسادت موجة هائلة من الرعب ، فى الطابق كله ، وراح الأطباء والممرضات يعدون بكل الذعر ، فى محاولة للفرار من المكان ، والثعبان الآدمى يطلق فحيحًا تلو الآخر ، وهو يعود إلى الحجرة ، التى يرقد فيها (رمزى) ..

وما إن بلغها ، حتى تفجَّر غضب هادر من عينيه ، وهو يتطلَّع إلى الفراش الفارغ والحجرة الخالية ، قبل أن يثب خارجها ، ويطلق فحيحًا غاضبًا آخر ، وأنفه يتشممَّ الهواء فى قوة ..

فى نفس اللحظة ، كانت (نشوى) تبذل قصارى جهدها ، لجذب زوجها (رمزى) الفاقد الوعى ، عبر ممر جانبى ، فى محاولة لبلوغ المصعد ، وهى تردِّد فى عصبية بالغة :

ـ ساعدنا يا إلهى ! ساعدنا .

لم تكن تدرى أى شىء هذا ، الذى كاد يمزِّق عنقها بأنيابه الحادة الطويلة ، بعد أن سعى لقتل زوجها !!

بل ولم يكن باستطاعة عقلها أن يتصورَّ وجود شىء كهذا !!

ولكن الوقت لم يكن يناسب البحث عن التفسير ..

أى تفسير ..

المهم الآن أن تفرّ من هذا المصير البشع ..

وبأى ثمن ..

وها هى ذى تلمح المصعد ، فى نهاية الممر الفرعى ..

وعلى الرغم من أن وزن زوجها يفوق وزنها ، بمرة ونصف على الأقل ، إلا أنها راحت تجذبه ..

وتجذبه ..

وتجذبه ..

وتلاحقه أنفاسها ، ولهثت فى عنف ، وارتفعت دقات قلبها على نحو عنيف ، وهى تتمتم :

ـ رباه ! لا ينبغى أن أنهار الآن .. لا ينبغى أن أفقد قواى .

كان المصعد يقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ودقات قلبها ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

ثم فجأة ، انطلق ذلك الفحيح المزمجر المخيف ..

واستدارت بكياتها ورعبها كله ، إلى بداية الممر الفرعى ..

وانتفض جسدها كله ، عندما ارتطم بصرها بعينيه المخيفتين ..

بعينى ذلك الثعبان الآدمى الرهيب ، الذى تقدَّم نحوها فى بطء وحشى ..

وفى نفس اللحظة ، بلغ المصعد المكان ..

وانتفض جسدها مرة أخرى ..

وعلى الرغم من صعوبة الموقف ، ومن تلك النظرة الوحشية ، المطلّة من عينيه ، جذبت هى زوجها نحو المصعد ، و ....

ووثب الثعبان الآدمى بكل قوته ..

وثب عبر الممر الفرعى كله ، وثبة هائلة مخيفة ، ليهبط فى تلك المسافة القصيرة ، بينها وبين المصعد ..

ثم أطلق فحيحًا ظافرًا ، وهو يرفع يديه أمامها ، ويكشّر عن أنيابه ، و ....

وفجأة دوت تلك الرصاصات ..

ثلاث رصاصات متصلة ، عبرت الممر الفرعى ، لتخترق رأس وصدر ذلك الثعبان الآدمى ، وتقتلعه من مكانه ، ليندفع عبر الأمتار الثلاثة ، المتبقية من الممر ، ويرتطم بالجدار فى نهايته بمنتهى العنف ..

وبكل كيانها ، استدارت (نشوى) إلى بداية الممر ، وعيناها تتسعان عن آخرهما ، لتهتف بكل الدهشة :

ـ (أكرم) ؟!

كان يقف عند بداية الممر ، بكل الحزم والصرامة ، ونصف قيد معدنى يتدلَّى من معصمه الأيسر ، فى حين يمسك مسدسًا يتصاعد الدخان من فوهته بيمناه ، وهو يسألها :

ـ أأنت بخير ؟!

أومأت برأسها إيجابًا فى انبهار ، فتقدَّم نحوها ، متسائلاً :

ـ وماذا عن (رمزى) ؟!

بح صوتها من فرط الانفعال ، وهى تجيب :

ـ أظنه بخير ..

تجاوزها ، دون أن يخفض مسدسه ، واتجه نحو ذلك الثعبان الآدمى مباشرة وكأنما يتأكَّد من موته ..

وفى تلك اللحظة وصلت (مشيرة) ، مع رجال الأمن ، وهى تلهث هاتفة :

ـ يا إلهى ! ماذا حدث ؟! يا إلهى !

انتفض جسد (نشوى) كله ، من فرط الانفعال ، وهى تقول :

ـ (أكرم) أنقذنا .. فى اللحظة الأخيرة .

هزَّ مدير الأمن رأسه فى قوة ، قائلاً فى انبهار :

ـ لن يمكنك أن تتصوَّرى كيف فعل هذا ! لقد سمع صرختك ، فأصابته نوبة من الجنون ، جعلته يطلق النار على قيوده ، ثم يثب من فراشه ، ويدفع رجلىَّ بقوة مذهلة ، قبل أن يعدو كالصاروخ .

وهتف أحد رجلى الأمن ، المصاحبين له :

ـ إننى لم أصدِّق نفسى ، عندما وثب من طابقنا إلى هذا الطابق ، توفيرًا لكل ثانية .

غمغمت (نشوى) :

ـ حمدًا لله .. لقد وصل فى الوقت المناسب .

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وقال فى عصبية :

ـ حمدًا للّه .. لم أكن لأحتمل تكرار ذلك المشهد أبدًا .

سألته (نشوى) فى دهشة :

ـ أى مشهد هذا ؟!

لوّح بمسدسه ، مجيبًا :

ـ ذلك المشهد البشع ، الذى شاهدته فى ....

قبل أن يتمّ عبارته ، اعتدل ذلك الثعبان الآدمى بغتة ، وانقضّ على ساق (أكرم) مطلقًا ذلك الفحيح الرهيب ..

ثم غرس أنيابه بكل قوته ..

وصرخت (نشوى) ، وهى تتراجع فى رعب ، فى حين اتسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهى تصرخ :

ـ ما هذا ؟! رباه ! ما هذا ؟!

أما (أكرم) ، فعلى الرغم من الآلام الرهيبة ، التى

سرت فى جسده كله ، أدار فوهة مسدسه إلى رأس ذلك الثعبان الآدمى ، وهو يصرخ :

ـ ألم تمت بعد أيها الحقير ؟!

ثم ضغط زناد المسدس مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ونسفت الرصاصات رأس ذلك الثعبان الآدمى نسفًا ، وتفجّرت دماؤه فى كل مكان ، وتناثر مخه على الجدار ، وصرخات (نشوى) و(مشيرة) تعلو ..

وتتواصل ..

وتتردّد فى المستشفى كله ..

أما مدير الأمن ومساعداه ، فقد اندفعوا نحو (أكرم) ، والأوّل يهتف به :

ـ هل تشعر بشىء ؟!

حاول (أكرم) أن يجيبه ، ولكن السم الرهيب كان يسرى فى جسده فى سرعة مخيفة ، فأمسك كتفى الرجل فى قوة ، هاتفًا :

- المشهد الآخر .. (نور) .. خلف الباب .

وكان هذا آخر ما نطق به ، قبل أن يذوب مخه بغتة ، و ....

ويسقط فاقد الوعى ..

للمرة الثالثة ..

وربما الأخيرة ..

* * *

فى نفس اللحظة ، التى دفع فيها (نور) باب منزله ، والتى تأهب فيها الثعبان الآدمى الثانى ، للانقضاض على ضحيتيه ، ارتفع أزيز جهاز الاتصالِ الخاص ..

وبحركة غريزية ، أفلت (نور) مقبض الباب ، وهو يرفع ساعته إلى شفتيه ، قائلا :

- المقدَّم (نور) .. من المتحدِّث ؟!

أتاه صوت ابنته ، وهى تهتف فى ذعر :

- أبى .. احضر فورًا .. هناك أمر رهيب حدث هنا .. رهيب للغاية .

اتسعت عينا (سلوى) فى رعب ، وهى تهتف :

- (نور) .. يا إلهى ! (نور) .

جذب (نور) بطاقته المغناطيسية من الباب ، وهو يهتف :

- سنحضر على الفور .

انطلق مع زوجته يعدوان ، عائدين إلى سيارتهما ، فانعقد حاجبا ذلك الثعبان الآدمى ، فى غضب هادر ، وخمش الباب من الداخل بأظفاره فى شراسة ، وهو يطلق ذلك الفحيح المزمجر الوحشى ..

ولم يسمع (نور) و(سلوى) مافعله ، وهما يقفزان داخل سيارتهما ، التى انطلق بها (نور) على الفور ، عائدًا إلى المستشفى ، و(سلوى) تلهث من فرط الانفعال ، هاتفة :

- تُرى ماذا حدث هناك ؟! هل تعتقد أن (رمزى) قد ..

قاطعها فى توتر :

ـ لا داعى لاستباق الحوادث يا (سلوى) ..

وفى نفس اللحظة ، التى اختفت فيها سيارتهما عند الأفق ، تراجع ذلك الثعبان الآدمى الثانى فى بطء غاضب ، إلى الركن نفسه ، ثم توقَّف جامدًا ، ليعاود الانتظار ..

فكنصف حيوان مفترس ، كان يعلم أن الصبر هو السبيل للفوز بالضحية ، فى نهاية المطاف ..

السبيل الأمثل ..

أما (نور) و(سلوى) ، فما إن بلغا المستشفى ، حتى روت لهما (نشوى) ما حدث ، وهى ترتجف على نحو عجيب ، قبل أن ترتمى بين ذراعى أمها ، هاتفة :

ـ لقد كان أمرًا بشعًا .. بشعًا للغاية .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يستعيد كل ما قالته (نشوى) ، قبل أن يسألها فى قلق :

ـ وما موقف (أكرم) الآن ؟!

اعتدلت ، قائلة ، ودموعها تسيل على وجهها :

ـ يقولون إن كمية السم ، التى سرت فى جسده ، لا تكفى لقتله ، ولكنه سيفقد الوعى لفترة ما .

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

ـ أمر عجيب !

حاولت (سلوى) تهدئته ، وهى تقول :

ـ ليس عجيبًا يا (نور) .. الغيبوبة أمر طبيعى ، فى مثل هذه الـ ..

قاطعها فى توتر :

ـ ليس هذا ما قصدته .

سألته فى حيرة قلقة :

ـ ما العجيب إذن ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ العجيب أن (أكرم) كان يعرف ما سيحدث ، على نحو أو آخر ، فقد تحدَّث عن أنياب قاتلة ، خلف

الأبواب المغلقة ، ولقد فوجئت (نشوى) بذلك الثعبان الآدمى ، خلف باب حجرة (رمزى) ، ليهاجمها بأنيابه القاتلة .. أنياب خلف أبواب مغلقة .. بالضبط كما حذرنا هو منها .

حدّقت فيه (نشوى) بدهشة ، ومسحت دموعها ، قائلة :

- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أشار بسبّابته ، وهو يجيب فى اهتمام :

- يعنى أن العالم ، الذى كان فيه (أكرم) ، يتيح له رؤية الأحداث المستقبلية ، على نحو أو آخر ، وهذا ينطبق أكثر ما ينطبق ، على مكان واحد بالتحديد .

أجابته (سلوى) فى سرعة :

- نهر الزمن .

قال فى حزم :

- بالضبط .

ظهرت (مشيرة) فى تلك اللحظة ، وهى تهتف فى غضب :

- هل يمكننى أن أعرف ، ما الذى يحدث هنا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

- ليس الآن يا (مشيرة) .

صرخت فى غضب هادر :

- بل الآن إيها المقدّم .. وهنا .. إننى لا أتحدث عن سبق صحفى ، أو خبر مثير ، أسعى لبثه على شاشة أنباء الفيديو .. إننا نتحدّث عن زوجى ، الذى يصارع الموت الآن ، بسبب شىء وحشى عجيب ، ترفضون حتى التصريح بماهيته .

قال (نور) ، فى صرامة أكثر :

- امنحينا ثقتك فحسب يا (مشيرة) ، فأمن (مصر) يمنعنا من التصريح بما لدينا .

صاحت فى حدة :

- أمن (مصر) ؟! عن أى أمن تتحدّث أيها المقدّم ..

ما فعله وحشكم هذه المرة ، حدث أمام عشرات الشهود ، وهذا أمر يستحيل كتمانه .

قال (نور) :

- لا يوجد دليل مادى واحد عليه .

لوَّحت بيدها ، صائحة :

- وماذا عن جثة ذلك الوحش ؟!

أتاه صوت هادئ من خلفها ، يقول :

- أى وحش ؟!

استدارت إلى مصدر الصوت ، هاتفة فى دهشة :

- الدكتور (حجازى) ؟!

تقدَّم منها كبير الأطباء الشرعيين ، وهو يقول بنفس الهدوء :

- الشرطة استدعتنى لفحص جثة ذلك المجنون ، الذى يستخدم أنيابًا صناعية ، كتلك التى تستخدمها السينما ، فى أفلام مصاصى الدماء .

هتفت مستنكرة :

- أنياب صناعية ؟! هل تعتقد أن أحدًا سيصدِّق هذا ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- ليس هذا من شأنى .

ثم أدار عينيه إلى (نور) ، وهو يضيف فى حزم :

- إننى أتحدَّث عن التقرير الرسمى .

انعقد حاجبا (نور) ، وقد فهم ما يعنيه الدكتور (حجازى) ، فى حين احتقن وجه (مشيرة) فى غضب ، وهى تنقل بصرها بين وجوه الجميع ، قبل أن تقول فى غضب :

- فليكن .. ما دمتم تريدونها حربًا ، فسأعلنها كذلك .. سأستنفر كل الطاقات الإعلامية ، للبحث خلف ما حدث هنا ، وسأجمع وأعلن كل الحقائق الممكنة ، مهما بلغت خطورتها .

أجابها (نور) فى صرامة جافة :

ـ هذا شأنك .

انتفض جسدها فى غضب ، ثم اندفعت تغادر المكان ، فى حين سألت (سلوى) الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ ماذا عن التقرير غير الرسمى ؟!

مطَّ الرجل شفتيه ، قائلاً :

ـ إننى لم أجر فحصًا كاملاً بعد .. لقد ألقيت نظرة على الشكل الظاهرى فحسب ، وطلبت إرسال بعض العينات للفحص المجهرى ، ولفحص البصمة الجينية ، كما أرسلت فى طلب الدكتورة (هناء حماد) ، الخبيرة البيولوجية الشهيرة ، لإجراء الفحص التشريحى المقارن .

سأله (نور) :

ـ وماذا عن رأيك الأوَّلى ؟!

تنهَّد ، قائلاً :

ـ (أكرم) نسف رأس ذلك الشىء تمامًا ، مما أضاع

الكثير من التفاصيل ، ولكن مما تبقَّى ، يمكننى أن أقول : إننى كنت على حق .

ردَّدت (نشوى) ، فى دهشة حذرة :

ـ كنت على حق !!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم يا بنيتى .. لقد تطوَّروا كثيرًا بالفعل .. إننا نواجه الجيل الخامس الآن .

واتسعت عيون ثلاثتهم عن آخرها ..

فالمعلومة هذه المرة كانت خطيرة ..

ومخيفة ..

للغاية .

* * *



٦ ـ الجيل الخامس ..

انعقد حاجبا الضخم ، ومطَّ شفتيه فى حنق ، وهو يراجع ذلك التقرير العاجل ، الذى حمله إليه الأصلع ، الذى قال فى مرارة :

ـ المهمة الأولى فشلت تمامًا ، وذلك الهمجى ، فى فريق (نور) ، تمكَّن من قتل رجلنا ، قبل أن يتمَّ عمله .

غمغم الضخم فى خشونة :

ـ رجلنا ؟ ياله من قول !

قال الأصلع فى عصبية :

ـ بم أسميه إذن ؟! ثعباننا ؟!

زفر الضخم فى حدة ، قائلاً :

ـ قل : سلاحنا السرى فحسب .

لم يرق هذا الأسلوب الملتف للأصلع ، فهزَّ رأسه ، قائلا :

ـ فليكن .. لقد خسرنا أحد أسلحتنا السرية .

وعجز عن الاكتفاء بهذا القول ، فانتفض جسده ، وهو يهتف فى حنق عصبى :

ـ هل يصنع هذا فارقًا ؟!

أجابه الضخم ، بكل صرامته الغاضبة :

ـ بالتأكيد .

قالها ، ونهض من خلف مكتبه ، واتجه نحو نافذة كبيرة ، وقف يتطلَّع عبرها لدقيقة كاملة فى صمت ، قبل أن يقول فى غلظة :

ـ فى كل الأحوال ، الأمر لا يعدو كونه مجرَّد تجربة .

قال الأصلع فى توتر :

ـ تجربة فاشلة .

استدار إليه الضخم فى غضب ، قائلاً :

ـ ليس بعد .

هتف الأصلع :

ـ لقد دمروه ، قبل أن يتمّ مهمته .

قال الضخم فى حدة :

ـ التفاصيل لم تصلنا كاملة بعد .

أكمل الأصلع :

ـ وانكشف أمره .

هتف الضخم :

ـ وماذا فى هذا ؟!

انتفض جسد الأصلع ، من فرط الانفعال ، وهو يهتف :

ـ أخبرنى بالله عليك : أى سلاح سرى هذا ، الذى يعرف الكل بأمره ، على هذا النحو العلنى ؟!

بدا الضخم شديد الانفعال بدوره ، وهو يقول :

ـ السرى لم ينكشف هناك ، فى ذلك المستشفى ،

بل انكشف فى قلب المنجم المهجور ، فى منطقة (جبل الطور) ، وهذه ليست مسئوليتى .

قال الأصلع فى غضب :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

لوَّح الضخم بذراعه ، قائلاً فى حدة :

ـ بالتأكيد .

وصمت لحظة ، قبل أن ينعقد حاجباه فى صرامة ، مستطردًا :

ـ ولا تنس أنه واحد من ثلاثة .

قال الأصلع فى عصبية :

ـ وهل يصنع هذا فارقًا ، مع انكشاف السر ؟!

صاح به الضخم :

ـ المصريون ليسوا أغبياءً .

قالها ، وعاد إلى مقعده ، قبل أن يضيف :

ـ ماداموا قد كشفوا أمر تجربتنا القديمة ، فى المنجم المهجور ، فسيدركون حتمًا أن الأمر لم ولن يتوقّف عند هذا الحد .

قال الأصلع فى حدة :

وهذا يضعنا فى موقف شديد الحرج ، دبيلوماسيًا وأمنيًا .

قلب الضخم شفتيه ، وهو يقول فى ازدراء :

ـ ومنذ متى يقلقنا هذا ؟!

مال الأصلع نحوه ، قائلاً فى صرامة :

ـ منذ فقدنا دعمنا الأمريكى ، وأصبحنا أقلّ قوة من العرب .

امتلأت ملامح الضخم بالمقت ، وهو يقول :

ـ وهذا ما أسعى لازاحته ، وإعادته إلى ما كان عليه .

ثم لوّح بسبّابته فى وجه الأصلع ، مستطردًا فى غضب :

ـ وما يحول الحمقى أمثالك بينى وبينه .

اشتعلت عينا الأصلع فى غضب ، وهو يعتدل ، قائلاً فى استنكار :

ـ الحمقى ؟!

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يضيف بكل الصرامة :

ـ فليكن .. مادام هذا رأيك ، ومادام يختلف تمامًا عن رأيى ، فالأمر يحتاج حتمًا إلى طرف ثالث ، لحسم هذا الخلاف .

ازداد انعقاد حاجبى الضخم ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه الأصلع ، فى صرامة شديدة :

ـ أعنى أننى سأبلغ المسئولين ؛ ليدلوا بدلوهم فى هذا الشأن .

قالها ، ودار على عقبيه ، واندفع نحو الباب فى غضب ، وما إن بلغه ، حتى استدار إلى الضخم ، وأخرج من جيبه جهازًا صغيرًا ، وهو يستطرد فى حدة :

ـ ولتعلم أننى قد سجلت كل حديثنا ، على نحو يحتّم معرفة العالم كله لو أصابنى مكروه .

مطّ الضخم شفتيه فى حنق ، فتابع الأصلع فى حدة أكثر :

ـ فلن يتكرّر معى أبدًا ، ما أصاب رئيس إدارة الأبحاث .. هل تذكره ؟! إنه ذلك النحيل ، الذى قالت الأوراق الرسمية : إنه قد انتحر ، دون أى سبب منطقى .

ألقى كلماته ، وغادر المكان ، ليصفق بابه خلفه فى عنف شديد ، تاركًا الضخم خلفه ، وقد احتقن وجهه بشدة ، وعقله ملتهب بعشرات الأفكار ..

تُرى ماذا سيحدث ، لو أخبر هذا المأفون المسئولين ؟!

ماذا سيفعلون به ؟!

ومعه ؟!

كان التوتر يملأ جسده ، على نحو عنيف ، فضغط

زر جهاز البث ، الذى اشتعل على الفور ، ليكمل عرض ذلك الفيلم التسجيلى ، للمذابح الدموية الرهيبة ، التى ارتكبها سلفه ، الذى لقبه التاريخ بالسفاح ..

ومع العرض ، عادت عيناه تتألقان فى نشوة عجيبة ..

نشوة تجعلك تتساءل فى حيرة : أيهما يستحق لقب الوحش الحقيقى ؟!

تلك الثعابين نصف البشرية ، أم هو ؟!

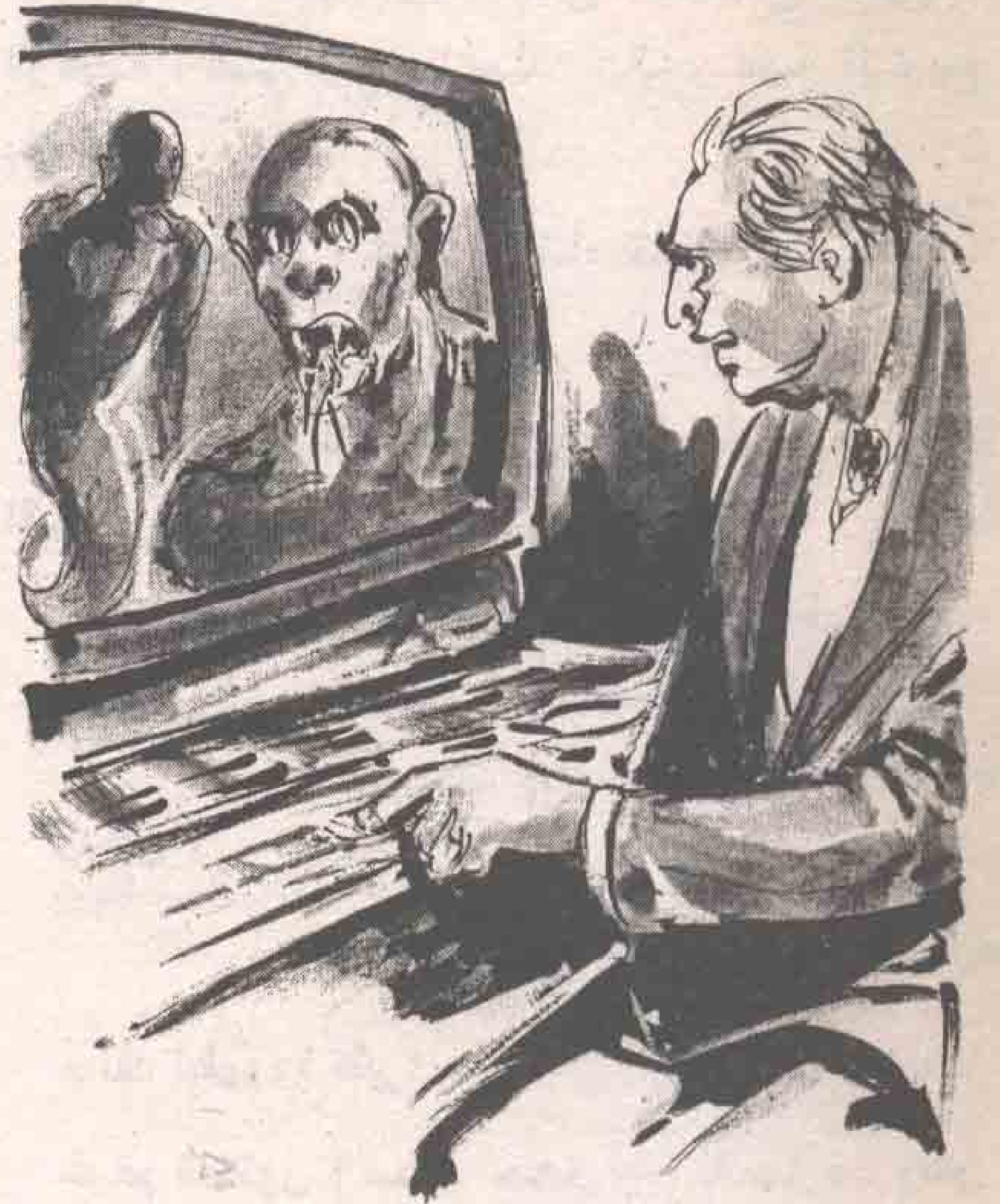
أيهما ؟!

وبحق ؟!

* * *

« لقد تطوّروا كثيرًا .. »

غمغم الدكتور (محمد حجازى) بالعبارة ، وهو منهمك فى تشريح وفحص جثة ذلك الثعبان الآدمى ،



ومع العرض ، عادت عيناه تتألقان فى نشوة عجيبة ..

داخل قاعة صغيرة خاصة ، أسفل المستشفى العسكرى فسأله (نور) فى اهتمام :

ـ لقد ساعدتهم التقنية الحديثة .. أليس كذلك ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ هذا أمر واضح ؛ فالامتزاجِ بين صفات الثعابين والصفات البشرية هنا أكثر اتقانًا .. لقد جعلوا الشكل الخارجى آدميًّا بقدر الإمكان ، وحسنوا كثيرًا أداء الأحبال الصوتية هذه المرة ، والغدد اللعابية المتطوِّرة تعمل بكفاءة أكثر ، ويمكنها أن تبث السم فى الدم مباشرة ، عبر الفتحات التى تصنعها هذه الأنياب الحادة ، تمامًا كالثعابين الحقيقية .

وتوَقّف لحظة ، ليمسح العرق المتصبِّب على وجهه ، قبل أن يضيف :

ـ أعتقد أن الجيل التالى سيصبح أكثر كفاءة .

سأله (نور) فى توتر :

ـ هل تعتقد أنهم يعملون على إنتاجه بالفعل ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

- ياله من سؤال يا (نور) ! هل تعتقد أنه من الممكن أن يتوقّفوا ، بعد أن بلغوا هذا القدر ؟!

اعتدل (نور) فى وقفته ، وشدّ قامته فى وقفة عسكرية غريزية ، وهو يقول بكل الحزم والعزم :

- إن لم يتوقّفوا ، فسيكون من المحتمّ أن نوقفهم نحن .

سأله الطبيب الشرعى فى حذر :

- وكيف يمكنكم فعل هذا ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

- سنتعقّب كل خيط ، يمكن أن يقود إليهم .

تنهّد الدكتور (حجازى) ، مغمغمًا :

- أتعشّم أن يفلح هذا .

ثم أشار إلى جثة الثعبان الآدمى ، مستطردًا :

- فباستطاعتهم إنتاج جيش رهيب متطوّر من هذه الأشياء خلال عشر سنوات فحسب .

تنهّد (نور) فى توتر ، قائلاً :

- كنت أتصوّر أن الأمر يستغرق أقل من هذا .

قال الدكتور (حجازى) :

- ليس عندما يتعلّق الأمر بكائن نصف بشرى ، فحتى مع هرمونات النمو الفائقة ، التى يتمّ استخدامها بمنتهى الدقة والحذر ، لا يمكنك أن تحصل على جسد ناضج ، قبل هذه الفترة ، التى تعدّ قصيرة جدًا ، مقارنة بما كان يحتاج إليه الأمر فى السابق .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، ومطّ شفتيه ، مغمغمًا :

- لقد استوعبت الأمر .

وصمت لحظة ، ثم عاد يسأل فى اهتمام :

- ألا توجد لديك هنا أية نقطة ، يمكن اعتبارها طرف خيط ؟!

مطّ كبير الأطباء الشرعيين شفتيه بدوره ، وهو يجيب :

أى مكان فى العالم ، يمتلك التكنولوجيا الكافية ، يمكنه أن ينتج أشياءً كهذه .

قال (نور) فى حزم :

ـ ولكن وجود ذلك المعمل الخفى ، أسفل المنجم المهجور ، فى قلب (سيناء) ، يمنحنا إشارة إلى المنتجين الحقيقيين .

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ يمكنهم إنكار هذا رسميًّا ، وادعاء أن جهة ما قد استولت على أسرار ووثائق تجاربهم السابقة ، إذا ما أثبت قيامهم بها ، وسيلقون التبعة على غيرهم كعادتهم .

التقى حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ولكننا لن نسمح لهم بتطوير هذه الأشياء البشعة .

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ العب بأسلوبهم إذن .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ أى أسلوب إذن .

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إليه ، مجيبًا فى حزم :

ـ أسلوب الخروج عن كل القواعد ، فيما عدا قاعدة واحدة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى قوة :

ـ السعى للنصر فقط .. وبأى ثمن .

« العب بأسلوبهم إذن .. »

« بأسلوبهم .. »

« بأسلوبهم .. »

راحت تلك النصيحة تتردَّد فى ذهن (نور) ، وهو يتطلَّع إلى (أكرم) الفاقد الوعى ، فى حجرة الطوارئ ، التى يرقد فيها هذا الأخير ، قبل أن يتمتم :

ـ تُرى ماذا تعرف عن مستقبلنا يا صديقى ؟! أى شىء أردت أن تخبرنا به ، وحجبته عنا هذه الغيبوبة السخيفة ؟!

رفعت (مشيرة) عينيهـا المرهقتين إليـه ، وهـى تتساءل :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لا شىء يا (مشيرة) .. إننى أحدّث نفسى فحسب .

تطلّعت إليه بضع لحظات ، فى صمت متوتر ، قبـل أن تسأله :

ـ لماذا لاتخبرنى بما يحدث يا (نور) ؟!

صمت لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

ـ لأن هذا ليس باستطاعتى يا (مشيرة) .

نهضت من مقعدها ، واتجهت إليه ، قائلة :

ـ هذا وحده يؤكّد أنه ليس بالأمر البسيط .

غمغم :

ـ أنا واثق من أنك تدركين هذا .

تطلّعت إليه لحظة أخرى ، ثم سألته فى توتر :

ـ وهل سيمكنك أن تخبرنى به فى المستقبل ؟!

تنهّد ، قائلاً فى خفوت :

ـ لست أدرى .

احتقن وجهها فى غضب ، وهى تهتف :

ـ ولماذا هذه المرة ؟!

رفع سبّابته إلى شفتيه ، وهو يقول محذرًا :

ـ رويدك .. إننا داخل حجرة طوارئ .

احتقن وجهها أكثر ، وهى تخفض صوتهـا ، ومكرّرة فى عصبية :

ـ ولمـاذا لا يمكنـك إخبـارى مستقبلاً ؟! لقد اعتدنا أن نتجاوز الأمر فى حينه ، ثـم أحصل علـى السبق كله فيما بعد .

قلب كفيه ، وتنهّد ، قائلاً :

ـ لست أدرى ما إذا كنا سنتجاوز الأمر هذه المرة .

تحوّل وجهها من الاحتقان إلى الامتقاع دفعة واحدة ، وهى تغمغم :

- إلى هذا الحد ؟!

تنهّد مرة أخرى ، مجيبًا :

- إننا نبذل قصارى جهدنا .

تراجعت وهى تحدّق فيه بشىء من الذعر ، قبل أن تعود إلى مقعدها ، مغمغمة :

- يا إلهى ! يا إلهى !

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان ممرض الطوارئ النوبتجى يلف إلى حجرة التمريض ، الملحق بقسم الحالات الخاصة ، قائلاً لزميله الجالس هناك :

- يا لسخافة الإجراءات هذه الليلة ! لقد فحصوا أوراقى مرتين ، وقام أحدهم بفحص عينى لدقيقة كاملة ، قبل أن يسمحوا لى بالدخول إلى هنا .

خلع ملابسه فى سرعة ، والتقط معطفه ، وهو يتطلّع إلى النافذة ، متسائلاً فى حيرة :

- من فتح النافذة ؟! الطقس بارد فى الخارج ، وجهاز التدفئة يعمل بكفاءة ، و ....

كان يتجه إلى النافذة المفتوحة ، وهو يردّد قوله هذا ، فاصطدم فجأة بشىء ما خلف المكتب ، وما إن خفض عينيه إليه ، حتى اتسعتا فى دهشة وارتياع ، ما لهما من حدود ..

لقد كانت جثة زميله ، التى ألقيت خلف المكتب ، وقد اتسعت عيناه فى رعب ، واسود وجهه ، وسالت الدماء من ثقبين فى عنقه ، وتناثرت من حوله قطع من الزجاج ، جعلت الرجل ينتبه ، لأوّل مرة ، إلى أن النافذة قد تم كسرها من الخارج ، و ....

وقبل حتى أن يستوعب الأمر كله ، انقضّ عليه ذلك الشىء ، الذى يرتدى معطف زميله ..

وجحظت عينا الرجل من فرط الرعب ، وهو يحدّق

فى تلك الأنياب الحادة الطويلة ، التى تألقت تحت ضوء الحجرة لحظة ، قبل أن ترتفع يد قوية ، لتكتم أنفاسه ، وتمنعه من إطلاق تلك الصرخة ، التى اكتملت فى حلقه ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها الأنياب الرهيبة ، لتنغرس فى وريده العنقى ..

بمنتهى العنف ..

والوحشية ..

★ ★ ★

فركت الخبيرة البيولوجية (هناء حماد) عينيها فى إرهاق ، وهى تلقى نظرة على ساعة يدها ، التى أشارت عقاربها إلى قرب الفجر ، قبل أن تواجه (سلوى) و(نشوى) ، قائلة :

- هذه العينة تختلف تمامًا عن سابقتها .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

- من أى اتجاه ؟!

لوّحت بيدها ، قائلة :

- إنها أكثر اتقانًا وتركيزًا ، فعلى الرغم مما وصفتموه ، من أن الهيئة الخارجية تبدو آدمية تمامًا ، من الناحية الظاهرية ، فنسبة الجينات البشرية فى العينة لا تزيد على أربعين فى المائه ، ولكن تم انتقاؤها بمهارة وخبرة شديدتين ، بحيث تتركز الصفات الثعبانية فى التكوين الداخلى وحده ، فى حين يظلّ الشكل الخارجى آدميًا بقدر الإمكان .

ثم تساءلت فى اهتمام :

- أخبرانى : هل أثبت التشريح وجود رئة واحدة أم رئتين ؟!

تبادلت (سلوى) و(نشوى) نظرة دهشة حائرة ، قبل أن تتساءل الأخيرة :

- ولماذا السؤال ؟!

أجابت فى حماسة :

- لأن الثعابين الحقيقية لها رئة واحدة فحسب(*) ، وكنت أريد أن أعرف ، كم بلغت درجة التحكم الداخلية .

(★) حقيقة ..

تبادلت الاثنتان نظرة صامتة أخرى ، قبل أن تجيب (سلوى) هذه المرة :

ـ الدكتور (حجازى) لم يشر إلى وجود رئة واحدة ، وهذا يعنى أنه قد وجد رئتين عاديتين .

هزت رأسها متفهمة ، ثم قالت فى حزم :

ـ مازالوا يحتاجون إلى مزيد من التطوير إذن .

غمغمت (نشوى) :

ـ أتعشم ألا يفعلوا .

أجابتها (هناء) فى حزم صارم :

ـ بل سيفعلون .

بدا القلق على وجهى (سلوى) و(نشوى) ، فتابعت (هناء) فى حزم :

ـ كان ينبغى أن يتوقعوا هذا ، منذ بدأ ذلك العبث الجينى فى التسعينات .. لقد بهرهم الأمر ، فراحوا يجرون تجاربهم فى لهفة وحماسة ، دون أن ينتظروا لاستيضاح الأمر ، واستكمال معلوماتهم عنه ، وتمادى بعضهم إلى محاولات العبث بالطبيعة ، لإنتاج كائنات

لم يكن لها وجود من قبل ، حتى بلغ الأمر حد السعى لتسجيل الملكيات الفكرية ، لأية كائنات عجيبة أو مشوّهة ، يتم إنتاجها عن طريق مزج جينات كائنات مختلفة فى المعامل(*) ..

قالت (نشوى) بدهشة مستنكرة :

ـ كنت أظن أن القانون يحظر هذا .

لوّحت بيدها ، هاتفة :

ومنذ متى نجح القانون ، فى إيقاف الزحف العلمى ؟! ألا تذكرون ما حدث فى أوائل القرن الحادى والعشرين ، عندما صدر قانون فى معظم دول العالم ، يحظر محاولات استنساخ الأجنة البشرية ؟! لقد تجاهله معظم العلماء ، المهتمين بهذا الأمر ، فسافر بعضهم للقيام بهذا ، فى الدول التى لم تصدر مثل هذا القانون بعد ، فى حين أجرى الآخرون تجاربهم سرًا ، فى دول تستخدمه ، وإن لم يمنعهم هذا من إعلان نجاح تجاربهم فيما بعد(*) ..

(★) حقيقة ..

تمتمت (سلوى) :

ـ هذا صحيح .

تنهّدت (هناء) ، قائلة :

ـ إنها مشكلة لن تحلّ أبدًا ، مادام هناك من يعميه التقدُّم عن كل المبادئ والأخلاقيات .

سألتها (نشوى) فى اهتمام :

ـ هل يمكنك استنتاج اسم الدولة ، التى يمكن أن تتجاوز كل القواعد والأعراف ؛ لإنتاج شىء كهذا ؟!

هزّت (هناء) رأسها ، قائلة :

ـ وهل يحتاج الأمر إلى استنتاج ؟!

ثم مالت نحوها ، مستطردة :

ـ دولة واحدة فقط ، التى لم تقم يومًا وزنًا لأية قيم أو قواعد ، سواء قانونية ، أو سياسية ، أو أخلاقية ، أو حتى آدمية ، خلال تاريخها القصير .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تقول :

ـ كلنا نعرفها بالتأكيد .

اعتدلت (هناء) ، وهى تقول فى توتر :

ـ ولكن لو نجح هؤلاء الأوغاد ، فى تطوير هذا الشىء ، فستكون كارثة بلا حدود .

غمغمت (نشوى) :

ـ نحن نعلم هذا .

هزّت (هناء) رأسها ، قائلة :

ـ بل تدركون الأمور المباشرة وحدها ، ولكنكم لاتدركون ما ينطوى عليه الأمر فعليًّا .

سألتها (سلوى) فى قلق :

ـ ماذا تعنين ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ لقد سعوا فى هذا الجيل لتطوير جين خاص نادر ، ولكنهم لم ينجحوا فى بلوغ درجة الكمال به لحسن الحظ .

تبادلت (سلوى) نظرة متوترة مع (نشوى) ، قبل أن تتساءل الأخيرة :

- أى جين هذا ؟!

عادت (هناء) تميل نحوها ، مجيبة فى حزم :

- جين يمنح هذه الوحوش قدرة مدهشة ، على التواصل عقليًا فيما بينها ، بحيث لا تكون هناك حاجة للأوامر ، أو للاتصالات السلكية أو اللاسلكية ، فكلها تشعر ببعضها ، وتقرأ عقول بعضها طوال الوقت .

ومالت أكثر ، مع انفعالها الجارف ، وهى تضيف :

- باختصار ، لن نواجه جيشًا منهم فحسب ، وإنما كيانًا هائلاً ، يفكِّر بعقل واحد ، ويتحرَّك بمئات الأجساد ، مما يجعلهم قوة هائلة .. قوة لا يمكن التصدّى لها .. أبدًا .

واتسعت عيون (نشوى) و(سلوى) عن آخرهما ..

فالأمر على هذا النحو يبدو خطيرًا ومخيفًا .. إلى أقصى حد ممكن ..

★ ★ ★

اعتدل (نور) بحركة حادة ، مع دخول الممرض النوبتجى إلى حجرة (أكرم) ، وهو يرتدى معطفه الأبيض ، ويضع على وجهه قناعًا بسيطًا واقيًا ، فقالت (مشيرة) محاولة تهدئته :

- لا بأس يا (نور) .. إنه موعد الدواء .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتابع حركة الممرض ، الذى اتجه نحو (أكرم) مباشرة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين تابعت (مشيرة) ، وهى تسبل جفنيها فى إرهاق ، مع نسمات الفجر الأولى ، وأضواء الشفق تبدو من خلف النافذة فى الأفق البعيد :

- إنهم يفحصون كل من يقترب من هنا .

حاول (نور) أن يسيطر على توتره ، إلا أن شيئًا ما فى ذلك الممرض ، لم يشعره بالارتياح أبدًا ، وبخاصة عندما أخرج من جيبه محقنًا ، ومال ليغرسه فى ذراع (أكرم) الفاقد الوعى ..

وبنظرة فاحصة خبيرة ، جرت عينا (نور) على ذلك الممرض ، قبل أن تتوقّف عند حذائه ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يحدّق فى الحذاء ، الذى تلوّث كعبه ببعض قطع الطين ، على نحو لا يتناسب مع ممرض يرتدى قناعًا واقيًا ، و ....

« أنت .. انتظر .. »

هتف (نور) بالعبارة فى صرامة ، وهو يندفع نحو ذلك الممرض ، ثم يجذبه من كتفه فى عنف ، قبل أن يغرس إبرة المحقن ، فى ذراع (أكرم) ..

وبكل العنف والشراسة ، استدار إليه ذلك الممرض الزائف ، ولطمه بقوة هائلة ، شعر بها (نور) وهى تقتلعه من مكانه ، وتطيح به عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار ، ويسقط فى عنف ..

وبكل رعب الدنيا ، هبّت (مشيرة) فى مقعدها صارخة ، فاستدار إليها ذلك الثعبان الآدمى ، وهو ينتزع القناع الواقى عن وجهه ، ويكشّر عن أنيابه الحادة الطويلة الرهيبة ، وهو يطلق تلك الزمجرة الفحيحية المخيفة ، ويتجه نحوها مباشرة ، وعيناه تلتهبان بوحشية بلا حدود ..

وتراجعت (مشيرة) ، وهى تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

وعلى الرغم من آلام جسده ، هبّ (نور) واقفًا على قدميه ، وسحب مسدسه ، صارخًا فى صرامة :

- إياك أن تمسّ شعرة واحدة منها أيها الوغد .

استدار إليه الثعبان الآدمى ، ووثب وثبته الطويلة المدهشة ، ليتجاوز فراش (أكرم) ، ويتجاوز طلقة الأشعة ، التى أطلقها (نور) نحوه ، ثم يهبط على مسافة متر واحد من هذا الأخير ، ليلطمه مرة أخرى بعنف أكبر ..

كانت لطمة عنيفة ومؤلمة للغاية ، انتزعت (نور)

من مكانه ، ودفعته بمنتهى العنف نحو فراش (أكرم) ، فاصطدم به ، ودفعه أمامه لمتر كامل ، قبل أن يختلّ توازنه ، ويسقط أرضًا ..

وبوثبة قوية أخرى ، بلغ ذلك الوحش الآدمى جسد (نور) ، وركل المسدس الليزرى من يده فى عنف ، فطار عبر الحجرة ، وارتطم بالجدار ، ثم سقط عند قدمى (مشيرة) ، التى شهقت بكل الرعب ، وتراجعت بحركة حادة ، وكأنها تخشى أن يمسّها مسدس (نور) ..

وبحركة سريعة ، انحنى الثعبان الآدمى يجذب (نور) ، وهو يقول بصوته المخيف الشبيه بالفحيح :

- لقد قتلتم رفيقى .

قالها ، وأطلق زمجرته الفحيحية مرة أخرى ، وهو يلقى (نور) عبر الحجرة ، ليرتطم مرة أخرى بالجدار فى عنف ، ثم يسقط أرضًا ..

ولهث (نور) فى قوة ، مع الآلام التى سرت فى

كل مكان فى جسده ، فى حين تعالى صوت ضربات عنيفة ، على بابِ القسم ، وذلك الثعبان الآدمى يتجه نحو (نور) ، قائلاً فى مقت ، بصوته العجيب المخيف :

- لا تنتظرٍ وصول أية نجدة .. لقد أغلقت الباب الأمنى المصفح ، بيننا وبين رجال الأمن .. لقد أتيت للقضاء عليكم جميعًا ، ولم أكن لأسمح بقدوم من ينقذكم من قبضتى .

نهض (نور) فى صعوبة ، وهو يقول :

- إنك لم تنتصر بعد أيها الوغد .

انقضّ عليه الثعبان الآدمى مرة أخرى ، وهو يقول فى غضب ، بصوت فحيحى رهيب :

- إنها مسألة وقت فحسب .

لكمه (نور) بكل قوته ، صائحًا :

- لنا أم لك .

زمجر الثعبان الآدمى فى غضب ، وأطلق فحيحه الرهيب ، وهو ينتزع (نور) بقوة هائلة ، ويلقيه مرة أخرى عبر الحجرة ..

وسقط (نور) أرضًا فى عنف مؤلم ، وراح يلهث فى شدة ، والوحش الآدمى يتجه نحوه فى غضب ، قائلاً بذلك الصوت الفحيحى المخيف :

ـ قل لى أيها المصرى المتحذلق : هل ذقت طعم السم من قبل ، وهو يسرى فى عروقك ؟!

ثم جذب (نور) من عنقه ، مستطردًا فى غضب :

ـ استعد إذن .. ستتذوّقه الآن .

وبكل غضبه ووحشيته ، فتح الثعبان الآدمى فكيه عن آخرهما ، وانتفخت نواجذه فى وضوح ، و ....

وانقضّ ..

بمنتهى العنف .

* * *



٧ ـ الوحش الأخير ..

تنحنح الضخم فى توتر ، ومسح شعره الأشيب القصير براحته ، قبل أن يدق باب رئيسه ، ثم يقف ثابتًا ، كما تقتضى الأوامر ..

ولم تمض ثوان معدودة ، حتى انبعث من ثقب دقيق بالباب شعاع رفيع ، تحرك بسرعة على وجهه ، ثم توقّف لحظة عند قزحية عينه ، قبل أن ينفتح الباب أمامه على مصراعيه ، فتنحنح مرة أخرى ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ لن يمكننى استيعاب هذه الأمور قط .

كان يدلف إلى حجرة مكتب رئيسه ، عندما سمعه يقول فى صرامة :

ـ حاول أن تعتادها يا رجل ، فالدنيا من حولك تتطوّر ، وأنت تصرّ على التشبث بكل الوسائل القديمة .

رمق الضخم الأصلع بنظر نارية ، وهو يتجه إلى رئيسه ، قائلاً :

ـ أعترف بأننى لا أشعر بالارتياح ، إلا مع الوسائل العريقة يا سيادة الرئيس .

مطَّ الرئيس شفتيه ، مغمغمًا :

ـ أعلم هذا .

ثم مال على سطح مكتبه ، متابعًا فى صرامة :

ـ لدى شكوى بخصوصك .

عاد الضخم يرمق الأصلع بنظرة نارية ، وهو يقول :

ـ أعرف من تقدَّم بها .

نقل رئيسه بصره بينهما فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ وهل تعرف مضمونها أيضًا ؟!

أجابه الضخم فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

ورمق الأصلع بمقت ، مضيفًا :

ـ إنها تتعلَّق بعملية (الجيل الخامس) .

سأله رئيسه فى توتر :

ـ ألا تعتقد أنك قد تسرَّعت كثيرًا فى القيام بها ؟!

هزَّ رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يجيب :

ـ مطلقًا .. المصريون كشفوا أمر الجيل الثالث ، ولم يعد من المجدى أن تخفى أمر الجيل الخامس .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ ثم إنه كان من المحتم أن نختبر ما لدينا .

تراجع رئيسه فى مقعده ، قائلاً :

ـ أهذا فى رأيك ، سبب كاف ؟!

كرَّر الضخم ، فى حزم شديد :

ـ بكل تأكيد .

ثم مال إلى الأمام ، على الرغم من كرشه الضخم ، وهو يقول فى حماسة :

- (أمريكا) نفسها ، راعيتنا الأولى سابقًا ، فعلت هذا ، عندما أنتجت قنابلها الذريـة ، عام ١٩٤٥ ؛ فعلى الرغم من أن (المافيا) النازية كانت قد انهزمت بالفعل ، و(اليابان) على وشك الانهيـار ، كان من المحتم أن تلقى قنبلة (هيروشيما) ؛ لتختبر قوتها فعليًا ، ثم كان من الضرورى بعدها أن تلقى قنبلة (ناجـازاكى) أيضًا ، بعد ثلاثة أيام فحسب ؛ لأنها أنتجت نوعين من القنابل الذرية .. نوع انشطارى وآخر اندماجى ، ولابد أن تختبر تأثير كلتيهما ، على مدينتين متقـاربتى المساحة وعدد السكان بالتحديد أيهما ينبغى مواصلـة إنتاجه فى المستقبل[*]..

التقط رئيسه نفسًا عميقًا ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

- هذا صحيح .

قال الأصلع فى عصبية :

- ولكن هذا يضعنا فى موقف حرج ، أمـام المصريين والعرب .

(*) حقيقة .. للأسف !

ابتسم الضخم فى سخرية ، قائلاً :

- المصريون ليسوا مثلنـا .. إنهم كإخوانهم العرب ، يهتمـون كثيرًا بتلك المبـادئ والأعـراف والقواعـد الساذجة .

عاد رئيسه يميل على سطح مكتبه ، قائلاً فى صرامة :

- لاحظ أن هذا ما جعلهم يربحون المعركة فى النهاية .

هزّ الضخم رأسه فى قوة ، وهو يقول :

- خطأ .. لقد ربحوا جولة فحسب .

هتف الأصلع مستنكرًا :

- أتسمى ما حدث مجرَّد جولة ؟!

هتف الضخم فى حدة :

- بالتأكيد .. العرب انتزعوا منا وطننا ، بعد أن بقينـا فيه لأكثر من نصف قرن من الزمان ، وكما انتزعنـاه منهم فى السابق ، سننتزعه منهم مرة أخرى .

وصمت لحظة ، انعقد خلالها حاجباه فى صرامـة ، قبل أن يضيف فى مقت :

ـ لو أحسنا العمل ، وتجاهلنا كل الحمقى ، الذين يسعون لتقليد العرب فى اهتمامهم بالتفاصيل السخيفة .

احتقن وجه الأصلع ، وهو يقول فى حدة :

ـ من تقصد بالحمقى ؟! هه .. من تقصد ؟!

تألّقت عينا الضخم فى سخرية شامتة ، وهو يشيح بوجهه بعيدًا ، فى حين أخفى رئيسه ابتسامته فى صعوبة ، وهو يقول للأصلع :

ـ اهدأ يا رجل .. لا تجعل الأمور تشتعل .

هتف الأصلع :

ـ إنها مشتعلة بالفعل .

رمقه رئيسه بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ ليس إلى هذا الحد .

لهجته جعلت وجه الأصلع يحتقن أكثر ، وهو يهتف :

ـ سيّدى ..

استوقفه رئيسه بإشارة صارمة من يده ، قبل أن يقول :

ـ لقد اتخذت قرارى فى هذا الشأن .

أدار الضخم عينيه إليه فى اهتمام ، فى حين ازدرد الأصلع لعابه فى توتر ، وتعلّقت عيناه بشفتى رئيسه ، الذى صمت بضع لحظات ، ثم قال فى حزم صارم :

ـ سنواصل خطة إنتاج الجيل السادس .

تألّقت عينا الضخم فى شدة ، ورمق الأصلع بنظرة شامتة متشفية ، وهذا الأخير يسأل بصوت مرتجف :

ـ وماذا عن عملية (الجيل الخامس) ؟!

أجابه رئيسه فى صرامة :

ـ فات وقت استعادتها ومنعها .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضرب سطح مكتبه براحته ، قائلاً :

ـ وسنمضى فيها أيضًا .

اتسعت عينا الأصلع فى ارتياع ، فى حين نهض الضخم فى هدوء ، ومدَّ يده يصافح رئيسه ، قائلاً :

ـ كنت أعلم أنك ستضع مصلحة وطننا ، فوق كل اعتبار يا سيِّدى .

صافحه رئيسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ أتعشَّم أن تكون على حق ، بشأن المصريين .

ابتسم الضخم ابتسامة وحشية ، وألقى نظرة ساخرة على الأصلع ، قبل أن يجيب :

ـ اطمئن يا سيِّدى .. إنهم لن يفعلوا شيئًا ، دون دليل مادى قوى .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ ولن نمنحهم هذا الدليل .. أبدًا .

التقط رئيسه نفسًا عميقًا ، واتسعت ابتسامته عن آخرها ، وهو ينهض لمصافحته فى حرارة ، على نحو شحب له وجه الأصلع ، الذى تجمَّد فى مكتبه ،

وعيناه تتابعان الضخم ، الذى بدا وكأنه قد ازداد ضخامة ، مع انتفاخ أودلجه زهوًا ونصرًا ، وهو يغادر المكان ، وعيناه تتألقان بكل وحشية الدنيا ، حتى لقد بدا ، فى عينى الأصلع ، أشبه بوحش حقيقى كسلفه ..

آخر وحوش سلالته الدموية ..

وأشرسها ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★

« التقط يا (نور) .. »

صرخت (مشيرة) بالعبارة ، وهى تلقى إلى (نور) مسدسه الليزرى ، فى نفس اللحظة ، التى انقضَّ فيها ذلك الوحش الآدمى عليه ، وهو يطلق فحيحه الرهيب ، وأنيابه الحادة تلتمع على نحو مخيف ..

مخيف ..

مخيف ..



وعلى الرغم من مقتـه لكـل أشكـال العنف ، ضغط زنـاد مسدسه الليزرى بكل قوته .. وانطلقت الأشعة مرة ..

وعلى الرغم من موقفه ، مال (نور) بجسده فى مرونة مدهشة ، والتقط مسدسه فى مهارة ، وهو يهتف :

ـ تحدَّثت كثيرًا أيها الوغد .

ثم أدار فوهة مسدسه إلى وجه الوحش الآدمى مباشرة ، مستطردًا :

ـ وخسرت كل شىء .

فوجئ الثعبان الآدمى بفوهة مسدس (نـور) أمام وجهه ، فكشَّر عن أنيابه ، وأطلق ذلك المزيج من الفحيح والزمجرة ، و ....

ولم يتردَّد (نور) لحظة واحدة ..

وعلى الرغم من مقتـه لكل أشكال العنف ، ضغط زناد مسدسه الليزرى بكل قوته ..

وانطلقت الأشعة مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

فى وجه الوحش ..

وصرخت (مشيرة) فى رعب ، عندما رأت الأشعة تنسف رأس الوحش ووجهه ، والدماء تتفجَّر فى وجه (نور) ، وتتناثر على ثيابه ، قبل أن يتراخى جسد الثعبان الآدمى ، ويفلت (نور) من بين يديه ، قبل أن ينهار أرضًا جثة هامدة ..

بلا رأس ..

ومع المشهد البشع ، لم تتوقَّف صرخات (مشيرة) ..

لم تتوقَّف لحظة واحدة ، حتى أمسك (نور) كتفيها فى قوة ، هاتفًا :

ـ اهدئى يا (مشيرة) .. لقد انتهى كل شىء .

فى نفس اللحظة ، حطَّم رجال أمن المستشفى ذلك الحاجز الفولاذى ، الذى يغلق باب قسم الطوارئ ، واندفعوا إلى المكان بأسلحتهم ، وبينهم (سلوى) و(نشوى) ، والأولى تهتف فى ارتياع :

ـ ماذا حدث يا (نور) ؟!

أشار (نور) إلى جثة الثعبان الآدمى ، مجيبًا :

ـ إنه واحد آخر .

حدَّق الكل فى الجثة بدون رأس ، قبل أن تهتف (نشوى) :

ـ واحد آخر ؟! رباه ! كم واحد منهم هنا .

هزَّ (نور) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ ومن يدرى !!

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يلتفت إلى مدير الأمن ، هاتفًا فى غضب :

ـ من الواضح أنه لديك هنا ثغرة ضخمة ، فى نظم الأمن بالمستشفى ، على الرغم من أنه مستشفى عسكرى .

لم يحاول الرجل الدفاع عن نفسه ، وهو يقول فى مرارة :

ـ أعلم هذا ، ولقد طلبت بعض الخبراء ، لتأمين المكان على نحو مختلف .

سأله (نور) فى صرامة :

ـ أى نوع من الخبراء ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ خبراء من عندكم .

ثم خفض عينيه ، مستطردًا فى مرارة :

ـ من المخابرات العلمية .

اعتدل (نور) ، وهو يغمغم :

ـ هذا أفضل .

سألته (نشوى) فى ذعر :

ـ أبى .. هل تتوقَّع وجود آخرين ؟!

وقبل أن يجيب (نور) ، هتفت (مشيرة) ، فى انفعال جارف :

ـ آخرون ؟! ماذا تعنون بالضبط ؟! أنحن بصدد مواجهة جيش من هذه الأشياء ؟!

التفت إليها (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ (مشيرة) .. هذا الأمر سرى للغاية ، و ....

قاطعته ، صارخة :

ـ سرى ؟! هل تعتقد أنه سيظلّ سريًّا لفترة طويلة ؟! لقد واجهنا وحشين فى ليلة واحدة ، وأحدهما كاد يقتل (أكرم) فى غيبوبته ، وكاد يقتلك أيضًا منذ دقائق ، وتتحدَّث عن السرية ؟!

قال بكل صرامته :

ـ لو أنك أطبقت شفتيك ، فسيظلّ سرًّا .

قالت فى حدة :

ـ وماذا لو تحديت كل هذا ، وأذعت التفاصيل كلها ؟!

أجابها على الفور :

ـ سيتم تكذيب كل شىء رسميًّا ، وربما تلقيت اتهامًا بالكذب والغش ، ومحاولة إثارة الذعر العام دون مبرِّر .

ثم رفع سبَّابته فى صرامة ، مضيفًا :

ـ وتذكَّرى أنه ليس لديك دليل مادى واحد ، على

ما حدث هنا ، ففى الحالتين تم نسف رأس الوحش ، والتقارير الخاصة بفحصه لا يمكن نشرها ، باعتبارها تقارير أمنية خاصة .

قالت فى حدة :

ـ وماذا عما رأيته بنفسى ؟!

ابتسم ، قائلاً :

ـ أنت تعلمين أن شهادتك لا تجوز ، باعتبارك أحد أطراف المشكلة ، فى خلاف صحفى .

شعرت بالعجز والمرارة ، وهى تشير إلى رجال الأمن ، قائلة :

ـ وماذا عن هؤلاء الشهود ؟!

رفع حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ أى شهود ؟!

ثم التفت إلى رجال الأمن ، وسألهم فى هدوء ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

ـ هل رأى أحدكم شيئًا ؟!

ابتسم مدير الأمن ، وهو يجيب :

ـ مطلقًا .

احتقن وجهها ، وراحت تلوّح بيدها بضع لحظات فى غضب ، دون أن تنجح الكلمات فى تجاوز تلك الغصة فى حلقها ، قبل أن تهتف فجأة ، بصوت مختنق مبحوح :

ـ من حق الناس أن تعرف كل الحقائق .

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ ليس إذا ما أثارت فزعهم ورعبهم دون مبرر .

شعرت بساقيها تعجزان عن حملها ، فتركت جسدها يسقط على أقرب مقعد إليها ، وهى تقول بصوت أقرب إلى البكاء :

ـ هذا ظلم .

تبادل (نور) و(سلوى) و(نشوى) نظرة مشفقة ، قبل أن يتمتم الأوّل فى خفوت :

ـ أمن (مصر) فوق كل شىء يا (مشيرة) .

حدّقت فى وجهه لحظة ، ثم أسرعت تدفن وجهها بين كفيها ، وتجهش فى بكاء حار عنيف ، فهمست (سلوى) :

- لقد قسوت عليها كثيرًا هذه المرة يا (نور) .

هزّ رأسه فى بطء ، قائلاً :

- ليس أنا يا (سلوى) .. إنها تفرغ انفعالات مواجهتها العنيفة ، مع ذلك الوحش الآدمى .

وتمتمت (نشوى) :

- هذا صحيح .

ولكن (سلوى) تطلّعت إلى (مشيرة) بضع لحظات أخرى ، فى تعاطف مشفق ، قبل أن تتجه إليها ، وتحتويها بين ذراعيها ، وتربّت عليها ، قائلة فى حنان :

- لابأس يا (مشيرة) .. لابأس .. أفرغى كل مشاعرك وانفعالاتك ، فهذا كل ما نملكه ، فى موقف كهذا .

أجهشت (مشيرة) بالبكاء أكثر ، وهى تقول :

- هل سيعود إلىّ سالمًا يا (سلوى) ؟!

أجابتها فى حنان :

- الأطباء أكدّوا أنها مسألة وقت فحسب .

هتفت من وسط دموعها :

- يارب .

ثم رفعت عينيها المغرورقتين بالدموع إلى (سلوى) ، مستطردة فى لوعة :

- لا يمكننى أن أتخيّل الحياة بدونه .. إننى أحبه يا (سلوى) .. أحبه بكل مشاعرى وكيانى .

ابتسمت (سلوى) ، قائلة :

- ليته يسمع هذا من بين شفتيك .

بكت (مشيرة) فى حرارة أكثر ، هاتفة :

- فليعد إلىّ ، وأقسم بأن أمنحه كل حبى وحنانى ، ما بقى لى من العمر .

غمغمت (نشوى) :

- يخيّل إلىّ أننى قد سمعت هذا الحديث من قبل .

لكزها (نور) بمرفقه فى رفق ، هامسًا :

ـ احتفظى بهذا لنفسك إذن .

مع آخر حروف كلماته ، وصل فريق خبراء الأمن ، وراح رجاله ينتشرون فى كل مكان ، ويراجعون كل شىء بمنتهى الدقة ، فاتجه مدير الأمن إلى (نور) ، قائلاً :

ـ لقد بذلتم جميعًا جهدًا خارقًا ، خلال الساعات الماضية أيها المقدّم ولقد أشرقت الشمس بالفعل ، وأعتقد أنكم جميعًا بحاجة إلى قدر من الراحة .

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، فتابع فى حزم وحماسة :

ـ رجالكم يتولون الأمر الآن ، ورجالى مستعدون لبذل حياتهم نفسها ، لو اقتضى الأمر ؛ لحماية رفيقيكما .

وافقته (سلوى) بإيماءة من رأسها وربتت على ظهر (مشيرة) فى حنان ، وهى تقول :

ـ هيا بنا يا (مشيرة) .. (أكرم) فى أيد أمينة الآن ، وكلنا بحاجة إلى الراحة ، وبدونها لن يمكننا حتى مواصلة العناية بهم .

تساءلت (مشيرة) فى ارتياع :

ـ وماذا لو أنه هناك ثالث ؟!

انعقد حاجبا (نور) مع عبارتها ، فى حين هتفت (نشوى) فى حماسة :

ـ سيكون من سوء حظه أن يواجه رجالنا .

لم يعلّق (نور) على عبارتها ، فى حين قالت (سلوى) فى حنان جارف :

ـ هل سمعت ما قالته (نشوى) ؟! هيا يا (مشيرة) .. لن يمكنك إفادته ، إذا ما انهرت من فرط التعب .

ألقت (مشيرة) نظرة قلقة على (أكرم) ، ثم لم تلبث أن زفرت ، متمتمة :

ـ أنت على حق .

غادر أربعتهم المكان فى سيارة (نور) ، ومدير الأمن يشير إليهم فى حزم ، وهو يقول :

ـ استرخوا جيدًا ، خلال الساعات القادمة ، فقد انتهى الخطر .

لم يدر وهو ينطقها ، أن الخطر لم ينته بعد ..

وأن الخطر الحقيقى ينتظرهم هناك ..

خلف الأبواب المغلقة ..

★ ★ ★

مرة أخرى ، راح جسد (أكرم) يسبح ، فى ذلك الفراغ اللانهائى ..

كان جسده وعقله يشعران باسترخاء تام ، وهو يسبح فى نعومة متناهية ، جعلته يغلق عينيه ، ويرخى كل عضلات جسده ، فى استمتاع مدهش ..

« إذن فقد فقدت وعيك مرة أخرى يا (أكرم) .. »

فتح عينيه فى هدوء ، وابتسم وهو يتطلّع إلى (محمود) ، قائلاً :

- أهلاً .

ثم التقط نفسًا منتشيًا عميقًا ، قبل أن يضيف بابتسامة كبيرة :

- قل لى يا (محمود) : لماذا يصبح الالتقاء بك سهلاً ، عندما أسقط فى غيبوبة عميقة .

ابتسم (محمود) بدوره ، قائلاً :

- ربما لأن هذا يأتى بك إلى عالمى .

سأله فى اهتمام :

- وما هو عالمك ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى هدوء ، حمل رنة من الحزن :

- ربما لا يمكنك استيعاب ما سأقول ، ولكن العالم ، الذى أحيا فيه الآن ، هو عالم من الطاقة الصافية ، بلا أية حدود مكانية أو زمنية .. عالم يسوده الهدوء والاسترخاء .. والصمت .

غمغم (أكرم) فى قلق :

- أخشى أن هذا أشبه بالموت .

ضحك (محمود) ، قائلاً :

- ومن منا شاهد الموت ، حتى يمكنه أن يصفه أو يقارنه يا صديقى ؟!

أجابه (أكرم) فى سخرية :

ـ بعضهم يدّعى الاقتراب من الموت ، والبعض الآخر يوهم الحمقى بقدرته على تحضير الأرواح .

هزّ (محمود) كتفيه ، وقال :

ـ ليست لدى أية معلومات عن هذا أوذاك ، ولست أدرى حتى كيف يبدو الموت ، ولكنه ليس كذلك حتمًا .

سأله (أكرم) فى تردُّد :

ـ وما الذى يجعلك واثقًا هكذا ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، شرد بصره خلالها ، وارتسمت على ملامحه لمحة من الحزن ، قبل أن يعيد عينيه إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ لأننى أشعر هنا بالملل .

ردَّد (أكرم) فى دهشة حذرة :

ـ الملل ؟!

أجابه ، وقد طغى حزنه على ملامحه :

ـ نعم يا صديقى ، ملل رهيب سخيف ، بلا حدود ، وبلا أمل فى النجاة .. إننى وحدى هنا ، وسط فراغ لا محدود .. وزمن لا يمضى أبدًا .. بلا صديق ، أو رفيق ، أو أنيس أو ونيس .. لا أحد ، ولا شىء تفعله ، أو تقوله ، أو تفكر فيه .

تمتم (أكرم) ، وقد شعر نحوه بإشفاق لا محدود :

ـ يا إلهى !

تابع (محمود) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ هذا ليس الموت حتمًا ، فالموتى لا يشعرون بالملل ، ولا يبقون وحدهم طوال الوقت .. سيكون هناك موتى آخرون على الأقل .. أى شخص يمكن أن تتحدَّث إليه .

سأله (أكرم) ، فى إشفاق أكثر :

ـ ولماذا لا تفعل نفس ما فعلته معى ؟! لماذا لاتحضر الآخرين إلى عالمك .. فى أثناء نومهم أو غيبوبتهم مثلاً ؟!

ابتسم (محمود) ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهـو يقول :

ـ أنت لست هنا يا صديقى .

حدّق فيه (أكرم) فى دهشة ، قبل أن يهتف فى استنكار :

ـ لسـت هنـا ؟! ماذا تعنى بالضبط ؟! إننـى هنـا يا (محمود) .. أمامك .. أراك وترانى .

هزّ (محمود) رأسه ، قائلاً :

ـ بعقلك فقط يا صديقى ، وليس بجسدك .

هتف (أكرم) ، وهو يرفع كفيه أمام وجهـه بكل الدهشة :

ـ مستحيل !

أجابه (محمود) فى هدوء :

ـ كل ما تراه مجرّد صورة وهمية ، يصنعها عقلك فى أثناء غيبوبته .. صـورة ترى فيهـا كل ما سجله

عقلك ، عندما كنت هنـا فعليًا بجسدك ، وكل مـا يحدث الآن هو أننى أستغل حالة الاسترخاء التام ، التى يمرّ بها جسدك ، والتى تخفض جهد عقلك إلى الحد الأدنى ، لأتم هذا الاتصال معه ، على نحو يبدو لك أشبه بالواقع .

كرّر (أكرم) مرة أخرى :

ـ مستحيل !

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ صدقنى يا صديقى .. ما أخبرك به هـو الحقيقـة المحضة ، خذها من رجل اعتاد الوحدة طويلاً ، حتى إن عقله لم يعد قـادرًا حتى على خلق ذلك الوهم فـى أعماقه ، كما يفعل عقلك معك الآن .

تطلّع إليه (أكرم) بضـع لحظـات ، قبـل أن يقـول فى حزم :

ـ (محمود) .. إذا ما قدر لى أن أعـود إلـى عالمى .. أعنى إلى حالة الوعى ، فأقسم ألا يكون لى من هدف فى الحياة ، سوى السعى لاستعادتك .. وبأى ثمن .

ارتفع حاجبا (محمود) فى تأثُّر ، وهو يقول :

- ليست لدى ذرة واحدة من الشك ، فى أنك ستفعلها يا صديقى .

ثم هبط حاجباه لينعقدا فى حزم ، مع استطرادته :

- ولكن هذه ليست قضيتنا الآن .

ومال نحوه ، مضيفًا فى توتر :

- هل نسيت ما سيجده (نور) ، خلف باب منزله ؟!

اتسعت عينا (أكرم) فى رعب ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! كيف نسيت هذا ؟! كيف ؟!

ثم أمسك كتفى (محمود) ، صائحًا فى ارتياع :

- ماذا ينبغى أن نفعل يا (محمود) ؟! كيف يمكننا أن نمنع هذا المصير البشع عن (نور) والرفاق و(مشيرة) ؟! كيف يا (محمود) ؟! كيف ؟!

وازداد انعقاد حاجبى (محمود) ، والسؤال يلتهب فى ذهنه ، كحمم ألف ألف بركان ..

نعم .. كيف يمكن منع ذلك المصير البشع ؟!

كيف ؟!

* * *

« الخطر خلف الأبواب المغلقة .. »

« الأنياب .. »

راحت الكلمات تتردَّد فى ذهن (نور) ، وهو يقود سيارته ، عائدًا إلى منزله ، وعقله يحاول ترتيب كل المعطيات ؛ لمعرفه سر ذلك التوتر ، الذى مازال يسرى فى أعماقه طوال الوقت ..

نبوءة (أكرم) كانت صادقة تمامًا ..

(نشوى) وجدت الخطر والأنياب القاتلة ، خلف باب حجرة (رمزى) المغلقة ..

أهذا ما كان يقصده (أكرم) ؟!

لماذا استخدم إذن صيغة الجمع ، وليس صيغة المفرد ؟!

لماذا الأبواب ، وليس الباب ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

فى نفس الوقت ، الذى التهب فيه عقله بالتساؤلات ، كانت (سلوى) تتثاءب فى إرهاق ، قائلة :

ـ سنترك الصغيرين عند مربيتهما اليوم ، وسنذهب كلنا إلى منزلى ، فالأفضل أن نكون إلى جوار بعضنا ، حتى نطمئن إلى أن كل شىء على ما يرام .. أليس كذلك يا (نور) ؟!

لم يبد حتى إنه قد سمعها ، فربتت على كتفه ، متسائلة فى قلق :

ـ (نور) .. أين أنت ؟!

انتبه للمستها ، فاستدار إليها ، وهو يحاول الابتسام فى صعوبة ، مغمغمًا :

ـ لا شىء .. إننى مرهق فحسب .

أسبلت (مشيرة) جفنيها ، مغمغمة :

ـ هذا شأننا جميعًا .

وتنهَّدت فى عمق ، قبل أن تفتح عينيها مرة أخرى ، متسائلة :

ـ أتعتقد أنه مازال هناك آخرون يا (نور) ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يجيب :

ـ من يدرى ؟!

هتفت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! وكيف يمكن أن يغمض لى جفن ، وأنا أعلم أنه مازال هناك أحدهم ، على قيد الحياة ؟!

قالت (سلوى) مبتسمة :

ـ التعب سيجبرك على هذا .

مالت (مشيرة) نحوها ، تسألها :

ـ ألا تثقين بنظام الأمن ، فى منزل والدك ؟!

التقى حاجبا (نشوى) ، وهى تقول :

- لا يوجد نظام أمنى يستحيل اختراقه .. إنها لعبة تكنولوجيا ، وكما يمكن أن تصنعها عقول عبقرية ، يمكن أن تهزمها أيضًا عقول عبقرية أخرى .

تراجعت (مشيرة) مرة أخرى فى مقعدها ، مغمغمة فى توتر :

- يا له من جواب !

ثم أطلقت زفرة ملتهبة ، من أعمق أعماق صدرها ، قبل أن تتابع :

- كيف تتصورين أننى سأشعر بالارتياح ، بعد جوابك هذا ؟!

ابتسمت (نشوى) ، قائلة :

- إنه جواب واقعى .. ولا تنسى أننى قد صنعت نظام الأمن هذا بنفسى .

هتفت (مشيرة) :

- أمن المفترض أن ..

قاطعها (نور) ، وهو يقول :

- لقد وصلنا .

شىء ما فى أعماقه بدأ يشعر بقلق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعندما أوقف سيارته ، أمام حديقة المنزل ، كان قلقه قد بلغ ذروته ..

ولكن أحدًا لم يشعر بقلقه هذا ، وثلاثتهن تغادرن السيارة ، وتتجهن نحو المنزل ، و(نشوى) تغمغم :

- أظننى سألقى جسدى على فراشى ، ولن أشعر بنفسى قبل صباح الغد .

فتحت (مشيرة) عينيها فى صعوبة ، وهى تقول فى إرهاق :

- ولكننى أريد الاستيقاظ بعد ساعتين أو ثلاث على الأكثر ؛ لأطمئن على (أكرم) .

أخرجت (سلوى) بطاقتها الممغنطة ، ودسَّتها فى التجويف الخاص ، فى رتاج الباب ، وهى تقول :

- أراهنك على أن (أكرم) نفسه سيستيقظ بعد هذا .

وفى نفس اللحظة ، التى أضىء فيها مصباح الرتاج الأخضر ، اندفع ذلك الثعبان الآدمى الأخير من مكانه ، وكشَّر عن أنيابه الحادة ، وهو يكتم فحيحه الغاضب فى أعماقه ..

كان عقله المتطوِّر قد التقط ما أصاب رفيقيه ، فامتلأت نفسه بالغضب ، وتفجَّرت فى أعماقه رغبة مجنونة فى الانتقام ، جعلته يتحفَّز بكل وحشيته وقوته ، خلف باب المنزل ، الذى دفعته (سلوى) فى بساطة ، و ....

وحانت لحظة المواجهة ..

القاتلة ..

* * *

٨ - الختام ..

لسبب ما ، خفق قلب (نور) فى عنف ، عندما دفعت (سلوى) باب المنزل ..

ومن أعمق أعماقه ، تصاعد ذلك القلق العنيف مرة أخرى ..

تصاعد قويًّا ، جارفًا ، ليكتسح أمامه كل المشاعر الأخرى بلا استثناء .

ودون أن يدرى ، وبرد فعل غريزى محض ، زاد من سرعته ؛ ليلحق بزوجته ، قبل أن تفتح باب المنزل ، و ...

وفجأة ، التقطت عيناه كل شىء ..

آثار أقدام رجل البريد ..

وخلفها آثار أقدام أخرى ..

وكلتاهما تتحرَّك فى اتجاه واحد فقط ..

نحو المنزل ..

ولا توجد أية آثار ، فى الاتجاه المضاد ، عبر الحديقة كلها ..

ولم يكن لهذا سوى معنى واحد ..

معنى لا يقبل الجدل ..

أو الشك ..

وبكل قوته وانفعاله ، اندفع نحو زوجته ، صائحًا :

ـ لا يا (سلوى) .

صيحته أصابت ثلاثتهن بالفزع ، فتراجعن بحركة حادة ، فى نفس اللحظة التى استل هو فيها مسدسه ، ووثب وثبة مدهشة ، أزاح بها (سلوى) عن الباب ، وهو يرفع فوهة مسدسه ، ويطلق أشعته نحو الباب مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ومع صرخات (سلوى) و(نشوى) و(مشيرة) ، اخترقت حزم الأشعة الباب الضخم ، الذى انبعث من خلفه فحيح غاضب قوى ..

وبمنتهى العنف ، اقتلع الثعبان الآدمى الأخير باب منزل (نور) ، وألقاه جانبًا ، ثم اندفع إلى الخارج ، والدماء تنزف من صدره وذراعه وبطنه ..

وصرخت النساء الثلاث ، بكل رعب الدنيا ، وهن يتراجعن فى تخبط وارتباك وفوضى ..

ولكن (نور) صوَّب مسدسه مرة أخرى ، صائحًا فى صرامة :

ـ إنها الجولة الأخيرة أيها الوغد .

ومع صيحته ، عاد يضغط زناد مسدسه الليزرى ..

ويضغطه ..

ويضغطه ..

وفى هذه المرة ، اخترقت طلقاته عنق الثعبان الآدمى الأخير ، ورأسه ، وصدره ..

وأطلق الوحش الأخير فحيحًا عاليًا قويًا ، جمع ما بين الألم والغضب والشراسة والثورة ..

وعلى الرغم من إصاباته كلها ، واصل تقدُّمه نحو (نور) فى صعوبة ، فأدار هذا الأخير مؤشِّر مسدسه

الليزرى ، ليرفع طاقته إلى الحد الأقصى ، قبل أن يصوبه إلى الوحش الآدمى فى إحكام ، مغمغمًا :

- الآن تذكرت أنك نصف ثعبان يا هذا ، والوسيلة الوحيدة ، للقضاء على الثعابين ، هى نسف رءوسها .

وضغط زناد المسدس ، مضيفًا بكل صرامة الدنيا :

- تمامًا .

ومن فوهة مسدسه الليزرى ، انطلقت حزمة ضخمة من الليزر ، حملت أكبر قدر يمكن لبطاريته الذرية إنتاجه ، واتجهت نحو الثعبان الآدمى الأخير ..

نحو رأسه ..

مباشرة ..

وأطلق الوحش الآدمى فحيحًا قويًا عنيفًا ..

واخترقت حزم الليزر القوية فكيه المفتوحين ..

وسحقت أنيابه الحادة الطويلة سحقًا ..

ثم نسفت رأسه نسفًا ..

بمنتهى العنف ..

وصرخت (سلوى) فى رعب هائل ، عندما تناثرت الدماء على وجهها وثيابها ، وشهقت (نشوى) ، وهى تتراجع فى ارتياع ، فى حين راحت (مشيرة) تصرخ وتصرخ ..

أما (نور) ، فقد اعتدل فى وقفة عسكرية قوية ، وهو يخفض فوهة مسدسه الليزرى فى بطء ، وعيناه مثبتتان على جثة الثعبان الآدمى ، الملقى فى الحديقة ، وسط بركة من الدماء ..

وعلى الرغم من بشاعة الموقف ، ومن الصرخات التى تدوى من حوله ، راوده شعور قوى بالارتياح ..

شعور لم يدر لماذا ملأ كيانه ، واستقرّ فى وجدانه ، على نحو لم يجد له أى تفسير منطقى !

فالأمر لم ينته بعد ...

والثعابين ، الذين أنتجوا هذه الوحوش ، مازالوا يسعون لإنتاج جيل سادس ..

وسابع ..

وثامن ..

ولـن تتوقّـف محـاولاتهم الشـريرة ، وخططهـم ومخططاتهم الوحشية ، للقضـاء علينا وإزاحتنا عـن طريقهم ..

لن تتوقّف أبدًا ..

والسبيل الوحيد لدحر كل مخططاتهم ، هو أن نظلّ جميعًـا يقظيـن ، متـأهبين ، متمسـكين بعقيدتنـا ، ومبادئنا ، وديننا ..

وسلاحنا أيضًا ..

وأن نتعـامل كلنـا كرجـل واحـد ، لـه عقـل واحـد ، وقبضة واحدة ..

بهذا وحده ، يمكننا أن نصمد ..

وأن نهزم الثعابين ..

كل الثعابين ..

* * *

(تمت بحمد الله)